توت عنخ آمون

من عبادة آمون إلى عبادة آتون
إلى التوحيد فى مصر القديمة



تأليف : سير إ. أ. ووليس بدج
ترجمة : هشام كمال الدين الحناوى

ISO
9002
Certificate No. 82210
03 / 05 / 2001



المكتبة الأكاديمية
شركة مساهمة مصرية



المكتبة الأكاديمية
شركة مساهمة مصرية
الحاصلة على شهادة الجودة
ISO 9002
Certificate No.: 82210
03/05/2001

توت عنخ آمون

من عبادة آمون إلى عبادة آتون
إلى التوحيد فى مصر القديمة

توت عنخ آمون

من عبادة آمون إلى عبادة آتون
إلى التوحيد فى مصر القديمة

تأليف

سير إرنست ألفرد ووليس بدج

١٨٥٧-١٩٣٤م

ترجمة

هشام كمال الدين الحناوى



الناشر

المكتبة الأكاديمية

شركة مساهمة مصرية

٢٠٠٣

Tutankhamen, Amenism, Atenism and Egyptian Monotheism
By : Ernest Alfred Wallis Budge, London, 1923

حقوق النشر

الطبعة العربية الأولى ٢٠٠٣م- ١٤٢٣هـ

حقوق الطبع والنشر © جميع الحقوق محفوظة للناشر :

المكتبة الأكاديمية
شركة مساهمة مصرية
رأس المال المصدر والمدفوع ٩,٩٧٣,٨٠٠ جنيه مصرى

١٢١ شارع التحرير - الدقى - الجيزة
القاهرة - جمهورية مصر العربية
تليفون : ٧٤٨٥٢٨٢ - ٣٣٦٨٢٨٨ (٢٠٢)
فاكس : ٧٤٩١٨٩٠ (٢٠٢)

لا يجوز استنساخ أى جزء من هذا الكتاب بأى طريقة كانت إلا بعد الحصول على تصريح كتابى من الناشر .

المحتويات

صفحة

مقدمة المترجم

بدأ اهتمامى بتاريخ المصريين القدماء وآثارهم عندما قرأت كتاب " أساطير فرعونية " ، ذلك الكتاب الرائع الذى صاغ فيه أبى/ كمال الدين الحناوى ما قرأه من أساطير الأجداد صياغة جميلة رائعة تستولى على لب القارئ ، وتدفعه عبر الزمان ليعيش فى زمن هذه الأساطير. ونما اهتمامى وتزايد مع قراءة " عبث الأقدار " و " كفاح طيبة " و " رادوبيس " للروائى الكبير/ نجيب محفوظ. ثم كانت زيارة المتحف المصرى وأهرام الجيزة وسقارة ، وبعدها آثار الأقصر منذ خمس وثلاثين عاماً ، ومداومة الإطلاع فى المجال والحرص على مشاهدة وتأمل آثارنا المصرية القديمة فى متحف القاهرة والمتحف البريطانى ومتحف المتروپوليتان فى نيويورك وكذا اللوڤر ومتحف تاريخ الفن فى ڤيينا وغيرها. كل هذا مع نزعة وطنية تدفع المرء دفعاً إلى معرفة ما فعله الأجداد فى قديم الزمان ومقارنته بما نفعله اليوم على نفس الأرض. هذه النزعة التى تسعى " العولمة " الحديثة إلى القضاء عليها وتذويب الثقافات فى ثقافة واحدة ، أو إذا شئنا الحق : فرض ثقافة واحدة مع إلغاء الثقافات الأخرى. لكن من حقنا التمسك بثقافتنا وحضارتنا القديمة والحفاظ عليها ، من أجل بلدنا ومن أجل العالم أيضاً ، رغم العولمة. من هنا جاءت ترجمة هذا الكتاب الذى أُعجبت به منذ عشر سنوات ولم تسنح الفرصة إلا قريباً مع مناسبة مرور ثمانين سنة على اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون فى ديسمبر ٢٠٠٢م.

لقد جاء هذا الاكتشاف فى وقته ، إذ جاء فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ والبلد فى حالة من الغليان ، والكل لا يفكر إلا فى شىء واحد هو التخلص من الاحتلال البريطانى. عندما يواجه الطفل الصغير مشكلة ما يلجأ لأمه ، وعندما تواجه الأمة بأسرها مشكلة خطيرة تزعزع كيانها كله تلجأ لتاريخها القديم ، وتتمسك بأصلها الأول. لذا حرّك اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون فى ذلك الوقت مشاعر الناس جميعاً ، فنرى أثره بين الأدباء فى شعر أمير الشعراء أحمد شوقى الذى نظم عدة قصائد فى هذا الموضوع يمكن للقارىء مطالعتها فى الشوقيات ، ولها عرض مختصر فى كتاب " الآثار المصرية فى الأدب العربى " للدكتور أحمد بدوى (المكتبة الثقافية ، ١٢٤ ، القاهرة ١٩٦٥) وردت فيه مقتطفات من أربع قصائد يطول الحديث عنها لذا نكتفى بأبيات متفرقة على سبيل المثال:

قفى يا أختَ يوشَعَ خبّرينا ... أحاديث القرون الغابرينا
ملوك الدهر بالوادى أقاموا ... على وادى الملوك محجّبينا
جلال المُلكِ أيام وتمضى ... ولا يمضى جلال الخالدينا
وقولا للنزيل قدوم سعدٍ ... وحيا الله مقدمك اليمينا

***

حبُّ الخلودِ بنى لكم ... خُلُقاً به تتفرّدون
البعثُ غايةُ زائلٍ ... فانٍ وأنتم خالدون
السَّبقُ من عاداتكم ... أتُرى القيامةَ تسبقون ؟
أنتم أساطينُ الحضا ... رةِ والبناة المحسنون
المتقنون ، وإنّما ... يُجزى الخلودَ المتقنون

***

ويتعرض الشاعر فى شعره لأحداث زمانه ويحثّ الشباب على التأسّى بالأجداد والاقتداء بهم ، مع الفخر والدهشة والعجب وغيرها من المشاعر التى فجَّرها هذا الحدث الكبير.

وفى شعر العامية لا يتأخر محمود بيرم التونسى عن الحدث الخطير ويراه من وجهة نظره الوطنية ، فيقول من بين ما قاله فى قصيدته عن توت عنخ آمون:

فى مصر كنت الملك لك جيش ولك حاميه

فى دوله غير دولتك ماتتعمل موميا

وأُمَّه غير أُمّتك ما تزرع الباميا

ولما خشّوا عليك المقبرة يلاقوك

نايم مفتّح ولكن فى بلد عاميّه

وما رأيناه فى الأدب نراه فى الغناء والطرب ، إذ تغنّت منيرة المهدية بطقطوقة عن توت عنخ آمون ، وسجلتها على اسطوانة ، من كلماتها :

ما يحبش زيى ان لف الكون	واحنا أبونا توت عنخ آمون
اسـأل من التاريـخ ينـبيك	عن مجدنا وبعدين أمـاشيك
انت تورى الـناس حتاويـك	واحنا أبونا توت عنخ آمون

مؤلف الكتاب سير إرنست ألفرد ووليس بدج Sir Ernest Alfred Wallis Budge (١٨٥٧-١٩٣٤م) عَلَم من أعلام دراسة المصريات Egyptology ، لا يجهله من يدرس المصريات فى مصر والعالم كله ، إذ كان من أعظم علماء المصريات فى القرن

العشرين ، عمل أميناً للآثار المصرية والأشورية فى المتحف البريطانى زمناً طويلاً ، وله مؤلفات كثيرة بدأت فى أواخر القرن التاسع عشر واستمرت حتى سنة وفاته فى ١٩٣٤ ، من أشهر مؤلفاته " كتاب الموتى المصرى " الذى ترجم فيه بردية آنى وشرحها وعلق عليها فى دراسة طويلة شيقة ، وله قاموس ضخم فى اللغة المصرية القديمة ومؤلفات عن آلهة المصريين القدماء ولغتهم ، ومن أهم أعماله الكتاب الذى ختم به حياته " من الوثنية إلى عبادة الله فى مصر القديمة From Fetish to God in Ancient Egypt " الذى عرض فيه خلاصة بحثه فى تطور فكرة الألوهية فى مصر القديمة ، وهو عمل رائع يستحق أن يُنقل إلى لغتنا العربية.

أعد المؤلف كتاب " توت عنخ آمون " قبل اكتشاف مقبرته واستكمله ونشره بعد حوالى ستة أشهر من ذلك الحدث التاريخى. يعرض فيه المؤلف تطور العبادة من آمون إلى آتون مستعرضاً ما سبقهما وما تلاهما وموضحاً أن التوحيد قديم فى مصر سابق على عهد الأسرات. الحقيقة أن الكتاب لا يتحدث عن الكشف نفسه ، ولكن عما أثاره الكشف ، خاصة الحديث عن موضوع التوحيد فى مصر القديمة. هو كتاب يحتاج إلى قراءة متأنية ، ومعاودة القراءة بعد فترة.

أما الترجمة ، فقد التزَمَت بأسلوب المؤلف لدرجة الترجمة الحرفية فى معظم الكتاب ، والسبب فى ذلك أن المؤلف اعتمد كثيراً على النصوص المصرية القديمة وترجمها ترجمة حرفية بهدف أمانة النقل ، وحتى يستنتج القارىء منها ما يشاء ، لا ما يفرضه عليه

أسلوب المترجم ، وقد حذوت حذوه مضطراً وراغباً فى معرفة المعنى الحقيقى لتلك النصوص القديمة ، مما أخشى معه أن يكون الأسلوب جافاً. لذا أكرر أنه يحتاج إلى قراءة متأنية. وهناك بعض الملاحظات التى يجب أن أعرضها على القارئ قبل أن يبدأ القراءة وهى:

١- قام المؤلف بشرح طريقة نطق بعض الأصوات فى اللغة المصرية القديمة والتى لا يوجد لها مقابل فى لغته الإنكليزية ، ولا داعى لذلك فى هذه الترجمة نظراً لوجود مقابل عربى يعرفه القارئ ويستخدمه. إلا أنه تجدر الإشارة هنا إلى وجود صوت لا مقابل له فى اللغة العربية وإن وجد له حرف يمثل هذا الصوت فى الحروف الفارسية ويعرفه القارئ وهو " پ " مقابل حرف P اللاتينى. وكل المواضع التى ورد فيها حرف الجيم من الأسماء المصرية القديمة ، فالمقصود هو نطقها كالجيم المصرية أو G ، وعند الحاجة إلى صوت الجيم العربية أو J استخدمنا الحرف " چ " رغم دلالته الصوتية المختلفة فى اللغة الفارسية. كما استخدمنا حرف " ڤ " للدلالة على صوت حرف V فى اللغات الأجنبية.

٢- فى بعض المواضع كان من الضرورى إضافة لفظ أو أكثر للإيضاح ، وتم هذا بين قوسين مثل { } ، وذلك لتمييزها عن إضافات المؤلف بين الأقواس [ ] أو ( ) ، فكل ما ورد بين القوسين { } فهو من إضافة المترجم.

٣- بالنسبة لأسماء الأعلام مثل: إخناتون وحورس وآتون وآمون وحوراختى ، تم الإلتزام بالهجاء المتبع والشائع فى الكتب العربية

على الرغم من مخالفة ذلك للنطق الصحيح أحياناً ، أو مخالفته لنطق مؤلف الكتاب (فى الأصل: اِاَخون اِتن - حِر - اِتن - اِمن - حرياخوتى). مع استثناء بعض المواضع التى ذكرت فيها هجاء المؤلف ومعه الهجاء المعتاد ، مثل: اسم النوبة كيش وعند مؤلفين آخرين كوش. ويرجع هذا لتفسير الباحثين المختلفين لنطق حروف العِلّة التى لا تُكتب عادة فى اللغة المصرية القديمة ، أو يتم استبدالها بغيرها فى العصور المختلفة. والتزمت أيضاً باستخدام اِاَخوت اِتن = أخت إتن أو أخيتاتون ، نظراً لتعدد صور كتابتها الشائعة فى الكتب المتداولة ، وقلة تكرارها فى فصول الكتاب فى نفس الوقت.

٤- ترجمة النصوص المصرية القديمة :

أ- الترجمة حرفية عند المؤلف وكذا فى الترجمة العربية ، لأن المقصود هو نقل صورة دقيقة - وإن لم تكن أدبية بأى حال - للنصوص الأصلية ، حتى نحاول فهمها بعيداً عن المؤثرات الثقافية الحديثة (وإن كان هذا مستحيلاً !).

ب- فى ترجمة التراتيل الخاصة بآتون وآمون ورع ، خالفت المؤلف فى ترجمته لفظ آتون على أنه قُرص (الشمس) واستخدمته كما هو ، فهو يحمل معنى قوى وقدرات أخرى غير أنه قُرص الشمس. وكذلك السهام التى يفسرها بعدها بأنها الأشعة ، إكتفيت بلفظ الأشعة لأنه المعنى الواضح من النص الأصلى ومن المخصص الذى ينتهى به اللفظ ويدل رسمه على أن المقصود هو أشعة الشمس.

٥- تم تجميع هوامش كل فصل فى نهاية الفصل مع ترقيم مسلسل لكل فصل على حدة. ولا يمنع هذا من وجود تعليقات للمترجم وسط

النص الأصلى – بين القوسين { }– حتى يقرأها القارىء مع النص مباشرة ولا يبحث عنها.

٦– تم نقل كل الأشكال والرسوم واللوحات نقلاً أميناً ، مع الاحتفاظ بها فى موضعها من النص الأصلى للكتاب على قدر الإمكان.

حرصت على ترتيب المؤلف لفصول الكتاب وعلى أسمائها رغم أننى أرى أن الفصل الأول (عهد توت عنخ آمون) دخيل على الكتاب ، تمت إضافته حتى يواكب الكتاب مناسبة اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون وكنوزها الرائعة ، وما أحدثه هذا الاكتشاف من دوى عالمى ، أشار إليه المؤلف فى تقديمه للكتاب وكذا فى نهاية الفصل الخامس (تطور عبادة آتون فى عهد إمنحتب الرابع) ، وليتفق أيضاً مع عنوان الكتاب. وقد أورد المؤلف فى مقدمته سبب تأليفه الكتاب وتكليف اللورد كارنرفون له بذلك. أما الفصل الثانى (توت عنخ آمون وعبادة آمون) فالأفضل أن يُسمَّى (عبادة آمون) أو (عبادة آمون منذ البداية حتى عهد إمنحتب الثالث). والفصل الرابع (عبادة آتون ، إله وقرص الشمس ، أصلها ، وتطورها ، وأفولها) هو فى الحقيقة عن عبادة الآلهة الشمسية فى مصر و (أصل عبادة آتون ، وتطورها فى عهد إمنحتب الثالث). والحقيقة أن المؤلف يصل فى الفصل الأخير (التوحيد المصرى) إلىهدفه الحقيقى من الكتاب ، ألا وهو الحديث عن التوحيد فى مصر القديمة ، ودور إخناتون فيه. هل هو حقيقةً توحيد ؟ وهل نجح إخناتون فى حمل الناس عليه أم فشل فى ذلك ؟ هذا ما تجيب عليه خاتمة الكتاب ، فى فصله الأخير.

وختاماً ، أحب أن أنبه القارىء إلى أنه لا يوجد كتاب فى مجال المصريات والتاريخ المصرى القديم يخلو من المثالب والعيوب. فالمعلومات يعتورها النقص الشديد ، وآراء المؤلفين تبتعد – بالتالى – عن الموضوعية. ناهيك عن تناول تاريخ من ترى أنهم أقل منك شأناً ، وهذه نظرة أهل الغرب دوماً لبلادنا. فانتبه أيها القارىء لبعض الغمزات الواردة فى الكتاب ، والتى تركناها كما هى ولم نعلق عليها إلا فى أضيق نطاق. وأحب أيضاً فى هذا الختام أن أشكر من ساعدونى على إتمام هذا العمل ، وأخص بالذكر أبى / كمال الدين الحناوى الذى قرأ الترجمة مصححاً الكثير مما ورد فيها من أخطاء ، ومعه زوجتى رانا التى قرأت هى الأخرى الترجمة وعانت من المترجم المنشغل بالترجمة – وإعادة الصياغة وغيرها من الأمور – عن الدنيا فترة من الزمن. وأحب أن أضيف أن أى خطأ فى هذا الكتاب هو مسئوليتى وحدى ، وأرجو أن ينبهنى القارىء له.

هشام كمال الدين الحناوي

القاهرة ، ديسمبر ٢٠٠٢م



تمثال من الحجر الجيرى الملون لرأس ملكة ، يُفترض أنها الملكة نفرتيتى زوج إمنحتب الرابع. متحف برلين.

إهداء

إلى ذكرى جورج إدوارد ستانهوب مولينيه هربرت إيرل كارنرفون
George Edward Stanhope Molyneux Herbert
Earl of Carnarvon

تقديم

في أوائل ديسمبر ١٩٢٢م تم الإعلان عن اكتشاف مقبـرة توت عنخ آمون فى وادى الملوك فى البر الغربى لطيبة {الأقصر} ، الذى قام به الراحل اللورد كارنرفون Carnarvon والسيد هـوارد كارتر Howard Carter ، ذلك الإكتشاف الذى بعث موجـة مـن التعجب والتوقع فى كل الشعوب المتحضرة على وجـه الأرض. إذا نظرنا فى محتويات المقبرة التى تم نشرها بالتمـام بشـكل يـدعو للإعجاب فى جريدة التايمز Times ، فإننا نقرأ عـن العديـد مـن العربات الحربية وكراسى المُلك ، والأرآئك المُذهبـة ، والملابـس الملكية ، وصناديق الحلى والطعام ومستلزمات التجميل والزينـة ، وتماثيل خشبية كبيرة مطلية بالقار ، وأوعية من المرمر ذات أشكال وجمال لم يُعرف من قبل ، والعديد من الأشـياء الأخـرى التـى لا تُحصى ، حتى أن الرأس يدور إذا حاول تخيل المنظر الذى واجـه عيون المكتشفين الإثنين عندما دخلا الحجرتين الخارجيتين للمقبـرة.

فأولئك الذين شاهدوا الأشياء الصغيرة واستمتعوا بامتيــاز فحصـــها تعجبوا من الجمال الفائق ودقة الصنع. ولاشك أن أهمية تلك "اللقية" من وجهة النظر الفنية يصعب وصفها بالكلمات. ومــن الســهل أن نصدق ثروت باشا {رئيس وزراء مصر فى ذلك الوقت} عندما يقول أن أيّاً من التقديرات المنشورة ليس منصفاً بالنسبة للأشياء التى تــم العثور عليها ، وليس فى هذا ما يثير الدهشة ، إذ أن جمالهــا نــادر يفوق الوصف (التايمز Times ، ١٨ يناير ١٩٢٣م ، ص ٩).

كل الكُتّاب الذين تناولوا هذا الكشف بالوصف والمناقشة لم تفتهم الفرصة للإعلان عن القيمة العظيمة وعن أهمية " لقية " اللورد كارنرڤون ، كممثل للفنون والصنائع التى ازدهرت فى مدينة اَخــوت اِتن {التى نقرأها كثيراً أخت إتن أو أخيتاتون} تحت حكــم مُنشــئها الملك الأتونى المشهور إمنحتب الرابع {إخناتون} ، إلا أن بعضـــهم ضل الطريق بسبب تشوقه لتحقيق المزيد من التقدير للكشف العظيم ، وأدخل فى مديحه عبارات ذات طابع تاريخى إلا أنها غير صحيحة. فأعلن بعضهم أن المعلومات المُستقاة من " اللقية " تحتم علينا إعــادة كتابة وصياغة تاريخ الأسرة الثامنة عشرة ، ولا أساس لــذلك مــن الصحة ، إذ أن البيانات الرسمية عن مقبــرة تــوت عــنخ آمــون ومحتوياتها لا تحتوى على حقائق تاريخية جديدة. ويحتمل أن اللورد كارنرڤون قد استمد من المقبرة معلومات يمكن أن تزيد معرفتنا عن فترة حكم توت عنخ آمون ، إلا أنه لم ينشر شيئاً عن ذلك. والواقــع أننا لا نعرف الآن المزيد عن حكم ذلك الملك أكثر مما كنا نعــرف قبل الكشف الخارق للعادة الذى قام به اللورد كــارنرڤون. وهنــاك

كُتَّاب آخرون حاولوا أن يجعلوا من توت عنخ آمون واحداً من أعظم ملوك مصر ، إلا أن هذه ليست هى القضية. فعندما اعتلى العــرش أعلن إيمانه بديانة زوجه ، أى عبادة آتون ، قــرص الشــمس ، أو الآتونية ، واستمر فى ذلك بعض الوقت ، إلا أنه ادرك بســرعة أن الآتونية قد سقطت وعندئذ استبدل آمون بآتون فى إسمه وفــى إســم زوجه ، وأصبح تابعاً متحمساً لآمون وعابداً لآلهة بلده القديمة. لــذا تعتمد شهرة توت عنخ آمون على حقيقة أنه أعاد الأمة لعبادة آمــون ودفع الأتونيين إلى التخلى عن السيطرة على إيرادات ودخــل ذلــك الإله. وحاول كتاب آخرون أن يُظهروا توت عنخ آمون علــى أنــه " فرعون سِفر الخروج " {ثانى أسفار التوراة} ، وأن زوجه عنخ سن با إتن (أو إمن) هى التى التقطت موسى من قارب القش الذى كــان فيه ، إلا أن هناك أكثر من خروج ، ولم يكن توت عنخ آمون ملكــاً على مصر فى زمن أى منهم. وقد أشيعت أيضاً آراء غريبــة عــن بعض قطع الأثاث التى وجدها اللورد كارنرفون فى المقبرة ، منهــا أن الأريكة الجنائزية أو النعش ذو الأرجل المصنوعة علــى شــكل وحش غريب ، قيل انها من أصل يرجع إلى بلاد ما بين النهــرين ، وليست هذه هى الحقيقة ، فإن هذا الوحش الغريــب هــو الحيــوان الخرافى المركب الذى يُسمى " عمّيت " أى " آكلةِ الموتى ". ويمكن لنا أن نراها فى منظر الحساب فى كل البرديات الكبيرة التى تحتوى على النص الطيبى لكتاب الموتى من عصر الدولة الحديثة. ولا شك فى الأجزاء المكونة لهذا الوحش ، إذ ورد فى بردية هونفر:

" يتكون نصفها الأمامى من تمساح ، وخلفيتها من جسم فرس النهر ، أما وسطها فجسم أسد ". ولم يعرف سكان بلاد ما بين النهرين وحشاً مشابهاً لهذا ، ولايمكن أن تصنع هذه الأريكة أو ذلك النعش إلا في مصر ، حيث اعتقد الناس فى وجود " عمّيت " وكان الخوف منها عظيماً.

تجاوز بعض من كتبوا عن اكتشافات اللورد كارنرڤون الحديث عن محتويات قبر توت عنخ آمون إلى الكلام عن الثورة الدينية التى يبدو أن إمنحتب الثالث هو الذى بدأها بناء على طلب زوجه الملكة تى ، واستمر فيها بمزيد من العزم ولدهما إمنحتب الرابع ، الذى اعتقد أنه تجسيد لآتون ، إله قرص الشمس. تلك المناقشات التى قادت الكثير من الناس إلى فكرة خاطئة تماما عن شخصية إمنحتب الرابع ، وعن طبيعة عبادة آتون. ذلك الملك الذى وُصف على أنه مُصلح ، متفرد ، مثالى ، مسالم. إلا أنه كان مصلحاً بدأ إصلاحاً لا يدوم ، متفرداً حَوّل إيرادات آلهة بلده إلى مصلحته الخاصة ، مثالياً اتبع ديانة مادية ، مسالماً أضاع الجانب الآسيوى من الإمبراطورية المصرية. نصت تعاليمه على وحدانية آتون ، التى قورنت بالتوحيد فى الأمم المسيحية ، إلا أنه لقرون خلت قبل عصره نادى كهنة هليوپوليس وممفيس وهرموپوليس وطيبة بنفس الوحدانية التى نادى بها على أن تكون ميزة خاصة لآلهتهم هم. هذه التعاليم التى قيل أنها رسّخت فى النفوس عقيدة وقواعد أخلاقية أفضل من أى تعاليم وردت فى العهد القديم {أسفار التوراة وما تلاها} ، ويريد بعض المغالين منّا أن نعتقد أن هذه التعاليم تفوق تعاليم المسيح

المشروحة فى الأناجيل من حيث المفاهيم الروحية والوصايا السامية. ومن الناحية العملية ، فإن كل ما نعرفه من تعاليم إمنحتب الرابع موجود فى ترتيلة {صلاة} قصيرة تُنسب للملك نفسه ، وترتيلة طويلة تم العثور عليها فى مقبرة " آى " - تابعه وخليفته - فى تل العمارنة. تجتذبنا لغة وعبارات هاتين الترتيلتين ، لما فيهما من تقدير منصف للخيرات التى يتمتع بها كل من الإنسان والحيوان على حد سواء من نِعَم الخالق ، والتأثير الخصب لحرارة وضوء الشمس. إلا أننى لا أستطيع أن أجد فيهما تعبيراً واحداً يحتوى على ثمة تعاليم روحية ، أو أى حضّ على طهارة الحياة ، أو أى كلمة عن الوعى بالخطيئة ، أو أى دليل على الإعتقاد فى البعث والحياة الآخرة. من المحتمل طبعاً أن تكون كل الكتابات الدينية للأتونيين - عدا الترتيلتين المذكورتين - قد أُتلفت ، إلا أن الواقع يظل أنه بناء على هاتين الترتيلتين ، وعلى مقتطفات منهما تم العثور عليها فى مقابر الموظفين فى تل العمارنة ، بنى الكُتّاب المحدثون آراءهم وتصريحاتهم عن السمة الروحية العالية لعقيدة وأخلاقيات الأتونيين.

حينما تناقشت فى ذلك الموضوع وموضوعات مماثلة مع لورد كارنرفون ، حوالى منتصف شهر ديسمبر الماضى {١٩٢٢م} ، اقترح علىّ أن أؤلف كتاباً صغيراً يضم بين دفتيه الحقائق المعروفة عن فترة حكم توت عنخ آمون ، وأن أضيف إليها فصلين أو ثلاثة عن عبادة آمون وعبادة آتون وعن التوحيد فى مصر القديمة جلاءاً للحقيقة التى تم تشويهها فى هذا الشأن. وقد كان مهتماً بشكل خاص بضرورة تقديم ترجمة لبعض التراتيل والصلوات الخاصة بكل من

آمون وآتون ، وأن يصـاحب أكثرهـا أهميـة الـنص الأصـلى الهيروغليفى ، حتى يتمكن كل مهتم بالخوض فى هذا الموضوع من التوصل إلى استنتاجه الخاص عن طبيعة ترتيلتى آتون ، هل هـى روحية أم مادية ؟ وفى الصفحات التالية حاولـت تنفيـذ مقترحـه. وأحسب أنه من المناسب للمقام هنا أن أتحدث – فى بضع كلمات – عن منجزاته فى مجال علم الآثار المصرية.

فى شتاء ١٩٠٧-١٩٠٨ ، قام اللورد كارنرفون بـإجراء سلسلة من الحفائر المكثفة فى منطقة دراع أبو النجا وفى وادى الدير البحرى فى البر الغربى لطيبة. وقد ساعده فى التنقيب – كما ساعده فى كل حفائره التالية – السيد هوارد كارتر المفـتش السـابق فـى مصلحة الآثار المصرية. هذا الرجل الذى تمتع بمميزات خاصة جداً أهّلته للعمل الذى قام به لحساب اللورد كارنرفون ، منها معرفة جيدة بالعامية العربية ، وخبرة جيدة فى التعامل مـع السـكان المحليـين وتجار " الأنتيكة " فى البلد ، ومهارة فى أعمال التنقيب ، وولع شديد بالآثار المصرية القديمة. اكتشف اللورد كارنرفون فى الدير البحرى قطعتين هامتين من الأوستراكا مدون عليهمـا نصـوص ، تتعلـق إحداهما بأعمال الملك كامس ، وتحتوى الأخرى على جزء من نسخة حديثة لنصائح بتاح حتب. وفى موسم ١٩٠٨-١٩٠٩ اكتشف مقبرة تيتيكى ومقبرة من الأسرة الخامسة والعشرين تحتوى على توابيـت لتسعة أشخاص. وفى ١٩١٠-١٩١١ اكتشف معبداً لم يكتمل بنـاؤه لحتشبسوت ، ومعبداً محطماً لرمسيس الرابع ، وجبانة مـن عصـر الأسرة الثانية عشرة ، وعدداً من الدفنات المبكرة. وهنـاك حصـر

شامل لكل ما عمله فى طيبة منشور فى كتابه: " خمس سنوات من الاستكشاف فى طيبة (١٩٠٧-١٩١١) Five Years' Explorations at Thebes (1907-11), Oxford, 1912 " وهذا الكتاب مزود بثمانين لوحة كبيرة واضحة ، وهو من أكثر الكتب إحكاماً فى مجال الآثار المصرية القديمة إلى الآن. وفى ١٩١١-١٩١٢ استمر فى أعمال التنقيب فى طيبة ، واقتحم أرضا جديدة فى " سخا " فى الدلتا. واكتشف سنة ١٩١٢ فى طيبة خبيئة كبيرة فى معبد حتشبسوت تتكون من أوان من المرمر وأدوات وأشياء أخرى ، وكذا عدداً من المقابر على شكل حفرة من عصر الأسرة الثانية عشرة. كما اكتشف سنة ١٩١٥ مقبرة إمنحتب الأول وأزاح عنها الركام ، واكتشف فى موسم ١٩١٦-١٩١٧ مقبرة أعدت لحتشبسوت عثر فيها على تابوت حجرى رائع من الحجر الجيرى المتبلر يحمل اسم الملكة وألقابها كزوج للفرعون الحاكم. من المستحيل أن نعدد هنا - مهما أوجزنا - أعمال التنقيب المتنوعة التى قام بها فى طيبة بين ١٩٠٧ و١٩٢١ ، لكن علينا أن نقر أنه أشرف عليها كلها بنفسه وتحمّل وحده كل نفقاتها ، المعروف مدى ضخامتها.

قام فى السنين الأخيرة بالبحث عن مجال أرحب للتنقيب فركز اهتمامه على وادى مقابر الملوك فى غرب طيبة ، الذى كان أحد المواقع المقصورة على التنقيب الحكومى. فى السنوات الأولى من هذا القرن {العشرين} قام السيد ت. داڤيز T. Davis - بعد الحصول على إذن الأستاذ الراحل ماسبيرو Maspero مدير مصلحة الآثار المصرية - بالتنقيب بمساعدة السيد هوارد كارتر

والسيد أيرتون Ayrton ، لينجح فى العثور علــى مقــابر الملكــة حتشبسوت وتحتمس الرابع وحورمحب ومنفتاح وسپتاح ، والمقبــرة التى لم يسبق فتحها ليويو وتويو والدا الملكة تى. وعندما فرغ مــن عمله أخبر ماسپيرو بقوله " لقد أصبح الوادى خاوياً ، ولا يوجد فيه المزيد من المقابر الملكية " ، وتقبل معظم الناس هذا الكلام كحقيقــة واقعة. إلا أن لورد كارنرڤون لم يقتنع بصحة رأى الســيد داڤيــز ، وبعد الحصول على الإذن الضرورى من الحكومة ، بدأ هو والســيد كارتر العمل لإثبات عدم صحته. لقد شعر كلاهما أن مقبرة ملكية أو اثنتين مازالتا موجودتين فى مكان مــا مــن الــوادى ، وبالمعرفــة والحصافة والعمل الدءوب والحظ تمكنا من إظهــار أروع " لقيــة " أثرية تم العثور عليها فى مصر. وفيما يلى مقتطف من رسالة كتبها لى فى الأول من ديسمبر ١٩٢٢ ، يُظهر كم شعر هو نفسه بانتصاره العظيم. يقول: " سطر واحد فقط لأخبرك أننا وجدنا – كما أتوقــع – أروع " لقية " تم الكشف عنها فى مصر أو أى مكان آخر. لقد دخلت غرفتين اثنتين فقط ، إلا أن بهما ما يكفى لملأ معظم حجراتك فــى المتحف البريطانى (الطابق العلوى) ، ويوجد باب موصد لا نعلم ما خلفه. الأمر ليس فقط كمية الموجودات ، بل الجمال المبهر والصنعة الرائعة والأصالة المتفردة التى تجعل منه اكتشافاً فوق العادة. وجدنا عرشاً أو كرسياً أجمل من أى شئ سبق العثور عليه فــى مصــر ، وآنية من المرمر رائعة الصنع مجهولة تماماً خارج نطاق المقابر ، وأرائك ملكية ومقاعد وأسرّة ومشغولات خرز عجيبة وأربع عربات حربية مطعمة بالأحجار الكريمة ، وتماثيل للملك بالحجم الطبيعــى

مطلية بالقار لها صنادل {أخفاف} صلبة من الذهب ومغطاة بشارات المُلك ، وصناديق لا تعد ولا تحصى ، وملابس الملك ، و{تمثال} شوابتى ارتفاعه ٣ أقدام ، وعصى ملكية. لم أفتح الصناديق ولا أعرف ما فيها. لكننى وجدت خطابات على ورق بردى وخزفيات ومجوهرات وباقات وشموع على حوامل بشكل عنخ {علامة ولفظ الحياة}. كل هذا فى الحجرة الأمامية ، بخلاف العديد من الأشياء التى لا تستطيع رؤيتها. يلى هذا حجرة أخرى لاتستطيع دخولها بسبب فوضى قطع الأثاث وتماثيل من المرمر وغيرها من الأشياء المتراكمة فوق بعضها بارتفاع ٤-٥ أقدام. ثم نصل إلى الباب الموصد الذى يوجد خلفه الملك - وأنا متأكد من ذلك - وكذا ما لا يعلم إياه إلا الله. بعض الأشياء فى حالة ممتازة ، وبعضها فى حالة سيئة ، إلا أن الأمر كله عجيب لا يُصدق ، كل هذا ، وهناك ذلك الباب الموصد !! حتى لاكو Lacau {مدير مصلحة الآثار المصرية وقتها} أذهله ما رأى. (تم حذف فقرتين) سوف يكلفنى هذا الشئ الكثير ، إلا أننى سوف أحاول أن أقوم بالأمر كله وحدى. أعتقد أن كارتر وثلاثة من المساعدين سوف يلزمهم قرابة العامين لرفع كل هذا ، إذا وجدنا الكثير خلف الباب الموصد. سوف أعود خلال عشرة أيام وسوف أحاول أن أراك. - المخلص ، *كارنرفون*. "

بعد أن عَثَر على " اللؤلؤة الثمينة " فى مجال الآثار ، صار مهتماً - بكرم ملحوظ - بكل من استطاع الحضور إلى الأقصر ليشاهدها ويشاركه فرحته بها. وقام بالإتفاق مع جريدة التايمز لتنشر تفاصيل رفع محتويات الغرفتين الخارجيتين ، ولتخرج للناس الصور

الفخمة لمعظم الأشياء المذهلة ، تلك التى التقطها لحسابه أحد أعضاء البعثة الأثرية الأمريكية ، وهكذا تمكن الناس فى كل بقاع الأرض – وبشكل يومى تقريباً – من متابعة تقدم العمل. وتوافد الزائرون من أقطار عدة إلى الأقصر متزاحمين ليشاهدوا مقبرة توت عنخ آمون والعجائب التى احتوت عليها ، وبذل لورد كارنرفون أقصى ما فى وسعه لمساعدتهم بكل طريقة. منحهم وقته وطاقته ومعرفته بكل سخاء ، لكن هذا العمل – للأسف – استنفد قوته واستهلكه ، إذ لم يكن قوى الجسم شديده ، هذا بالإضافة إلى آثار حادث سيارة خطير عانى منه منذ عدة سنوات ، ومرضه مرتين فى السنوات الأخيرة ، مما استنزف الكثير من حيويته. لم يثنِ عزمه شئ فروحه وشجاعته لا يقهران ، لكن العمل الذى ألزم نفسه به استهلكه تماماً. حينئذ – عندما كان منهكاً تماماً ومثقلاً بالعمل – قرصته بعوضة فى وجهه. وكل مسافر لمصر وقع ضحية للبعوض الضار المميت – الذى ينتشر فى البلد بالملايين مع رياح الجنوب الحارة {؟؟} فى مارس وأبريل – يعرف مدى خطورة الحمى والإعياء الذى يعقب هجماتها الناجحة على جسم الإنسان. مرت الأيام وتزايد عمله ، ولأنه رفض أن يريح نفسه أصابه داء سقيم اضطره أن يذهب إلى القاهرة ليسلم نفسه لأيدى الأطباء. هناك تم عمل كل شئ استطاع أن يدبره علم وصنعة الطب ، لكنه أخذ يذوى شيئاً فشيئاً حتى رحل بسلام فى الصباح الباكر يوم الخامس من أبريل {١٩٢٣م}. تعاطف العالم كله معه عندما كان يرقد عليلاً فى حجرته فى القاهرة يخوض حربه مع

الموت ، إذ كان عليه أن يقضى عاجلاً بعد أن فاز بنصر مجيد بـدا معجزاً.

إن موت اللورد كارنرڤون ضربة موجعة لعلم دراسة الآثار المصرية ، وخسارة لا يمكن تعويضها. لقد كرَّس نفسه طوال ستة عشر عاماً للتنقيب فى مصر ، وبذل فى سبيل ذلك الوقت والجهد والمال بدرجة لم يصل إليها أى عالم فى الآثار قبله. لقد تمكنت روح مصر من نفسه منذ قرابة عشرين سنة ، وزادت قبضتها إحكاماً عاماً بعد عام. جعلته كثرة الجدال فى موضوعات دراسة اللغة المصرية بارد الأعصاب ، وعندما كان علماء المصريات يتشاجرون على التواريخ والتقويم فى حضرته كان ضحكه المكتوم يمتعنا. لكنه كان متحمساً لجمال الشكل والألوان الذى وجده فى الآثار المصرية القديمة ، ويحتمل أن مجموعته من القطع الصغيرة منها فى قلعة هاى كلير Highclere – نظراً لحجمها – هى الأكثر إحكاماً. كان لا يهتم إلا بالأفضل ، ولا يرضيه إلا هذا ، وعندما يحصل على الأفضل يظل مقتنعاً أنه لابد من وجود شئ أفضل من الأفضل فى مكان ما ! نَشَدَ الجمال فى التصميم والشكل واللون فى الآثار المصرية حتى أصبح الحب عبادة فى سنواته الأخيرة. كان ذوقه سليماً وحسّه فى تمييز الحقيقى والأصلى لا يضاهى. ولم يكن للمال قيمة عنده إذا قورن بقطعة " أنتيكة " جميلة ، وكان يقول عادة – مع سير هنرى رولينسون Rawlinson – " إن الحصول على المال أسهل من الحصول على الأنتيكة ". جعله العمل فى مصر على صلة بأهل البلد على اختلاف مشاربهم ، وكان محبوباً فى كل مكان ،

وسوف يتذكره الكثيرون لفترة طويلة كمستخدِم كريم وكصديق. ولعه بالفكاهة وسرعة النكتة وقدرته على فهم الأمور بسرعة وتعاطفه الحاضر ولطفه راق الطبقة الحاكمة فى مصر وحبّب فيه أصدقاءه الكثيرين فى الشرق والغرب. تجرأت هنا فتحدثت فقط عن لورد كارنرفون عالم الآثار الكبير المنزه عن الغرض ، الذى بذل سنوات من عمره وثروة لا تحصى من أجل حبه للعلم ، ذلك لأننى ليس لدى لا المعرفة ولا القدرة على الحديث عن نجاحه كرائد فى التصوير الفوتوغرافى الملون أو كمقتن للمطبوعات والصور والكتب إلخ. كل هذا والعديد من جوانب شخصيته ومشاغله تم التعرض لهما بشكل موفق فى تقدير واعٍ لحياته وشخصيته فى مقال تم نشره فى جريدة التايمز (٣٠ أبريل) يوم مواراته التراب فى بيكون هيل Beacon Hill.

إ.أ. ووليس بدج

المتحف البريطانى – ٧ مايو ١٩٢٣م

الأسرة الثامنة عشرة

حكم ملوك الأسرة الثامنة عشرة حوالى ٢٣٠ سنة ، أى من ١٥٨٠ – ١٣٥٠ قبل الميلاد تقريباً ، وكانت أسماؤهم كالتالى:

أحمس ١٥٨٠ ، حكم حوالى ٢٢ سنة.

إمنحتب الأول ، ١٥٥٧–١٥٥٨ تقريباً ، حكم حوالى ١٠ سنوات.

تحتمس الأول ، ١٥٤٦ تقريباً ، حكم حوالى ٣٠ سنة.

تحتمس الثانى ، ١٥٠٠ تقريباً ، حكم حوالى ٣ سنوات.

حتشبسوت و تحتمس الثالث ، ١٥٠٠–١٤٤٧ تقريباً.

إمنحتب الثانى ، ١٤٤٨ تقريباً ، حكم حوالى ٢٦ سنة.

تحتمس الرابع ، ١٤٢٠ تقريباً ، حكم حوالى ٨ سنوات.

إمنحتب الثالث ، ١٤١٢ تقريباً ، حكم ٣٦ سنة.

إمنحتب الرابع ، ١٣٧٦ تقريباً ، حكم ١٧ سنة.

سع كا رع { سمنخ كا رع } و توت عنخ آمون و آى ، حكموا ٨–١٢ سنة.

حور محب ، ١٣٥٠ تقريباً ، حكم ٣٤ سنة.

عهد توت عنخ آمون

" الصورة الحية لآمون "

ملك مصر ، حوالى ١٤٠٠ قبل الميلاد

لا نعرف متى وأين وُلد توت عنخ آمون ؟ كما أن هناك بعض الشك حول شخصية أبيه. لكننا نعرف من نقش على جعران عُثر عليه في معبد أوزيريس فى أبيدوس [١] أن أمه كانت تُدعى مريت رع . وفى النقش الثابت على الأسد الجرانيتى الأحمر فى القاعة الجنوبية للآثار المصرية بالمتحف البريطانى (رقم ٤٣١) يقول هو " لقد أصلحت آثار أبى ، ملك الجنوب والشمال ، سيد الأرضين ، نب ماعت رع ، المنبعث من رع ، إبن رع ، إمنحتب الثالث ، حاكم طيبة ". إذن من الممكن أن يكون توت عنخ آمون إبناً لإمنحتب الثالث من إحدى سراريه ، وأن يكون قوله بأن هذا الملك أباه قولاً صحيحاً ، إلا أنه لا يوجد دليل على ذلك. ومن ناحية أخرى ، يحتمل أن توت عنخ آمون استعمل لفظ " أب " ببساطة كمرادف للفظ " سَلَف ". وقد تقبل علماء المصريات القدامى عبارته المسجلة على الأسد الذى أهداه لمعبد سولب فى النوبة كحقيقة واقعة ، لكن بعض الكتاب المحدثين رفضوا ذلك. الواقع أن اسم والد توت عنخ آمون غير معروف. لقد أصبح ملكاً لمصر بفضل زواجه من الأميرة عنخ سن پا إتن ، الإبنة الثالثة

لإمنحتب الرابع [2]. وهذا على الأقل افتراض طبيعى ، لكن يحتمل أنه تخلص من سلفه المباشر سمنخ كا رع أو سع كا رع ، زوج الأميرة مريت إتن أو إتن مريت الإبنة الكبرى لإمنحتب الرابع واغتصب عرشه.

عندما اعتلى توت عنخ آمون العرش كان – أو على كل حال جاهر بكونه – موالياً لعبادة آتون أو قرص الشمس ، متمسكاً بالآراء الدينية لزوجه وأبيها. والدليل على ذلك نجده على كِسرة من لوح من الحجر الجيرى محفوظة فى برلين (رقم ١٤١٩٧) ، ورد عليها وصفه " سيد الأرضين ، رع خپرو نب ، صاحب التاجين ، توت عنخ آتون ، له الحياة الأبدية " [3]. ولم يقطع صلته فى الحال بعبادة آتون إذ بدأ العمل فى بناء معبد أو مبنى آخر لآتون فى طيبة. ويؤكد هذا أن العديد من قطع الحجارة التى استعملها حورمحب – أحد خلفائه المباشرين – فى بعض مبانيه تحمل اسم توت عنخ آمون. ومن المستحيل وصف مدى اتساع أعمال البناء الخاصة بتوت عنخ آمون ، لأن حورمحب نسب لنفسه الكثير من هذه الأعمال وحذف منها اسم توت عنخ آمون ووضع اسمه مكانه كلما أمكنه ذلك. حتى أنه اغتصب اللوح المشهور لتوت عنخ آمون والذى اكتشفه لجران Legrain فى الكرنك سنة ١٩٠٥ [4]. من هذا اللوح علمنا أن " الأسماء القوية " والألقاب الرسمية التى اتخذها توت عنخ آمون لنفسه هى:

١- إسم حورس: كا نخت توت مس .

٢- إســـــم نبتـــــى: نفــــر هپـــو س جـــــرح تـــاوى .

٣- إســـم حـــورس الـــذهبى: رنـــپ خعـــو س حتـــپ نتـــرو .

٤- إسم نسو بيت: نب خپرو رع .

٥- إسم إبن رع: توت عنخ إمن .

فى بعض الحالات احتوت خرطوشة الإسم على علامـــات تعنى " حاكم إنو الجنوبية " (أى هرمـــونثيس = أرمنـــت).

وعندما اعتلى توت عنخ آتون العرش ، غير اسمه إلى توت عـــنخ آمون ، أى " الصورة الحية لآمون ".

سندنا الرئيسى الذى يسجل أعمال توت عنخ آمـــون هـــو اللوح الذى ذكرناه والمحفوظ فى القاهرة ، ومن نصه – الذى تآكـــل فى العديد من المواضع لسوء الحظ – يمكننا تكوين فكرة جيدة جـــداً عن حالة البلبلة التى سادت مصر عند اعتلائـــه العـــرش. والجـــزء الثابت عليه الحروف الهيروغليفية التى تدل على السنة التى تم نقش اللوح فيها مبتور منه. تتضمن السطور الأولى أسماء وألقاب الملك ، الذى يقول أنه كان محبوباً من آمون رع – الإله الكبير لطيبة – ومن تِمو ورع حوراختى – آلهة إنو (هليوپوليس) – وپتاح – رب منـــف – وتوت – سيد " كلمات الرب " (أى الهيروغليفية والكتابة المقدسة).

كما دعا نفسه " الإبن الطيب لآمون ، المولود من كاموتف " ، وقال أنه نبت من بزرة مجيدة ومن بيضة مقدسة ، وأن الإله آمون نفسه قد أوجده من نسله. بنى آمون جسده وسواه وأتقن صنعه ، وصاحبته أرواح إنو الإلهية منذ صغره لأنها قد أُعلنت بأنه يجب أن يكون ملكاً أبدياً ، وحورساً راسخاً ، يخصص كل عنايته وطاقاته لخدمة الآلهة الذين هم آباؤه.

هذه العبارات لها أهمية كبيرة ، فعندما نفهمها كما أراد الملك بها ، يظهر أن توليه عرش مصر كان بموافقة كهنة هليوپوليس ومنف وهرموپوليس {الأشمونين} وطيبة. وأياً كان تعاطفه مع عبادة آتون خلال حياة إمنحتب الرابع فقد اختفى هذا التعاطف بالكامل عندما أقام لوحه العظيم فى الكرنك ، ومن الواضح تماماً أنه كان حينئذ يبذل أقصى ما فى وسعه ليحقق آمال ورغبات كبار كهنة مصر القدامى.

ويستمر النص: إنه يعمل على أن تزدهر من جديد الآثار التى وُجدت منذ قرون عدة ، والتى تحولت إلى أطلال [أثناء عهد إخناتون]. لقد وضع نهاية للتمرد والعصيان . الحق ينتشر فى الأرضين [حيث وطّد نفسه بقوة]. عندما أصبح جلالته ملكاً للجنوب ، كان البلد كله فى حالة من الفوضى تشبه ما كانت عليه فى العصور الأولى (أى عند خلقها). من " أبو " (إلفنتين Elephantine غرب أسوان) إلى مستنقعات [الدلتا] ، أصبحت مبانى معابد الآلهة [حطاماً] ومحاريبها خربة وأراضيها مهجورة ، ونمت الحشائش فى ساحات المعابد. لقد انتهكت الحرمات ، وتحولت الأماكن المقدسة إلى

دروب يمشى فيها الناس. هلكت الأرض ، وصارت الآلهــة ســقيمة حتى الموت ، فجعلوا البلد خلف ظهورهم {أهملوها}.

حالة الخراب الذى عم البلاد كان مردها بالطبع إلى حقيقة أن خزائن الآلهة الكبرى لم تعد تتلقى دخلاً ولا جزيةً بأى مقدار من قبائل فلسطين وسوريا. ومن اليسير فهم لماذا خربت مبانى المعابــد وخلت الحقول من الزرع عندما انهارت قــوة الســلطة المركزيــة. ويقول توت عنخ آمون بعد ذلك أنه إذا أرسل مبعوثــاً إلــى تشــاه (ســـــوريا) ليوســـــع حـــــدود مصـــــر لا تفلح بعثته. وبعبارة أخرى يعود جابى الجزية خاوى الوفاض لأن القبائل لا تريد الدفع. وغيــر مجد التوسل لأى إله أو إلهة ، لأنه لا يوجــد رد علــى توســلات المتوسلين ، فقد ضاقت قلوب الآلهة بالبشر ، وحطمت المخلوقــات التى صنعتها. لكن الأيام التى حدثت فيها هــذه الأشــياء مضــت ، وأخيراً اعتلى جلالته عرش أبيه وبدأ ينظِّم ويحكم أراضــى حــورس (أى مدن العبادة وأملاكها). خضعت مصر والأرض الحمــراء (أى الصحراء) لإشرافه ، وكل أرض رحَّبت بمشيئته بانحناءات الإذعان.

ويمضى النص ليقول أن جلالته كان يعيش فى البيت الكبير فى " برعاخيركارع ". ذلك القصر الذى يحتمل أنه كان فى إحــدى ضواحى منف أو فى مقاطعة ما غير بعيدة عن تلك المدينة. (البعض يرى أنه كان فى طيبة أو قريباً منها.) هنا "حكم مثل رع فى السماء" وتفرغ بنفسه من أجل " تدبير هذه الأرض " ، وفكر مليّا فى مســار عمله وناجى قلبه متسائلاً كيف أقوم بأشياء يقبلها الناس؟ كان المتوقع

عندما نبذ مرة واحدة آتون وكل أعماله ، أنه سوف يذهب ليتخذ من طيبة سكناً ويدخل فى مفاوضات مباشرة مع كهنة آمون. وبعبارة أخرى ، لم يكن توت عنخ آمون على يقين من نوع الإستقبال الذى سيلقاه فى طيبة ، ولهذا ذهب فى اتجاه الشمال وسكن فى منف أو بالقرب منها ، حيث " بحث عن خير أبيه آمون " وصنع تمثال " انبعاث أغسطس " الخاص به من الذهب أو الذهب المخلوط بالفضة {الإلكتروم}. وأكثر من ذلك ، أنه فعل أكثر مما سبق فعله على الإطلاق لتعظيم قوة وبهاء آمون. لسوء الحظ ، لا يقدم لنا النص وصفاً لتمثال آمون الذى صنعه من الذهب ، لكن يمكن تكوين فكرة جيدة جداً عن شكله من التمثال الرائع من الذهب المصمت للإله فى مجموعة كارنرفون فى قلعة هاى كلير ، والذى تم عرضه فى نادى برلنجتون Burlington للفنون الجميلة سنة ١٩٢٢. ويوجد تمثال وسيم من الفضة المطلية بالذهب لآمون رع معروض فى المتحف البريطانى (القاعة الخامسة للمصريات ، منضدة العرض ١ ، رقم ٤٢) ، يبدو أنه كان فى محراب أو مذبح للإله. وعقب ذلك سوّى تمثالاً لأبيه آمون على ثلاث عشرة دعامة ، جزء منه مزين بذهب " تشعم " (أى ذهب أو ذهب مخلوط بفضة {إلكتروم}) ولازَوَرْد وكل أنواع الأحجار الكريمة. وفى السابق كان لتمثال آمون إحدى عشرة (؟) دعامة فقط. كما صنع تمثالاً لپتاح – سيد الحياة – جنوب جداره ، وجزء من ذلك التمثال أيضاً مزين بالذهب أو الذهب المخلوط بالفضة واللازورد والفيروز وكل أنواع الجواهر الثمينة. وهذا التمثال الذى أقيم أصلاً فى المحراب بمنف

كانت له ست (؟) دعامات فقط. بالإضافة لهذا ، بنى توت عنخ آمون آثاراً لكل الآلهة ، وصنع الصور المقدسة لهم من أفضل المعادن ، من " تشعم " حقيقى. بنى أماكنهم المقدسة من جديد معتنياً بأن يصبح بناؤها دائم الوجود. أسّس نظاماً للقرابين الإلهية ووضع الترتيبات اللازمة للحفاظ عليها. وقف المال لمدّ كل المعابد يومياً بالقرابين ، وبدرجة من السخاء لم تخطر ببال أحد من قبل.

إستحدث ما يسمى ( ) أو وظّف من يصبّون الخمر {أو الزيت على سبيل القربان} وخُدّاماً للآلهة ، اختارهم من بين أبناء الرجال المسئولين فى قراهم ، من المعروف عنهم السمعة الحسنة. ومن أجل مرتباتهم المتزايدة ، منح معابدهم العطايا والهبات على شكل كميات عظيمة من الذهب والفضة والبرونز والمعادن الأخرى. ملأ المعابد بمن يقومون بخدمتها من الرجال والنساء ، وبالهدايا التى كانت جزءاً من الغنائم التى حصل عليها. بالإضافة إلى العطايا التى أعطاها للكهنة وخدم المعابد ، زاد إيرادات المعابد ، البعض مرتين ، والبعض ثلاثة ، والبعض الآخر أربعة أضعاف ، عن طريق هدايا إضافية من معدن " تشعم " والذهب واللازورد والفيروز والأحجار الكريمة من كل نوع ، وقماش ملكى من الكتان ، وأقمشة كتانية أخرى ، وزيوت وشحوم وعطور وبخور و" اهميت " ومُرّ. هدايا من " كل الأشياء الجميلة " أغدقها الملك بإسراف. إعادته الأوقاف للمعابد ، وتخصيصه الميزانيات للقرابين اليومية ، ومن أجل آداء الشعائر التى أقيمت كل يوم من أجل الملك ، يعنى هذا أن

توت عنخ آمون نفسه خصص ميزانية لمواكب الأعياد على صــفحة النهر وفوق البحيرات المقدسة للمعابد. جمع الرجال المهرة فى بناء القوارب وأمرهم ببناء قوارب من أفضل نوعية من خشــب الســنط الجديد ، تلك التــى يمكــن الحصــول عليهــا مــن بــلاد نجــاو . وتم طلاء أجزاء عديدة من القوارب بالــذهب ، فأضاء توهجها النهر.

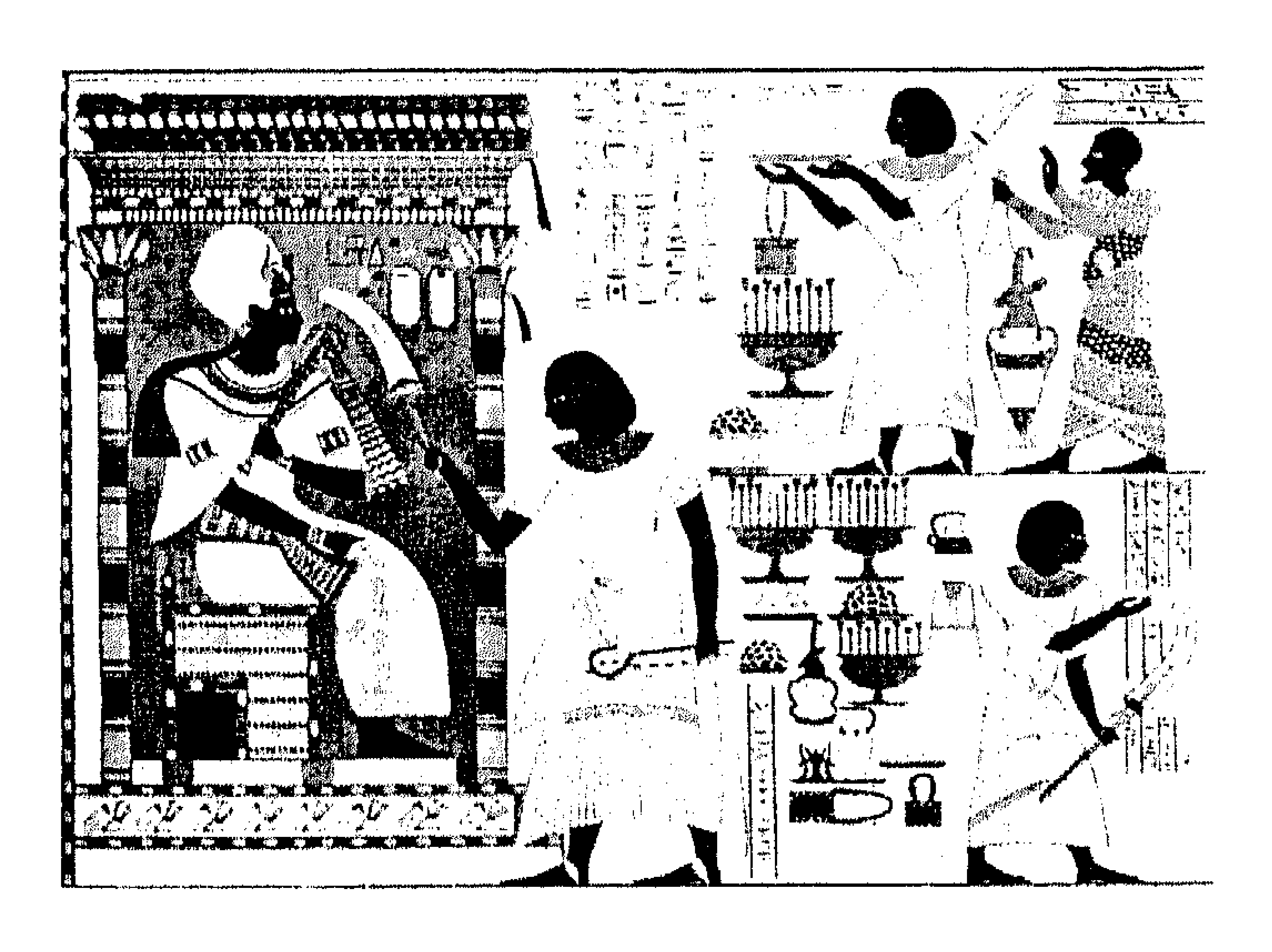
احتوت الفقرتان الأخيرتان على معلومات تمكننا من فهــم مدى الخراب الذى حل على المؤسسات الدينية القديمة فــى الــبلاد بسبب أفعال إخناتون. شُوهت جدران المعابد بيد الأتونيين ، وطُــرد الكهنة ، وصُودرت كل مخصصات المعابد واستُعملت فى نشر عبادة آتون. صُهرت تماثيل الآلهة العظيمة المصنوعة من الذهب والمعادن الثمينة الأخرى ، بعد أن انتُزعت من محاريبها ، وهكذا لم يعد الناس قادرين على سؤال الآلهة حاجتهم ، لأنه لــم يعــد للآلهــة تماثيــل يسكنونها ، حتى إذا رغبوا فى المجئ إلى الأرض. لم يعــد هنــاك كهنة فى البلد ، ولا آلهة يُتوسل إليهــا ، ولا يمكــن أداء الشــعائر الجنائزية ، وعلى الموتى أن يوضعوا فى قبورهم بدون أن يباركهم الكهنة.

خلال هذه الفترة من الفوضى الدينية التى عمّــت الــبلاد ، وظّف الملــك الأتــونى عــدداً مــن العبيــد والإمــاء والمغنــين "شــــمعيو" ، ولاعبــــى أكروبــــات ، ليساعدوا فى أداء صلواته الدينية وفى الإحتفالات التى تقام تكريماً لآتون. "طهّر" توت عنخ آمون أولئــك

الموظفين ونقلهم إلى القصر الملكي ، حيث قاموا بواجبات الخـدم – نوعاً ما – بما يتصل بخدمة كل " الآلهة الآبـاء ". فـاعتبروا تلـك المعاملة لطفاً ونعمة من الملك ، وأصبحوا في غاية الرضا بمواقعهم الجديدة. وتخبرنا الأسطر الأخيرة من اللوح المزيـد مـن أن آلهـة وإلاهات مصر ابتهجوا مرة أخرى عندما رأوا الصلوات تؤدى لهم ، وأن النظام القديم للعبادة قد أُعيد ، وأن كل الناس في مصر شـكروا الملك من صميم قلوبهم على كرم أفعاله. فمنح الآلهة الملك الحيـاة والسكينة ، فصرّف أمور البلاد بالحكمة ، وأصدر الأحكام العادلـة كل يوم على كل الناس ، بعون من رع وبتاح وتوت.

في السطر الثامن عشر من لوح توت عنخ آمون ، ورد أن الهدايا التي منحها الملك للكهنة والمعابد كانت جزءاً من الغنائم التي غنمهـا جلالتـه مـن الشـعوب المقهـورة [hieroglyphs] . ويشير هذا إلى أنـه علـى الرغم من قصر مدة حكمه التي استمرت من ثماني لعشر سـنوات ، نظّم الهجمات – لا يمكن وصفها بالحروب – على البلاد التي قهرها أسلافه وجعلوها تابعة لمصر. وتثبت الصور والنقوش الموجودة في مقبرة حوى [hieroglyphs] في البر الغربي لطيبة صدق عبارته التام. عمل حوى في النوبة موظفاً في خدمة إمنحتب الرابع ، الذى كافـأه على إخلاصه ونجاحه فعيّنه أميراً على كيش {كـوش} (النوبـة) ، وخوّله السلطة الكاملة للحكم ، من نخن – حالياً الكاب – حوالى ٥٠ ميلاً جنوب طيبة حتى نست تاوى [hieroglyphs] أو نباتا (جبل بركل) عند الشلال الرابع. وعاد حوى من النوبة إلى طيبة في عهـد

توت عنخ آمون ، جالباً معه كميات كبيرة من الذهب على شكل حلقات ومسحوق {خام} ، وآنية من ذهب وفضة ، وأكياس ملأى بالأحجار الثمينة ، وأسرَّة سودانية وأرائك وكراسى ملكية ، ودروع ومركبة حربية [٦]. مع هذه الأشياء الثمينة ، حضر شيخ ميعم وشيخ وايت وأبناء أهم الأكابر على جانبى النهر ، من بوهن (وادى حلفا) إلى إلفنتين ، وعدد كبير من العبيد. وصل حوى والجمع المرافق له فى ستة قوارب ، وعندما تم إنزال كل الهدايا ، سُلمت لموظفى توت عنخ آمون الذين حضروا لاستلامها. وليس من اليسير أن نقرر هل هذا التقديم لنتاج النوبة بيد حوى تسليم رسمى للجزية المستحقة لتوت عنخ آمون ، أم هدية شخصية لملك مصر الجديد.



لوحة ١: حوى يقدم الجزية والهدايا من الرعايا الخاضعين لتوت عنخ آمون. نقلاً عن Lepsius, *Denkmäler* III, 117.

إذا كان حوى قد عُيّن نائباً للملك إمنحتب الرابع - أو أبيه - على كيش ، فمن المحتمل أنه كان موالياً لعبادة آتون. وفى هـذه الحالة ، يُحتمل أن هداياه لتوت عنخ آمون شخصية ، قدمها له حوى بغرض إرضاء ومهادنة من أعاد عبادة آمون. على أى حال ، لقـد رضى الملك بالذهب والفضة والأحجار الكريمة القادمة من النوبة ، لأنها أمدته بثروة يمنحها للكهنة والمعابد.

اتفق علماء المصريات عامة على أن المناظر التى تمثـل تقديم هدايا النوبة فى مقبرة حوى لها دلالة تاريخية ، وأن علينـا أن نعتقد أن توت عنخ آمون مارس فعلاً حكم النوبة. لكن توجد أيضـاً مناظر مرسومة على الجدران ، يقدم فيها أكابر ونبلاء رتنّو العليـا (سوريا) نفس أنواع الهدايا إلى تـوت عـنخ آمون ، ولا يمكن بسهولة قبول هذه المناظر على أنهـا ذات دلالـة تاريخية. ففى نقشه الكبير {اللوح المذكور سابقاً} ، يقول توت عـنخ آمون بوضوح أنه أثناء عهد إخناتون كان من غير المُجدى إرسـال الحملات إلى سوريا " لتوسيع حدود مصر " ، لأنها لم تنجح أبداً فى هذا. لكنه لم يقل أنه شخصياً لم يجرّد الحملات ، فمن المحتمل أنـه قام بذلك ، إذ قام بهجمات على بعض مناطق فينيقيا وسوريا. ومـن المحتمل أيضاً أن بعض أكابر سوريا - عندما سمعوا أن ملكاً يقتدى بتحتمس الثالث ويبجّل آمون قد اعتلى العرش - أرسلوا إليه الهـدايا بقصد الحصول على دعم القوات المصرية لهم ضد مناوئيهم.

لا نعرف بالضبط متى وكيف مات توت عنخ آمون ، ولـم نستطع تحديد عمره وقت الوفاة. لم تكتشف له مقبرة فى جبـال تـل

العمارنة ، وحتى الآن لا يوجد دليل على أن لــه مقبــرة ، نُحتــت خصيصاً من أجله ، فى وادى مقابر الملوك [٧]. أثناء أعمال التنقيــب فى هذا الوادى ، عثر السيد تيودور داڤيز على مقبرة اعتقــد أنهــا تخص توت عنخ آمون [٨]. كان فيها صندوق مكسور يحتــوى علــى عدة قطع من ورق الذهب مختومة بأسماء توت عنخ آمون وزوجــه عنخ سن امِن وغيرها. وفى حفرة على مبعدة من هذه المقبرة اكتشف أشياءاً مال إلى أنها رَديم ومخلفات من مقبرة ، مثل أكاليل جافة من ورق النبات والزهور. وغطاء جرة كبيرة جــداً ، وجــده مكســوراً وملفوفاً فى قماشة مكتوب عليها اسم توت عنخ آمون. ومن أجمــل الأشياء التى عثر عليها داڤيز قارورة جنائزية صغيرة زرقاء لامعة ، مصورة فى اللوحة رقم ٩٢ من كتابه. تم اكتشافها تحــت صــخرة كبيرة فى مكان متــوارٍ ، وتحمــل نقشــاً [نقش هيروغليفي] ترجمته " الإله الجميل ؛ نب خپرو رع ، واهب الحياة ". تشير هــذه الحقائق يقيناً إلى أن داڤيز وجد مقبرة لتوت عنخ آمون.

الأشياء التى تحمل اسم توت عنخ آمــون فــى المتحــف البريطانى قليلة ، أكبرها وأهمها الأسد الجرانيتى الذى وضعه فــى المعبد الذى بناه إمنحتب الثالث فى صولب (سوليب عنــد لبســيوس Lepsius) ، حوالى منتصف الطريق شمال الشلال الثالــث علــى الضفة اليسرى أو الغربية {للنيل}. وله عدة جعارين [٩] وخرزة تحمل اسمه الأول أو اسمه معروضة فى منضــدة العــرض B (الحجــرة الرابعــة للمصــريات) ، وكــذا كِســرة مــن نمــوذج عُرجــون Boomerang {أداة تستخدم فى صيد الطيور} مصنوع من خــزف

الفاينس الأزرق اللامع فى خزانة العرض رقم ٢٢٥ (الحجرة الخامسة للمصريات) رقم ٥٤٨٢٢. وأنبوبتان دقيقتان من الخزف للأنتيمون أو كحل العين معروضتان فى خزانة العرض رقم ٢٧٢ (الحجرة السادسة للمصريات). إحداهما (رقم ٢٧٣٧٦) لونها أخضر مزرق داكن وعليها نقش " الإله الجميل ، سيد الأرضين ، سيد التاجين ، نب خپرو رع ، واهب الحياة للأبد " ، والأخرى (رقم ٢٥٧٣) بيضاء اللون وعليها نقش اسم زوجه مع إسمه . أثناء الحملة الفرنسية {على مصر} تم العثور على محبرة تحمل الإسم الأول للملك [١٠] فى القرنة {فى البر الغربى للأقصر} ، وهذه المحبرة مع الأشياء الأخرى المذكورة أعلاه تشير إلى أن المقبرة الملكية تم نهبها خلال السنين الأولى من القرن التاسع عشر.

من السجلات الطريفة التى ورد فيها اسم توت عنخ آمون ، أحد الألواح المكتوبة من بوغاز كيوى ، ويشير إلى المراسلات التى تم تبادلها مراراً بين ملوك الحثّيين وملوك مصر فى تلك الحقبة. كُتبت هذه الوثيقة بالخط المسمارى [١١] فى اللغة الحثّية ، وتقول أن ملكة مصر المسماة داخاموون كتبت إلى والد الملك الحثّى الحاكم تخبره أن زوجها بى إبخورورى ياآش قد مات ، وأنها بلا ولد وتريد ولداً ، وسألته أن يرسل لها أحد أبنائه الكثيرين ، وسوف

تتخذه زوجاً [١٢]. وببيخوروريآش ليس أكثر ولا أقل من نسخة معدلة {محرّفة} من نب خبرو رع ، الإسم الأول للملك توت عنخ آمون.



لوحة ٢: تمثال أسد من الجرانيت الأحمر يحمل نقشاً على قاعدته يقرر أنه من صنع توت عنخ آمون. أهداه إلى معبد صولب ، فى منطقة الشلال الثالث من السودان المصرى ، عندما " أصلح آثار أبيه [hieroglyphs] ، إمنحتب الثالث ". المتحف البريطانى ، القاعة الجنوبية للآثار المصرية ، رقم ٤٣١.

١- أنظر Mariette, *Abydos*, Paris, 1880, tom. II, pl. 40N.

٢- هذا الإسم معناه: " حياتها من آتون " (أى من قرص الشمس).

٣- أنظر *Aegyptische Zeitschrift*, Bd. 38, 1900, pp. 112-114.

٤- أنظر *Annales du Service*, Vol. V, 1905, p. 192; *Recueil de Travaux*, Vol. XXIX, 1907, pp. 162-173.

٥- هذا الإسم من أسماء طيبة ، إلا أنه استخدم أيضاً لمدينة نباتا ، حيث أقيم المعبد الكبير لآمون رع فى النوبة.

٦- أنظر الرسم المنشور فى Lepsius, *Denkmäler* III, pl. 116-118. {أنظر اللوحة ١ فى هذا الكتاب}

٧- ملحوظة لطبعة دوفر: هذه الفقرة - ومعظم هذا الكتاب بالفعل ، باستثناء التقديم - يبدو أنها كُتبت قبل اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون فى ١٩٢٢. أنظر التقديم لمعرفة نتائج هذا الإكتشاف.

٨- أنظر Davis-Maspero-Daressy, *The Tombs of Harmhabi and Touat-ânkhamanou*, London, 1912.

٩- أنظر Hall, H. R., *Catalogue of Egyptian Scarabs*, London, 1913, Nos. 1968-1972, pp. 197, 198.

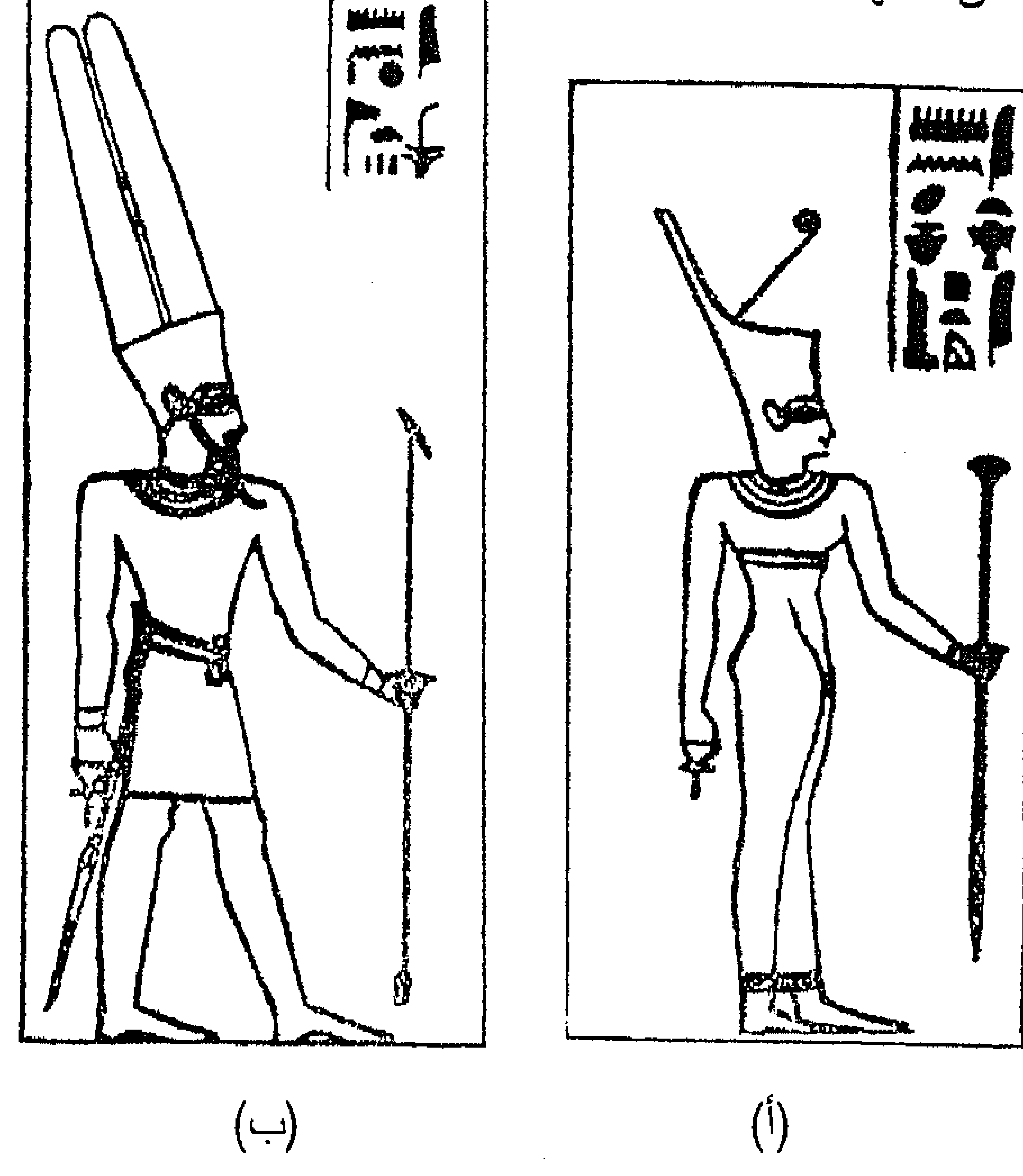
١٠- هذا هو النقش كما ورد فى : Champollion, *Monuments*, tom. II, pl. CXCI *bis* No.2.

١١- طالع النص فى : *Keilschrift aus Boghazköi*, Heft V, No. 6. Rev. III, ll. 7-13.

١٢- أنظر Dr. F. Hrosny, *Die Lösung des Hethitischen Problems*, in: *Mitteilungen der Deutschen Orient-Gesellschaft*, December, 1915, No. 56, p. 36.

توت عنخ آمون وعبادة آمون

يكتنف الغموض بداية تاريخ الإله آمون ، وأصله غير معروف. فالإسم امن يعنى " الخفى " ، وهذه صفة تصلح للعديد من الآلهة.



(ب) (أ)

أ- الإلهة امنيت ، نظير مؤنث لآمون ، مقيمة فى ابت الشمالية (الكرنك).
ب- آمون رع ملك الآلهة ، سيد طيبة العظيم.

ورد ذكر امن وزوجه امنت أو امنيت فى نصوص الأهرام (أوناس ، سطر ٥٥٨)، حيث تجمّعا مع نيو ونين ومع الإلهين الأسـدين شـو

وتفنوت. نظر كهنة هليوبوليس إلى هذا الآمون في عهد الأسرة الخامسة على أنه إله قديم الطبيعة ، ومن المحتمل أن العديد من صفاته الخاصة انتقلت في مرحلة مبكرة جداً إلى آمون الإله العظيم لطيبة. ومع أن أعمال التنقيب الحديثة أظهرت أن عبادة آمون كانت موجودة في طيبة أثناء الإمبراطورية القديمة ، فمن المشكوك فيه أنه كانت لها أهمية خارج النطاق المحلي حتى عصر الأسرة الثانية عشرة. عندما قهر أمراء طيبة منافسيهم في الشمال وأصبحت لهم السيادة على مصر ، صار إلههم آمون وكهنته قوةً عظيمة في البلاد وبنوا معبداً جديداً تماماً تشريفاً له ، في الكرنك على الضفة اليمنى للنهر. كان المعبدُ صغيراً ، مشابهاً في الشكل والترتيب لبعض المعابد النوبية الصغيرة. تكوّن من مذبح {أو محراب} تحيط به بعض الحجرات الصغيرة ، وساحة أمامية بها صف من الأعمدة على كلا الجانبين. لم يكن آمون أقدم إله عُبد هناك ، ويبدو أن حرمه المقدس استحوذ على مذبح الإلهة القديمة إيبيت. إن اسم طيبة مشتق من ت-إيي ، الإسم القبطي لمذبح الإلهة إيبيت ، ولم تُعرف المدينة بإسم نوت امن [illegible] (نو أمون في العهد القديم ، ناحوم ٣ : ٨) ، أي " مدينة آمون " حتى تاريخ متأخر جداً.

على الرغم من أن ملوك الأسرة الثانية عشرة كانوا من طيبة إلا أنه من المحتمل أنهم وكذا العديد من أبرع مقاتليهم تجري في عروقهم دماء سودانية ، وأن الصفات التي نسبوها لآمون كانت مماثلة لتلك التي أضفاها النوبيون على آلهتهم المحلية. كان آمون بالنسبة لهم رمز القوة الخفية التي لا تُقاوم ، التي تتسبب في تكوين

ونمو البشر والحيوانات والنباتات. وفى بعض الأماكن فـى مصـر والنوبة والواحات كان رمز الإله آمـون إمَّـا السُـرَّة [1] أو الـرحم الممتلئ. وكان رمز آمون الذى تم عرضه على الإسـكندر الأكبـر عندما زار معبد جوبيتر آمون فى واحة سيوه هو شئ يشبه السُـرة إلى حد كبير ، وكان مطعماً بالزمرد (أو الفيروز ؟) وبأحجار ثمينة أخـرى – umbilico maxime similis est habitus, smaragdo et gemmis coagmentatus [2]. انتقل اسم آمون إلى النوبة والسودان المصرى على يد ملوك الأسرة الثانية عشرة عندما شنّوا الغارات على هذه البلاد ، حيث وجدت عبادته تربـة خصـبة فنمت وازدهرت. واقتسموا الغنائم التى عادوا بها إلى طيبة مع آمون وجنّبوا العديد من الأسرى والعبيد مخصصين إياهم للإله. وسـرعان ما انتشر صيت آمون إله المحاربين الظـافرين وتزايـدت شـهرته وانتشرت خارج البلاد. وشيئاً فشيئاً اتحدت خواص وقـوى الآلهـة الأقدم من هليوپوليس ومنف وأبيدوس مع خواصه وقواه فى أذهـان كهنته وأتباعه.

زادت قوة آمون وتعاظم مجده أكثر وأكثر تحت حكم ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، وذاعت شهرته عبـر الصـحراء الشـرقية وسوريا. وكما مَنَح النصر لملوك الأسرة الثانية عشرة فى النوبـة ، منح الآن القوات المصرية فى غرب آسيا ظفراً لا يحلم بـه أحـد. وعاد الفراعنة إلى طيبة محملين بغنائم من كل نوع ، وهدايا ثمينـة من الشعوب غير المحاربة فى فينيقيا وسوريا. ويصح أن آمون قـد نودى به " إلهاً للعالم " ، خاصة فى عهد تحتمس الثالث. لم يحـدث

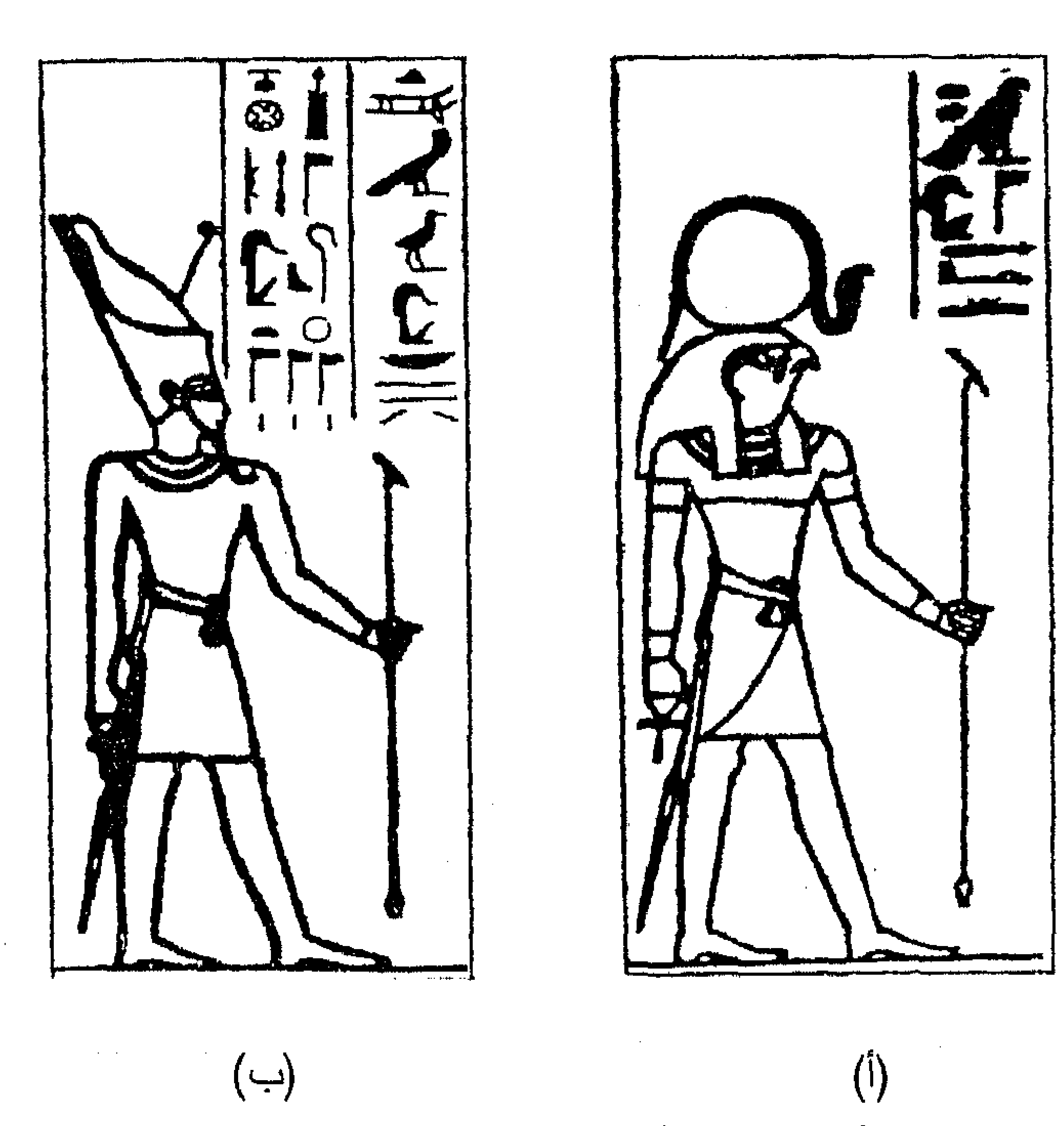
من قبل أن تدفقت مثل هذه الثروات على خزانة معبد آمون – أو آمون رع ، كما سُمى فى البداية – ولم يصل كهنته إلى هذه القوة العظيمة من قبل. كان إمنحتب الأول – ثانى ملوك الأسرة – نصيراً وعضداً قوياً لعبادة آمون ، ويظهر أنه منشئ نظام كهنة آمون ، ولا شك أنه وهب المعبد الكائن فى ابت الشمالية ثروة عظيمة. وكثيراً ما رؤى اسمه واسمه الأول يشغلان أماكن بارزة على توابيت كهنة آمون. بدأ إمنحتب الأول تأسيس نظام قام بترسيخه والتوسع فيه تحتمس الثالث ، الذى وضع نظاماً للكهنوت ، فعيَّن كبيراً للكهنة ، وزودهم بإيرادات وافرة ومنحهم أملاكاً عظيمة لإعاشتهم. تلقّى معبد آمون هدايا لا تُعد ولا تُحصى نتيجة للحملات السبعة عشرة التى قام بها تحتمس الثالث على فينيقيا وسوريا ، وعلى البلد الواقع بجوار مياه الفرات الأعلى ، بالإضافة إلى حصته فى الجزية الواردة من قبرص والسودان. لقد دعّم تحتمس الثالث خزانة آمون ، ونظّم شئون كهنته بشكل جيد ، لم يُضطر معه خليفتاه المباشرين – إمنحتب الثانى وتحتمس الرابع – لشن هجمات غير عادية على غرب آسيا بهدف جمع الغنائم.

قام إمنحتب الثانى – حوالى ١٥٠٠ ق.م. – بتخصيص كل طاقاته لفتح الجزء الجنوبى من السودان المصرى ، الذى توغّل فيه بعيداً حتى مقاطعة " واد با ناجا " التى تبعد حوالى ثمانين ميلاً شمال مدينة الخرطوم الحالية. إلا أنه من المشكوك فيه أنه أحكم قبضته على السودان بعد نباتا (جبل بركل) عند الشلال الرابع. أثناء إحدى حروبه أو هجماته على سوريا قتل أحد رؤساء الخارجين عليه

وأرسل جسده إلى نباتا ليُعلق على أسوار المدينة ، حتى يراه السكان المحليون ويرتعدون. وربما يكون من المؤكد أن كهنة آمون فى طيبة قد اعتنوا عناية عظيمة بإخبار زملائهم فى نباتا أن إلههم آمون هو الذى وهب الملك النصر. كان إمنحتب الثانى خادماً مخلصاً لآمون ، إذ أنه نصب لوحاً عقب عودته من رتنو العليا مدوناً عليه أنه عاد بقلب منشرح بالفرح إلى آمون الأب ، لأنه أطاح بأعدائه ، ووسَّع حدود مصر ، وفتك بسبعة رؤساء بهراوته بينما كانوا يعيشون فى " تخسى " ، وعلَّق أجسادهم ورؤوسهم لأسفل على مقدمة قاربه عندما أبحر صاعداً فى النيل إلى طيبة.

خَلَف إمنحتب الثانى – حوالى ١٤٥٠ ق.م. – إبنه تحتمس الرابع ، الذى يبدو أنه كان مديناً فى ارتقائه العرش ، ليس لكهنة آمون ، بل لكهنة هليوبوليس. لم تكن لأمه منزلة ملكية ، ويحتمل أن تعاطفها الدينى كان مع آلهة هليوبوليس الشمسية القديمة وليس مع آمون – أو آمون رع – إله طيبة. يوجد نقش هام يلقى الضوء على موضوع اعتلاء تحتمس الرابع العرش على لوح ضخم من الجرانيت الأحمر ، وُجد قائماً بين كفى أبى الهول فى الجيزة ، أمام صدره مباشرة. وطبقاً للنص ، كان الأمير الصغير تحتمس يصطاد فى الجيزة وجلس ليستريح فى ظل أبى الهول ، فنام هناك ليظهر له فى الحلم إله الشمس المربَّع الأضعاف – حوراختى خپرى رع تِم – ويعده تاجى مصر إذا هو أزاح عن أبى الهول ومعبده رمال الصحراء التى ابتلعتهما. كان يُعتقد وقتها أن أبا الهول هو صورة ومحل إقامة تِمو حوراختى ، الإله الشمسى الذى اتحدت فيه خواص

وقوى تِم – إله الشمس الأقدم لهليوبوليس – وحوراختى ، الذى مازال أقدم إله شمس. وفعل تحتمس كما أراد الإله – أى كما أراد كهنة هليوبوليس – وبفعل هذا ساعد على تقدم طموحهم السياسى وضمن مساعدتهم فى الحصول على العرش.



(أ) (ب)

أ– حوراختى ، أى حورس الأفقين ، الإله العظيم. رع ، صورة إله الشمس فى منتصف النهار ، كثيراً ما صُور بهذا الشكل.

ب– تِمو ، سيد الأرضين ، إنو (أون) إله عظيم ، حاكم الآلهة التسعة. يحتمل أنه أقدم إله برأس بشرى فى مصر.

خلال عهده القصير – حوالى ٩ سنوات – قام تحتمس الرابع بشنّ هجمات على سوريا والسودان المصرى ، وقد حصل معبد آمون – بدون شك – على نصيبيه من الغنائم التى عاد بها. وفى الواقع ، يحتوى نقش فى الكرنك على قائمة بهداياه لآمون عند عودته من حملة ناجحة تماماً. ويمكن أن نلاحظ عرضاً أنه مع أن اسم آمون يشكل جزءاً من اسمه الشخصى ، فإن اسمه النبتىّ كان " المتمكن من السلطان مثل تِم ".

تبع فتح آسيا الغربية على يد أحمس الأول وخلفائه المنتصرين ، زيادة عظيمة فى الإتصالات التى تمت بين مصر وشعوب سوريا وميتانى وآشور وبابل. زادت التجارة بين هذه البلاد، ولم تنقل القوافل التجارية البضائع والمنتجات فقط من بلد لآخر، لكنها نقلت أيضاً معلومات عن أخلاق وعادات وديانات الشعوب المختلفة التى اتصلت بها. ويظهر أن تحتمس الرابع هو أول ملك مصرى يدخل فى علاقات صداقة مع ملوك كارادونياش (بابل) وميتانى. إذ يخبرنا توشراتّا ملك ميتانى – فى خطاب[3] أرسله إلى إمنحتب الرابع – أن أبا أبيه – إمنحتب الثالث – أرسل لجده – أرتاتاما – وسأله أن يزوجه ابنته ، وبعبارة أخرى طلب تحتمس الرابع الزواج من أميرة ميتانى. كرر تحتمس الرابع طلبه ست مرات بلا جدوى ، وفى المرة السابعة أعطى ملك ميتانى ابنته لملك مصر. ولُقبت كملكة لمصر بإسم: " الأميرة الوارثة ، السيدة العظيمة رئيسة الجنوب والشمال ، الأم الملكية العظيمة ، موت م ويا "

وحضرت الأميرة إلى مصر مخفورة – بالطبع – بعدد من قومها ، ومن المحتمل جداً أنها هى وأتباعها أدخلوا آراء دينية تآلفت مع آراء كهنة هليوپوليس أكثر من آراء المنذورين لعبادة آمون.

قليل هو المعروف عن مملكة ميتانى وشعبها. يوجد خطاب فى {متحف} برلين مكتوب بلغة ميتانى ، التى درسها علماء الأشوريات دراسة خاصة وعيَّنوا لها مكاناً وسط " المجموعة القزوينية Caspian group" ويميلون إلى مقارنتها باللغة الجورجية Georgian ، وقالوا أن أصلها آرى Aryan[٤]. ووردت أسماء أربعة من آلهتهم فى نص المعاهدة التى عُثر عليها فى بوغاز كوى Boghaz Keui {شرق أنقرة ، فى تركيا} ، وقد أقسم الميتانيون بهم فى مراعاة المعاهدة [٥]. هؤلاء الآلهة هم:

١- [illegible]

٢- [illegible]

٣- [illegible]

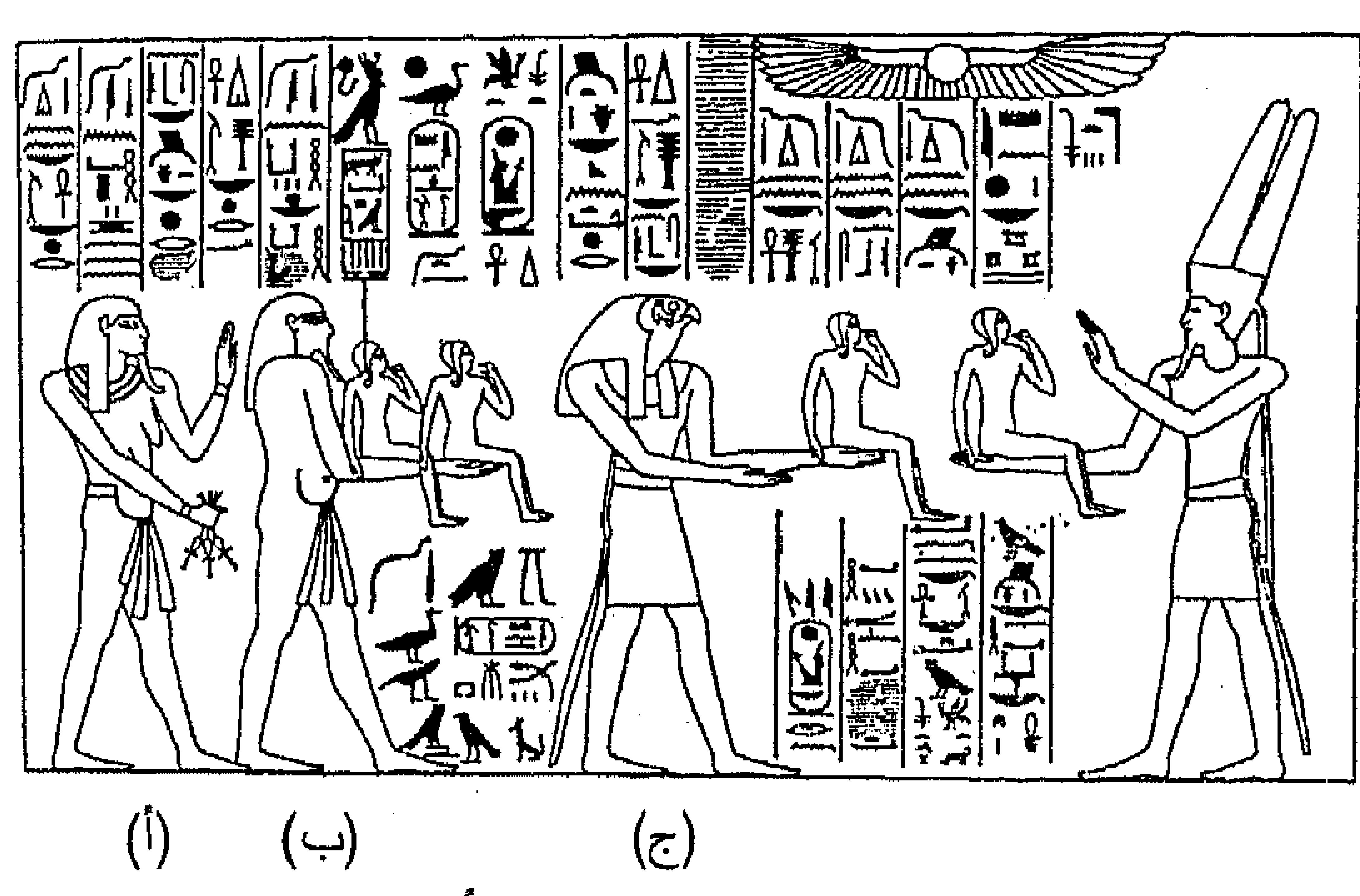
٤- [illegible]

بعد حذف المخصصات {التى تبدأ بها الأسماء}[٦] ، يمكن قراءة هذه الأسماء على النحو التالى: ١- مى إت را أش شى إل. ٢- أُو رو وا نا أش شى إل. ٣- إن تار. ٤- نا شا أت تى يا أن نا. ويبدو أنه لا شك فى تحقق صلة هذه الأسماء بالآلهة الهندية ميترا (ميثراس) وڤارونا وإندرا وناساتيّا. الطبيعة الشمسية والسماوية لهذه الآلهة الهندية تشترك فى الكثير من جوانبها مع آلهة هليوپوليس الشمسية ، وإذا كانت أميرة ميتانى التى تزوجت تحتمس الرابع قد نقلت عبادتها

إياهم إلى مصر ، فمن اليسير أن نصدق أن تعاطفها ودعمها الدينى سوف يذهبان إلى تم والآلهة المشتركة معه في الأصل ، وليس إلى آمون. ومع وصولها إلى طيبة ، وصل تأثير معادٍ لآمون ، إلا أن عهد زوجها كان قصيراً جداً لم يمكنه من إحداث أى أثر جوهرى.

خلف تحتمس الرابع إبنه مِن الملكة موت م ويا ، الذى اعتلى العرش بإسم إمنحتب الثالث ، وهكذا شكَّل اسم الإله آمون مرة أخرى جزءاً من الإسم الشخصى للملك الحاكم. معنى اسمه ذو دلالة " آمون قانع أو راضٍ ". حكم حوالى ست وثلاثين سنة ، من النصف الثانى من القرن الخامس عشر قبل الميلاد تقريباً. وكانت هناك أسطورة [٧] متداولة فى مصر فى عهد الإمبراطورية القديمة جاء فيها أن الإله رع أتى إلى الأرض – منتحلاً شكل كاهن رع ، المتزوج من روددید* – وصاحب زوجته لتنجب منه ثلاثة أبناء ، كل منهم أصبح ملكاً لكل مصر. منذ ذلك الحين وضع كل ملك قبل إسمه الشخصى لقب سا رع " إبن رع ". وبعد ذلك بما يقرب من ألفى سنة ، زينت الملكة العظيمة حتشبسوت معبدها فى الدير البحرى بنقوش بارزة ، نُحتت عليها مشاهد تتصل بحملها وميلادها. يظهر فيها الإله آمون – فى الشكل البشرى لأبيها تحتمس الأول – تصحبه الملكة أحمس ، وتثبت النقوش أن حتشبسوت آمنت أنها من نسل الإله وأن دمه الإلهى يجرى فى عروقها.[٨] وكما انتحل آمون فى عهد الأسرة الثامنة عشرة كل قوى وخواص رع هليوبوليس – أبو الملوك الذين حكموا من منف – كان من المناسب تماماً أن يتخذ هيئة بشرية ويصبح الأب الفعلى للملوك الذين حكموا من طيبة ، مدينته. نفس

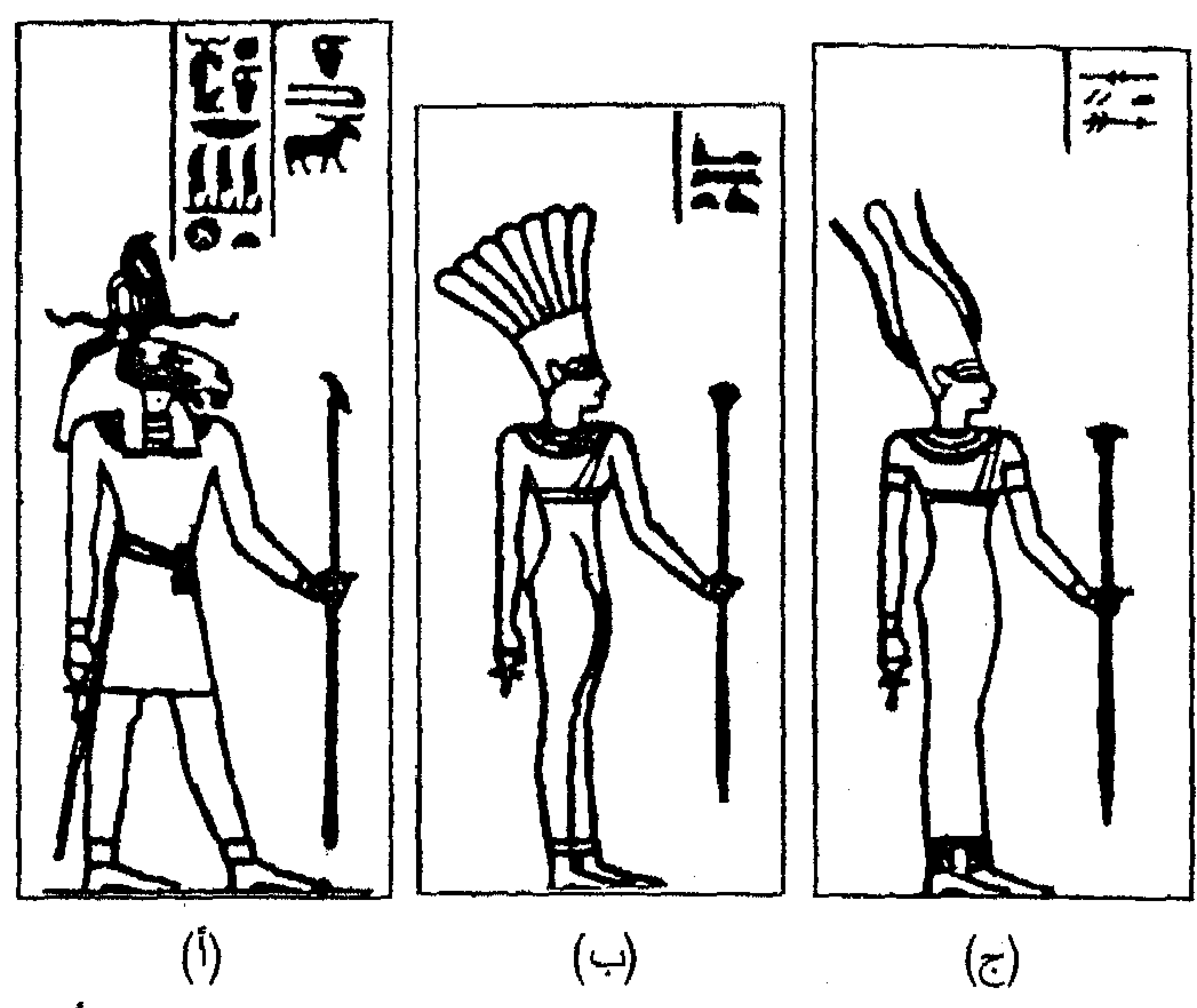
القصة أشاعها كهنة آمون عن إلههم وعن إمنحتب الثالث. تبعاً للنقش الثابت فى الحرم المقدس للمعبد الذى بناه فى شمال ابت تكريماً لآمون وموت وخونسو ، حضر آمون إلى الملكة موت م ويا فى الشكل البشرى لتحتمس الرابع ، وأنجب منها إبناً حكَم باسم إمنحتب الثالث. كل تلك المناظر والنصوص تم نسخها من النقوش المماثلة لها فى معبد حتشبسوت ، والتى يحتمل أنها بدورها قد نُسخت من مستند متداول ألَّفه كهنة آمون فى بداية عهد الأسرة الثامنة عشرة ، ربما بإشارة خاصة لإمنحتب الأول.



(أ) (ب) (ج)

نقش بارز يمثل إمنحتب الثالث تجسيداً لآمون رع.

أ- إله النيل يقدم القرابين. ب- حكا يحمل إمنحتب الثالث والكا {الخاصة به}. ونرى فوق الطفل أسماءه وألقابه وفوق الكا إسمه الحورسى. ج- حورس يقدم الطفل الإلهى والكا لآمون رع ، الذى يقر بأن الطفل ابنه ويخاطبه.

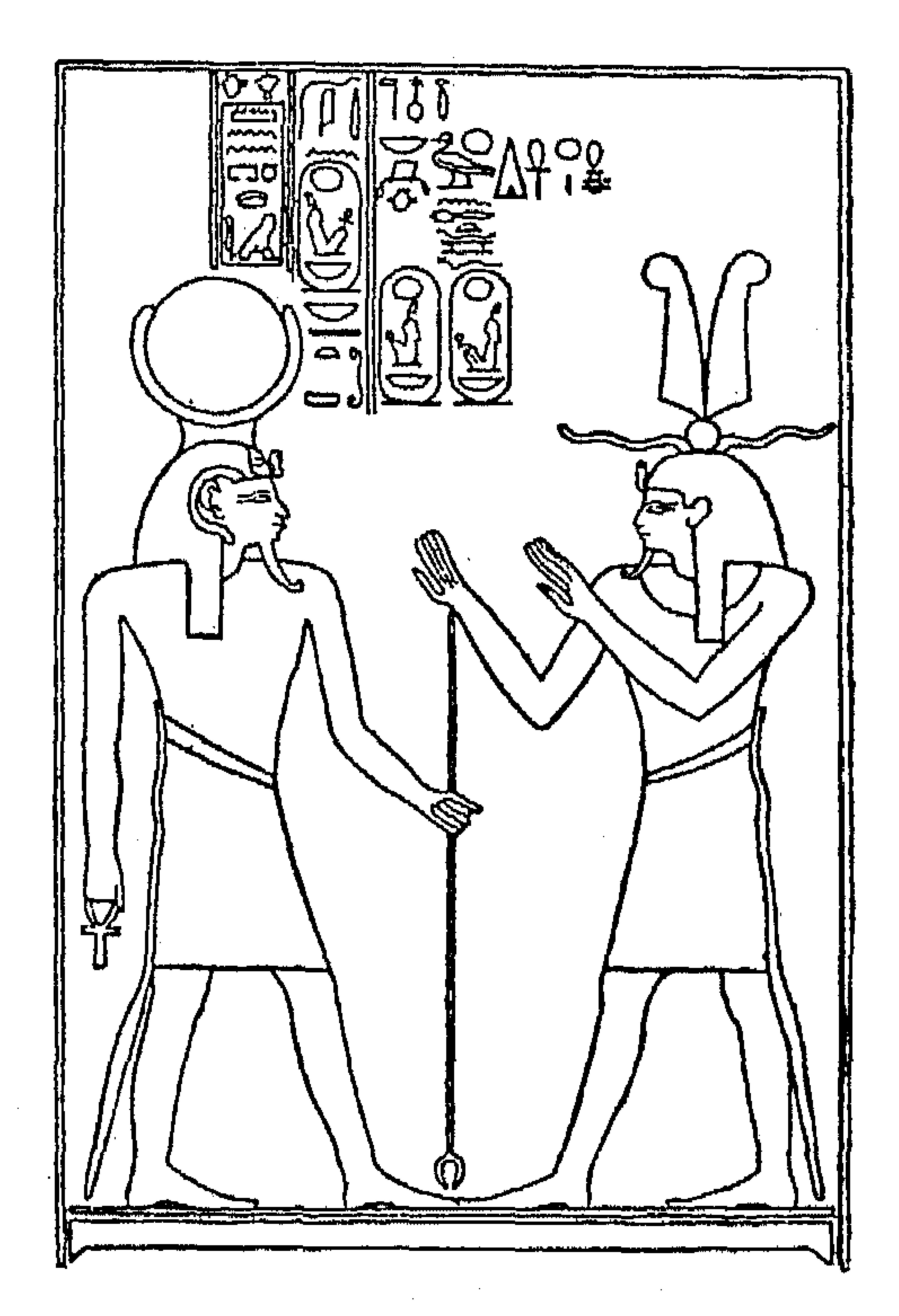


(أ) (ب) (ج)

ثالوث الشلال الأول ، الذى بنى إمنحتب الثالث على شرفه معبداً فى إلفنتين. أ- خنم المتجسد فى شكل كبش. ب- عنقيت النظير الأنثوى لخنم. ج- ساتى إبنة خنم وعنقيت.

مهما كانت الآراء التي تمسك بها إمنحتب الثالث فيما يتعلق بآمون وعبادته ، فإنه لم يسمح لها أن تعارض أو تعوق ولاءه المعروف لذلك الإله. وتثبت هذه الحقيقة أعمال البناء التى قام بها فى الأقصر وهداياه لمعابد وكهنة آمون فى أنحاء البلد. لكنه كرَّم الآلهة المصرية الأخرى خلاف آمون ، إذ بنى معبداً لخنوم فى إلفنتين {فى أسوان} – وهو إله قديم جداً فى منطقة الشلال الأول. وبنى معبداً كبيراً بإسم حت خع م ماعت [illegible] فى صولب فى السودان المصرى ، ليخلد ذكر انتصاره على النوبيين فى العام الخامس من

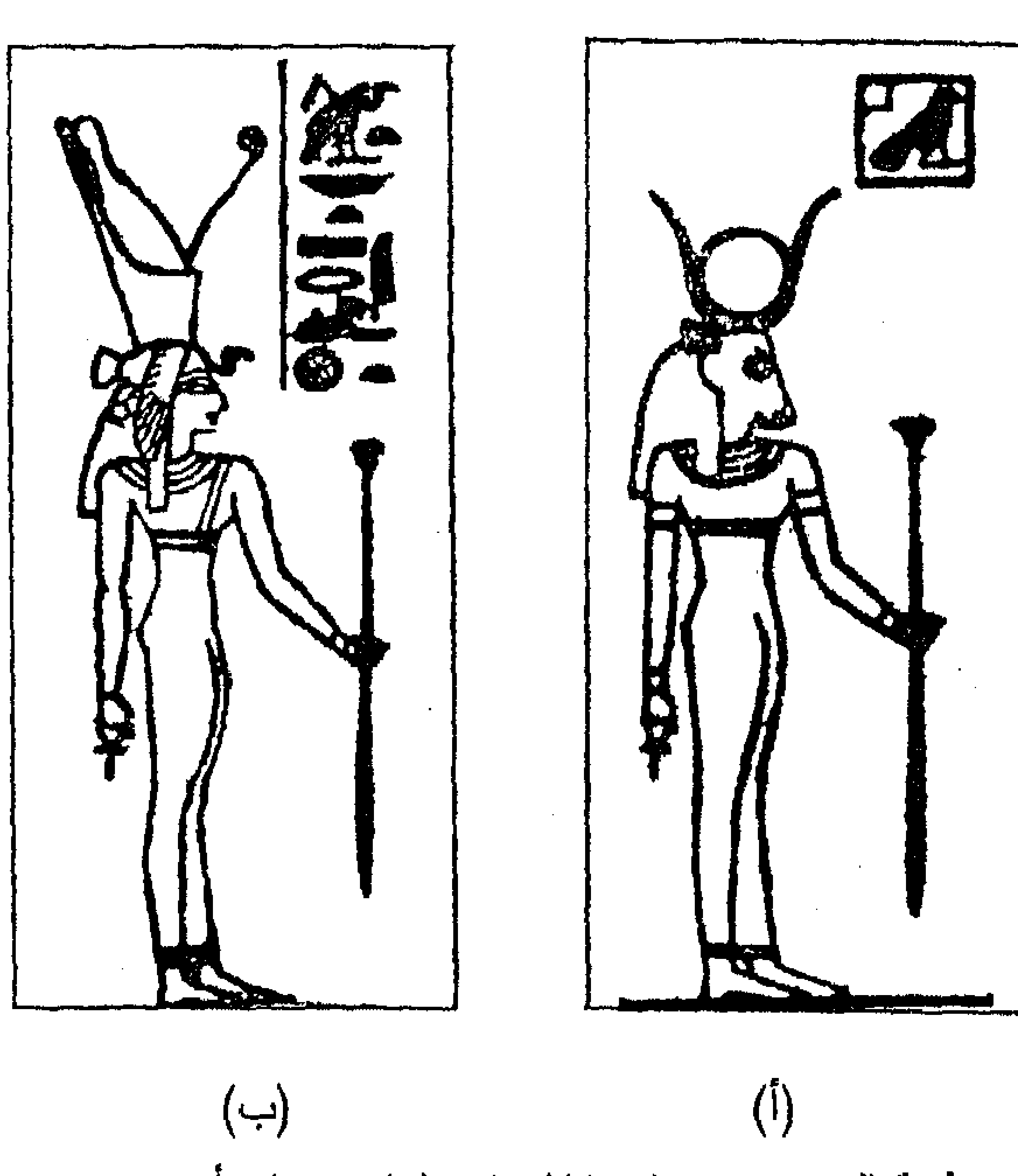
عهده. أهداه لآمون الأب ، سيد عرشى الأرضين ، إلى خنوم وإلى " صورته الحية على الأرض ، نب ماعت رع ".[٩] فى نقش بارز نشره ليسيوس Lepsius [١٠] نراه متعبداً لنفسه ، مثل سيد تاكنست {أرض النوبة}. فى العديد من المناظر المنحوتة على الجدران تم تمثيله وهو يقدم القرابين لآمون رع وخنوم وآلهة أخرى وكثيراً ما كانت تصاحبه زوجه تى. وفى سادنجا بنى معبداً لتى كإلهة للسودان.



إمنحتب الثالث متعبداً لنفسه بصفته عضواً فى الثالوث

فى معبد صولب.

في مصر - في كل الأحوال - لم يُمنع الناس من عبادة الآلهة القديمة للبلد ، وما فعله كبار موظفيه علانية واضح من اللوح الجرانيتى الرمادى اللون للمعماريين حِر وسوتى {المحفوظ} في المتحف البريطانى.[11] هذا اللوح على شكل باب مقبرة وله إفريز بسيط وحافة مرتفعة. فى الجزء العلوى من القطعة الوسطى نجد عينان - أوتشات 𓂀𓂀 - أو عين الشمس وعين القمر ، والقرص المجنح {للشمس} ، وأسفل هؤلاء أشكال أوزيريس وأنوبيس وقد طُمست أشكال المعماريين وزوجيهما.



(ب) (أ)

أ- هاتور طيبة التى تجسدت فى شكل بقرة لها جسد امرأة.

ب- موت - سيدة اشر - النظير الأنثوى لآمون رع.

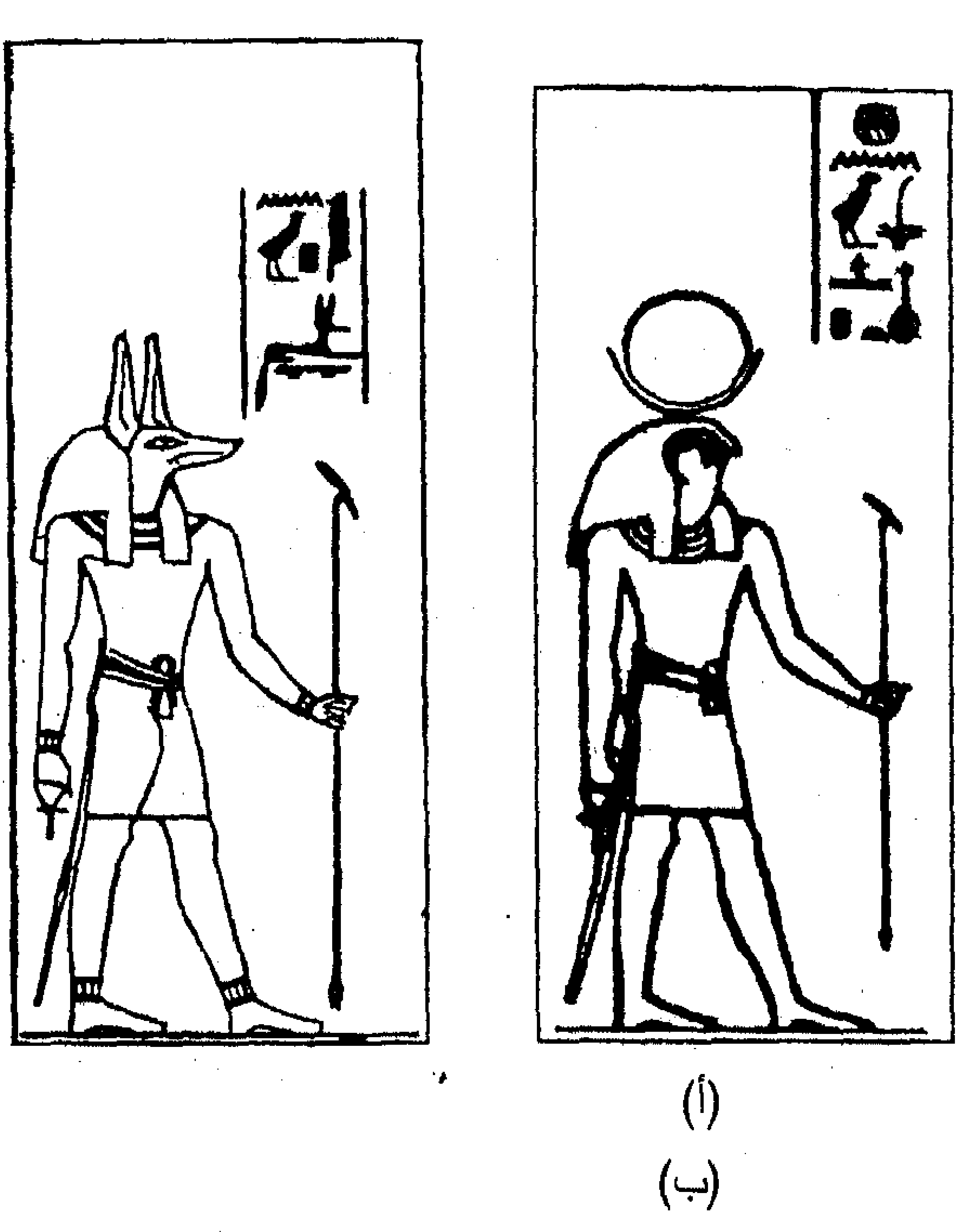
فى النقوش أعلى القطعة الوسطى ، يتضرع حِر إلى:
١- هاتور طيبة - سيدة الإلهات - لتمن عليه بالتقدم إلى حضرة (الإله) و٢- خونسو ليعطيه كل الأشياء الجيدة والحلوة والسارة و٣- هاتور طيبة لتستقبلهم فى المعابد. ويتضرع سوتى إلى:
١- آمون رع ليعطيه وجبات طعام قبرية في هرمونثيس و٢- موت لتعطيه كل الأشياء الجيدة و٣- هاتور الجبَّانة لتعطيه حياة جميلة وسرور على الأرض.

على الجانب الأيمن للقطعة الوسطى يتضرع حِر إلى:
١- رع حوراختى - سيد السماء - ليدعه يرى آتون وينظر إلى القمر كما فعل على الأرض و٢- إنپو (أنوبيس) ليعطيه جنازة جميلة بعد عمر طويل ومدفناً فى الجزء الغربى من طيبة و٣- الملكة الإلهية نفرتارى لتعطيه الأنفاس الحلوة لريح الشمال والبرودة والخمر والتقدم إلى حضرة (الإله).

على الجانب الأيسر للقطعة الوسطى يتضرع سوتى إلى:
١- أوزيريس - حاكم الأبدية - ليعطيه فطائر وقرابين فى حضرة أون نفر و٢- سِكر - سيد غرفة التابوت - ليدعه يدخل ويخرج من العالم السفلى بدون معارضة لروحه ، فى سرور و٣- إيزيس - أم الإله - لتمنحه القدرة أن يتجول بحرية فى " بقا " (أبيدوس) بأمر الإله العظيم.

ثم نجد هنا هذين الموظفين الكبيرين ، أحدهما المشرف على العمل فى معبد الكرنك ، والآخر المشرف على العمل فى معبد الأقصر ، رجلين من المتعلمين المثقفين ، يصليان من أجل النوايا

الحسنة والعون والمعروف من هاتور المدينة ، وهاتور الجبَّانة ، ومن موت قرينة آمون ، ومن خونسو إبن آمون وموت ، ومن إله الشمس القديم رع حوراختى ، ومن إنپو إله المقابر ، ومن نفرتارى الملكة المؤلَّهة لأحمس الأول ، ومن أوزيريس إله وقاضى الموتى ، ومن إيزيس قرينته ، ومن سِكر الإله القديم للعالم السفلى فى منف.

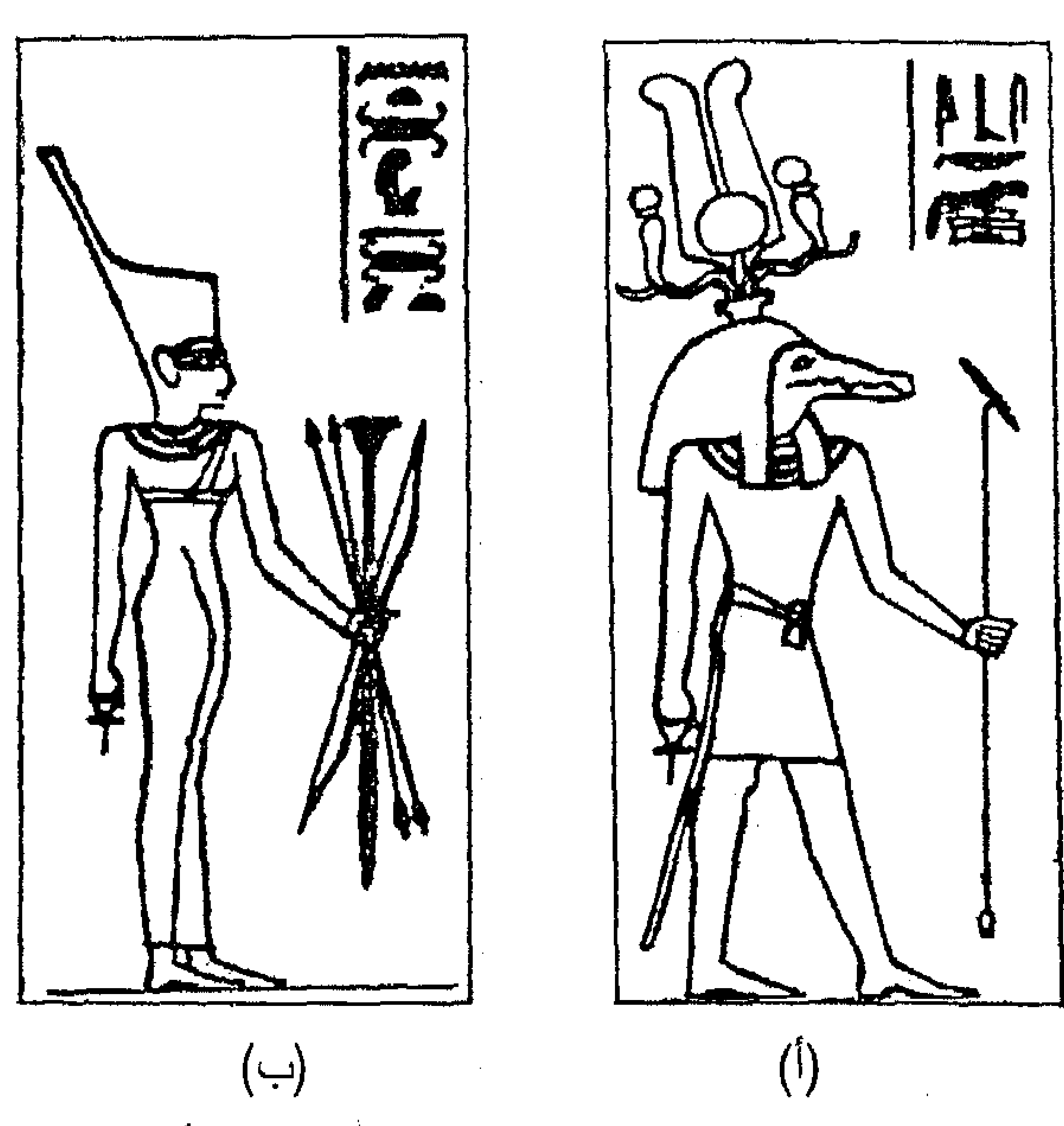


(أ)

(ب)

أ- خونسو إله القمر ، العضو الثالث فى الثالوث الطيبى العظيم: آمون رع وموت وخونسو. ب- انپو أو أنوبيس ابن ست ونفتيس.

لم يُذكر آمون مع هؤلاء الآلهة القدامى ، الذين ارتضى حر وسوتى أن يودعا روحيهما بين أيديهم بعد الموت. لكن آمون كان الإله العظيم لمدينتهما ، وإليه يدينان بوظيفتيهما وبالخبز اليومى ، وأقرًا بقوته في الترتيلة التى أمرا بحفرها على القطعة الوسطى من لوحهما الجنائزى. ولهذه الترتيلة أهمية كبيرة ، لأن اللوح مؤرخ فى السطر الخامس عشر ، ويذكر اسم الملك الذى قاما بخدمته ، إمنحتب الثالث. إنها قصيرة للغاية ، تتكون من أقل من ثمانية سطور ، وتخبرنا القليل عن آمون. الكلمات الافتتاحية تقول أنها ترتيلة لآمون عندما يشرق مثل حوراختى ، بمعنى أنها موجهة لآمون بصفته كإله شمسي. ويمكن توجيهها لرع أو حورس أو أى إله شمسى سواء بسواء. يدعو الكاتب الإله " الجمال اليومى الذى لا يُخفق أبداً فى الشروق " ويُصنفه مع خپرى – إله الخلق القديم – القوى فى الأعمال. أشعته التى تضرب الوجه لا يمكن معرفتها (أو تقديرها)، والمعدن الساطع البراق بتألقه المدعو تشعم لا يمكن مقارنته من حيث الروعة مع ظهوره الجميل. لقد صُنعت القمم الهرمية الشكل للمسلات من معدن التشعم وكان بريقها يُرى من بُعد عدة فراسخ. فى السطر الثالث ورد أن لآمون پتاح-تو أى أنه تم تصميمه ، تماما مثلما يتم تصميم شىء ما أو تخطيط رسمه بواسطة رسام ، ويبدو أن المعنى الصحيح للكلمة أن آمون صمَّم شكله. وبعد ذلك " كسا أطرافه بصفائح معدنية " أى أعطاها مظهر الصفائح المصنوعة من معدن تشعم. ويتبع هذا البيان النص التالى " يمنح الميلاد ولم يولد ، الوحيد فى ميزاته وخواصه وقدراته وفعاله ".

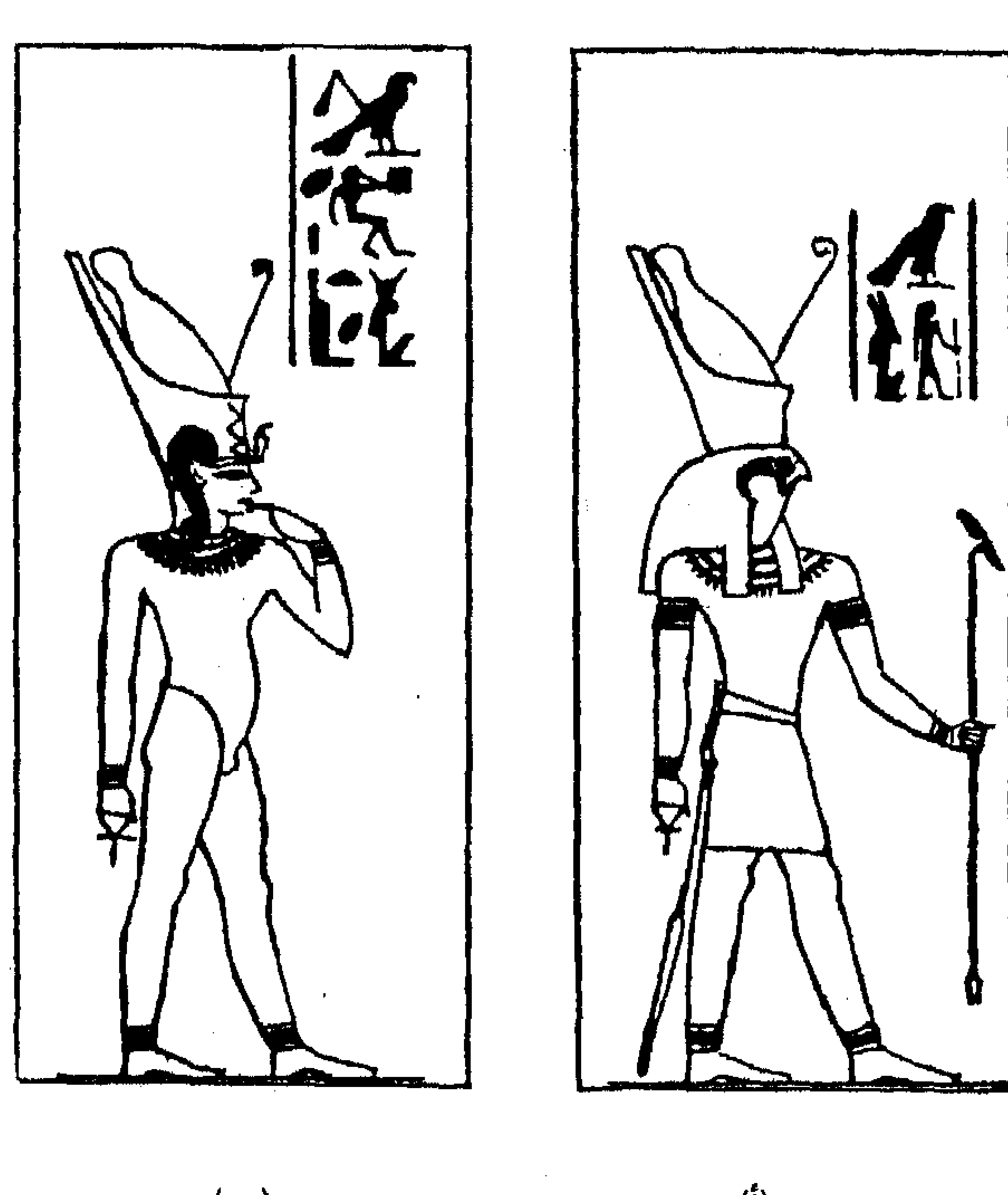


(ب) (أ)

أ- سبيك إله التمساح القديم. ب- نت (نيث) النظير الأنثوى لسبيك أو سبك.

هكذا نعلم أن آمون مثل خپرى ، صمَّم نفسه وخلقها وأوجدها على هيئة لم تولد أبداً مثل المخلوقات المعتادة ، وأنه واحد أحد لا كُفء له ولا شريك ولا نظير. ويشير الكاتب بعد ذلك إلى أمد وجود الإله بصفته مجتازاً للأبدية ماراً عبر طرق ملايين السنين بشكله {نفسه}. روعته هى روعة السماء ، ومع أن " كل الناس يرون مروره ، فإنه خفى عن وجوههم " (بصفته الإله " الخفى "). يسافر فوق المياه السماوية مسافات شاسعة فى لحظة من كل يوم. لا ينقطع عمله ، وكل واحد يراه ، لا يتوقف أبداً عن فعل ذلك. عندما يغرب يشرق على سكان " دوات " {العالم الآخر}، وتشق أشعته طريقها إلى

[عيون الموتى] (؟). عندما يغرب فى الأفق الغربى يرقد الناس نياماً بلا حراك مثل الموتى. بهذه الكلمات تصل ترتيلة آمون إلى نهايتها.



(ب) (أ)

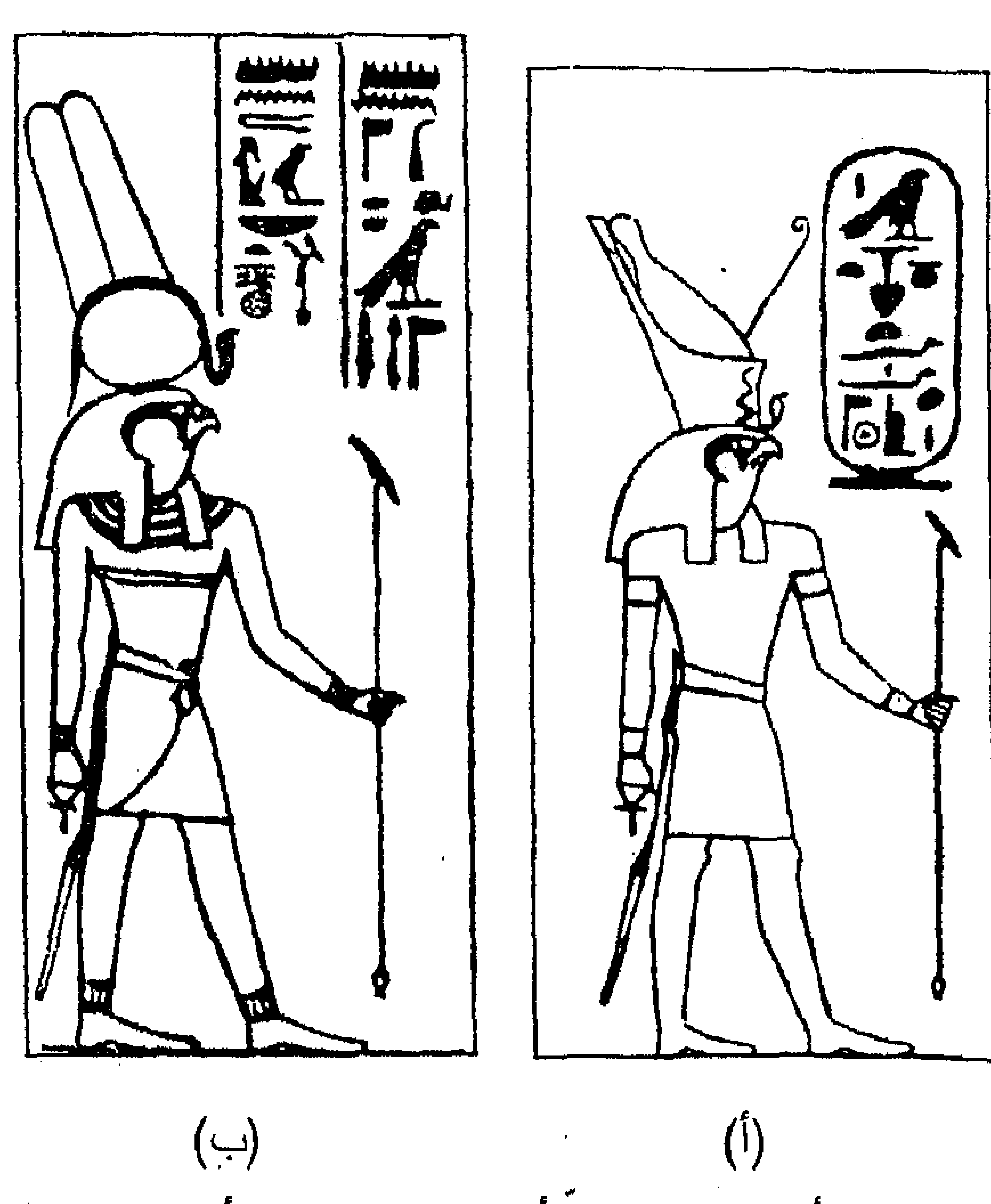
أ- حرِ سمسو ، أو حورس المسن.

ب- حرِ پا خَرت (هارپوكراتيس) ، أو حورس الطفل.

لابد أن عبادة آتون أحرزت تقدماً كبيراً فى طيبة ، خلال حياة التوأمين حرِ وسوتى ، لأنه بالرغم من ولائهما الواضح لآمون ولآلهة الشمس القديمة للبلد ، ولأوزيريس وإيزيس ، أمرا بحفر

ترتيلة لآتون على لوحهما الجنائزى. ليس لها عنوان ، وتتبع ترتيلة آمون مباشرة ، مبتدأة بالكلمات " الجلال لك يا آتون النهار ! " المدعو " خالق الرجال والنساء ، صانع حياتهم " والمصنَّف مع " الصقر العظيم ذو الريش المتعدد الألوان ". قام بفعل الخلق الذى " رفعه " [من اللجَّة المائية البدائية]. " خالق نفسه ، {الذى} لم يولد ". وتم تصنيفه بعد ذلك مع " حورس المُسن " القاطن فى نوت ، أقدم إله شمسى أو إله سماوى فى مصر ، الذى يصفق مبتهجاً عند الشروق وعند الغروب. خلق الأرض (؟). الكلمات التالية – خنم امن حنممِت – صعبة الفهم. إذا كان كاتب الترتيلة قصد تعريف آتون أنه خنم-امن ، إله منطقة الشلال الأول ، فهذا ممكن فهمه. لكن كيف يلائمه اسم حنممِت – إذا كانت هذه هى القراءة الصحيحة ؟[١٢] كما دُعى آتون بعدها " فاتح الأرضين من أقصاها إلى أدناها ". تواجهنا صعوبة أخرى فى فهم الكلمات " الأم المجيدة للآلهة والبشر " والكلمات التى تليها " الصانعة الماهرة الكريمة ، العظيمة ، ذات العمل المزدهر " التى يبدو أنها تصف تلك الأم. ربما رغب كاتب الترتيلة أن يماثل آتون بأم مثل هذه ، أو أنه نظر إلى آتون على أنه أب-أم. بعد سطر آخر يحتوى على تلميحات مبهمة نقرأ " ما أروع نتاجه إذ يرتفع بجماله من رحم نوت ، ويضىء الأرضين بآتونه (قرصه)! هو پاوتّى (المادة البدائية التى صُنع منها العالم وكل ما فيه) خالق نفسه. هو السيد الأحد. صنع الفصول من الشهور ، الصيف لأنه يحب الحرارة ، والشتاء لأنه يحب البرد ، [خلال ما سبق] أنهك أجساد البشر. القردة تنشد له التراتيل عندما يشرق كل

يوم ". وما يلى ذلك على اللوح يتعلق بحياتى حِر وسوتى ونصه مترجم فى الفصل التالى {ترتيلة لآمون وآتون}.



(ب) (أ)

أ- حِر نتش تفّ أو حورس المنتقم لأبيه.

ب- حوراختى على هيئة منت أو منثو إله الحرب من هرمونثيس.

إذا حكمنا بناءاً على ما ورد فى ترتيلة آتون ، لوجدنا أن أصل وطبيعة وخصائص آتون تشبه إلى حد كبير ما لآمون. فكلاهما مصنفٌ مع آلهة مصر القديمة. كل منهما مصرَّح بأنه خلق نفسه ولم يولد ، لذلك لم يُنجبه أحد ، وأُطلق على كل منهما لقب " الواحد ".



لوحة ٣: رأس تمثال ضخم لإمنحتب الثالث ، مرتدياً فوق جبهته الكوبرا المقدسة ، رمز السلطان. عثر عليه السيد H. Salt أثناء تنقيبه قرب التماثيل الهائلة فى طيبة الغربية {يقصد تمثالى ممنون المشهورين}.
المتحف البريطانى ، القاعة الشمالية للآثار المصرية.

من الطريف أن نلاحظ أن آتون مصنَّف مع باوتّى - أقدم الآلهة - ومع حورس المُسن أو حورس الأكبر. وبناءاً على ما ورد من أن آتون أوجد الصيف والشتاء والشهور فمن الواضح أن عرفاً ما - ربما يعود إلى فترة ما قبل الأسرات - ربطه بإله السنة البدائى. هذه الترتيلة تُظهر أن مهندسينا المعماريين نظرا إلى آتون كإله مصرى تماماً ، وكإله يمكن ويجب أن يُعبد جنباً إلى جنب مع آمون ، الذى تنازل وأنجب ربهما وسيدهما إمنحتب الثالث.

على الرغم من تأثير أمه - الأميرة الميتانية - وزوجاته - وبعضهن من ميتانى أيضاً - فقد دعم إمنحتب عبادة آمون فى كل البلد ، وواصل المعاملة الجيدة لكهنة آمون. وذُكر فى ذلك الحين تعزيز تحتمس الثالث لذلك النظام ، ويبدو أن هذا الملك أسَّس - أو على كل الأحوال - أقر القيام يومياً بطقوس دينية هامة جداً فى حرم آمون فى معبد الكرنك. وفى داخل الحرم وُضع ناووس - أو مقام - يحتوى على تمثال من الذهب أو الخشب المذهب لآمون ، له رأس وذراعان وساقان قابلة للتحريك ، وفى بعض الأحيان حل قارب محل المقام ، وفى هذه الحالة كان التمثال الذهبى يوضع داخل المقصورة. وكان يمثل الإله قائماً أو جالساً على عرش. وأثناء الصلاة كان الملك - أو مندوبه - يطهر الحرم ويطهر نفسه بحرق البخور وسكب الماء العذب تكريماً للإله. ثم يتقدم نحو الناووس ، ليكسر الختم الذى يغلق بابيه ، وينحنى إجلالاً لتمثال الإله. وبعد أن يقوم بأداء شعائر أخرى للتطهير أمام التمثال ، يتقدم ويعانقه حتى تحل روح الإله فى جسده. ثم يغلق الناووس ويغادر الملك الحرم ،

لكنه يعود فوراً ليفتح الناووس من جديد ويقوم بأداء أفعال أخرى للإجلال ، ويقدم القرابين التى تتضمن تمثالاً للإلهة ماعت 𓁦 ، أو الحق. بعد ذلك يكسو الملك التمثال بثياب رمزية ، ويطهره ويمسحه بدهون عطرية وعطور ، ويضع عليه قلادة وتمائم وخواتم وغيرها. بهذه الأفعال يقصد الملك الإشارة إلى أنه – إبن الإله – يقدس أباه ، تماماً مثلما يُجل الأطفال بشكل عام آباءهم وأمهاتهم فى المقبرة. خلال بعض هذه المراسم يضع الإله يديه على جسد الملك ، وبهذا الفعل ينقل إليه سائل الحياة ، الذى يُمكن الملك من أن يحيا يوماً بعد يوم ، وأن يحكم شعبه بالحكمة والعدل. الآن تمكن الملك من القيام بدوره فى هذا الطقس الدينى المهيب العظيم فى طيبة على أتم وجه ، لكنه لا يمكنه التواجد فى نفس الوقت فى أبيدوس أو أى مكان آخر من أرض مصر. لهذا تم اختيار مندوبين يمثلون الملك فى طيبة ومدن أخرى ، يُنظر إليهم فى كل مكان نظرة تبجيل لما يقومون بأدائه من مهام مجيدة. وأثناء أداء هذه الشعائر والطقوس ، يتم إنشاد التراتيل لآمون أو آمون رع ، وفيما يلى نماذج منها [١٣]:

١- " الجلال لك ، يا آمون رع ، سيد طيبة ،

أنت شاب ، حلية الآلهة !

كل الرجال يرفعون رؤوسهم ليحدقوا فيه.

أنت السيد ، الرهبة الملهمة ، تسحق أولئك الذين يثورون (عليك).

أنت ملك كل الآلهة.

أنت الإله العظيم ، الواحد الحى.

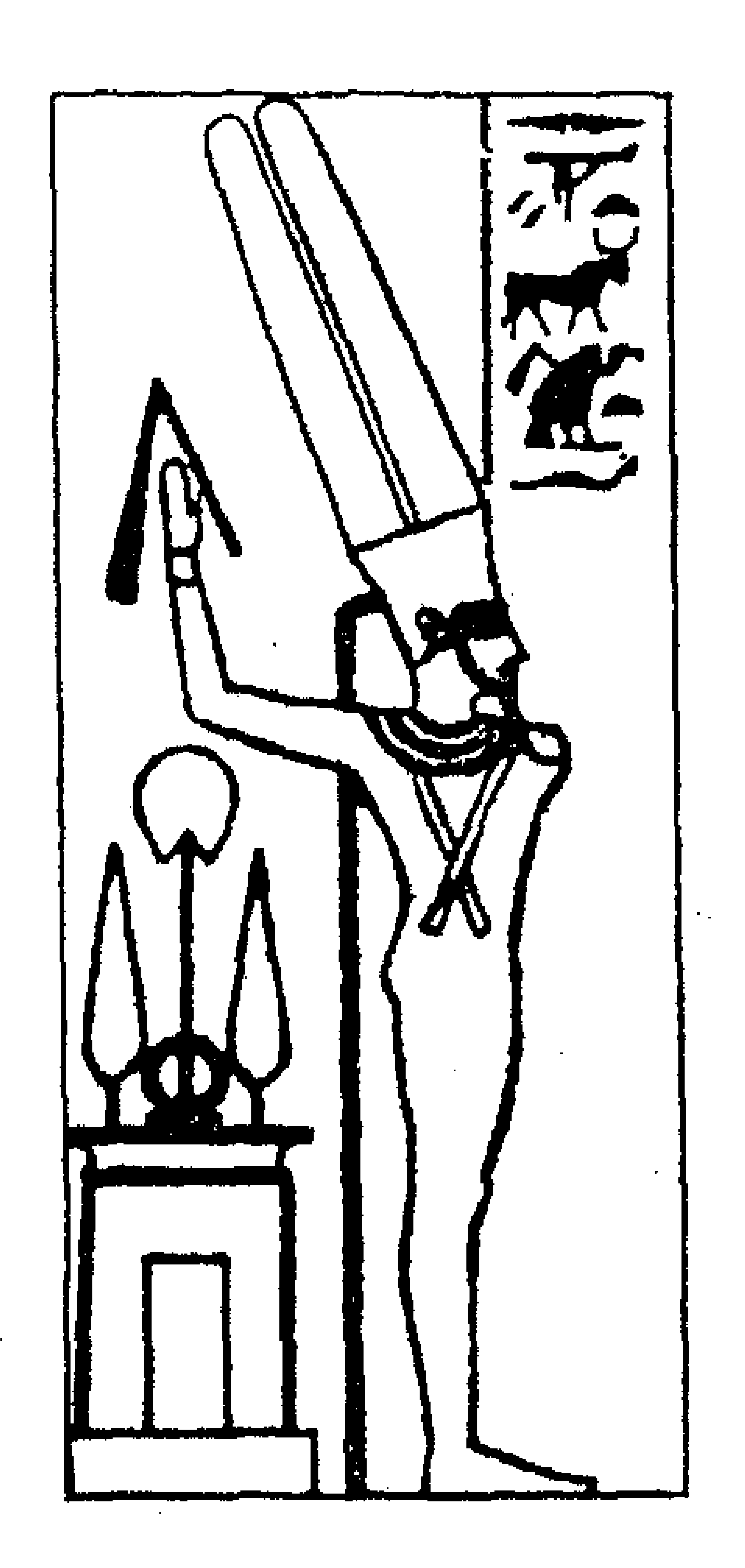
أنت محبوب لأجل كلماتك ،

(التى هى) رضا الآلهة.

أنت ملك السماء ، أنت صنعت النجوم.

أنت تشعم (ذهب) الآلهة (أى الذهب الذى صنعت منه الآلهة).

أنت صانع السماء ، أنت فتحت الأفق وأوجدت الآلهة تبعاً لأوامرك.



منو كا موت ف ، أو منو ، ثور أمه ، إله المولد الجديد والرجولة يُصنف معه آمون وآمون رع.

(يا) آمون رع ، سيد عرش الأرضين ، رئيس ابت ، آمون رع ، ثور أمه ، الذى هو على عرشك العظيم ، سيد الأشعة ، صانع الحشود ، إله الريش الشامخ ، أنت ملك الآلهة ، الصقر العظيم ، الذى يبهج الصدر. تمجدك كل الكائنات العاقلة (لأنها) حية."

٢- " راقب ، فى سلام ! أنت تراقب فى سلام. راقب {يا} ، آمون رع ، سيد عرش الأرضين ، فى سلام.

راقب ، فى سلام ! أنت تراقب فى سلام. راقب {يا} ، زعيم أون ، الواحد العظيم فى طيبة ، فى سلام.

راقب ، فى سلام ! أنت تراقب فى سلام. راقب {يا} ، خالق الأرضين (مصر) ، فى سلام.

راقب ، فى سلام ! أنت تراقب فى سلام. راقب ، {يا} من أنشأت نفسك ، فى سلام.

راقب ، فى سلام ! أنت تراقب فى سلام. راقب {يا} ، خالق السماء والأشياء الخفية فى الأفقين ، فى سلام.

راقب ، فى سلام ! أنت تراقب فى سلام. راقب ، يا من تنحنى له الآلهة ، السيد المُهاب ،

الواحد القوى الذى تتعلق به قلوب كل الكائنات العاقلة فى رهبة."

(أنظر : " ترتيلة لآتون " من آى المشرف على حصان إخناتون {١})

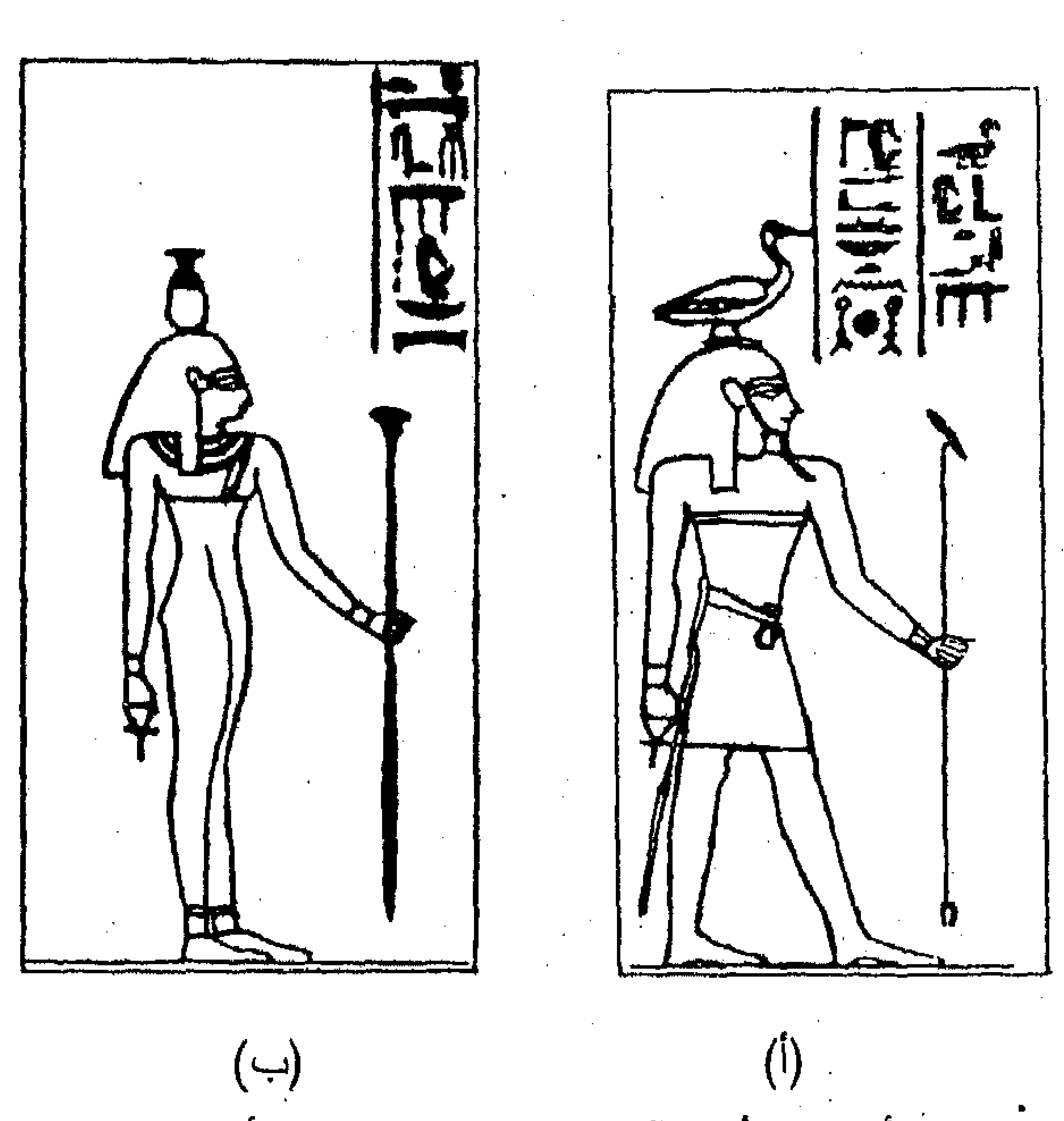
٣- " صورة الإبن الأكبر ، وارث الأرض قبل أبيك الأرض (جب و) أمك نوت ، صورة إلهية ، أتت للوجود فى الزمن البدائى □⊘ // □ ، عندما لم يكن هناك إله ، وعندما كان اسم لا شىء أياً كان مسجلاً ، عندما فتحت عينيك وظهر منهما نور أطل على كل إنسان. عندما راق الظل لعينيك ، لم يعد للنهار وجود.

أنت تفتح فاك ، كلماتك فى ذلك المكان.

أنت تثبت السماء بذراعيك ، والغرب (أمنت) فى إسمك آمون.

أنت صورة الكا (أو القرين) لكل الآلهة ، صورة آمون ، صورة اتم

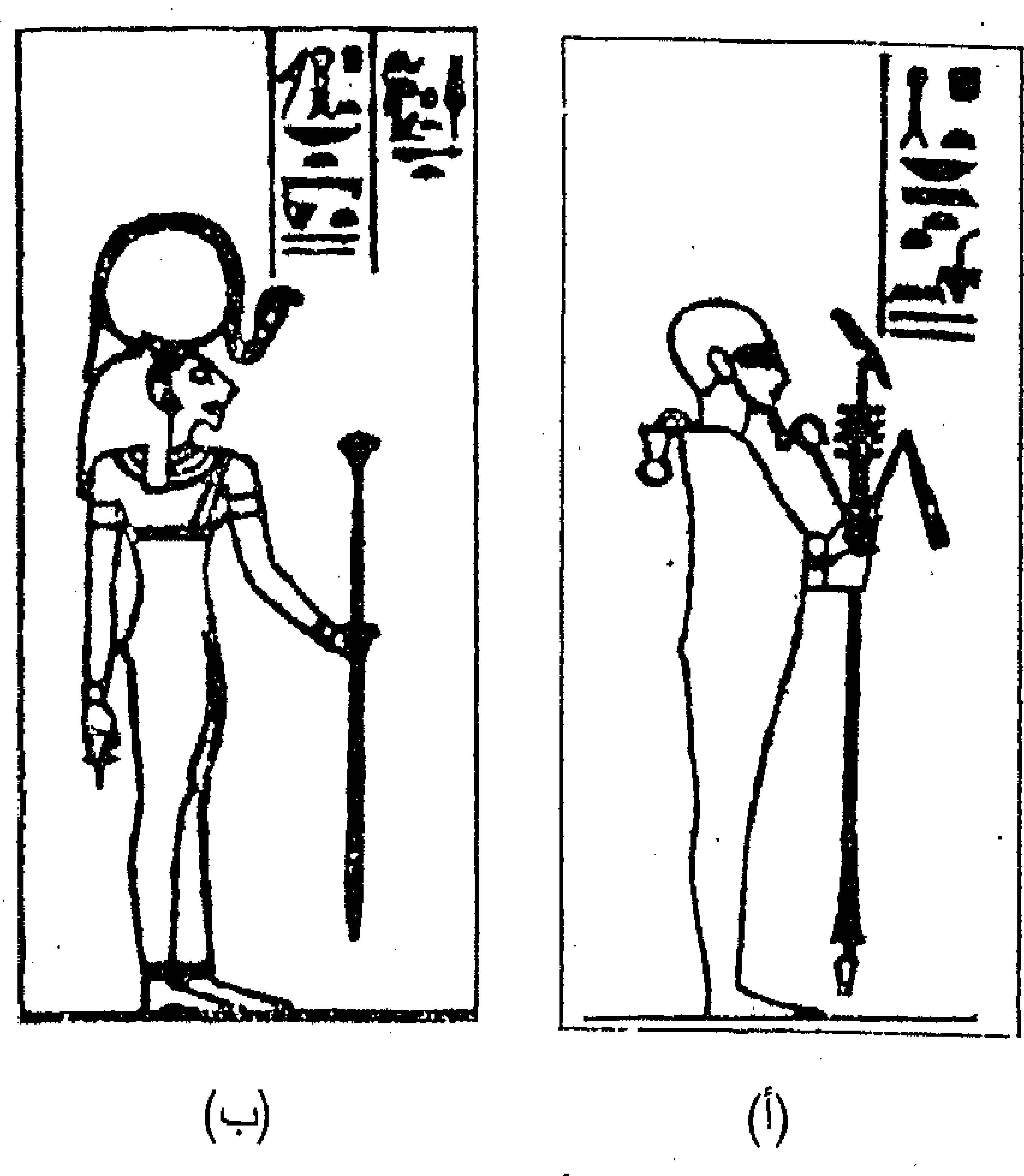
صورة خپرى ، صورة سيد كل الأرض ، صورة السيد الملك المتوج للجنوب والشمال فى الشمال والجنوب ، صورة أنجبت الآلهة ، وولدت البشر ، وأنجبت كل شىء ، سيد الحياة ، أنت الواحد الحى ، الذى يمتلك قوة أعظم مما لدى كل الآلهة. أنت قهرت الآلهة التسعة ، أنت قدمت لهم قربانهم. أنت قيدتهم معاً ، أنت أحييتهم. أيتها الصورة التى خلقت قرائنهم (؟)، أنت أعطيت ذلك الذى حصل عليه حورس لنفسه من مجمع الآلهة.



(ب) (أ)

أ- جب ، إله الأرض ، أبو الآلهة ، إله عظيم ، سيد الأبدية.

ب- نوت ، إلهة السماء ، سيدة السماء {الجنة ؟} ، ولدت أوزيريس وإيزيس وست ونفتيس.



(ب) (أ)

أ- بتاح ، سيد ماعت ، ملك الأرضين (مصر)، إله ممفيس العظيم فى صورة رجل: ب- سخميت ، السيدة العظيمة ، سيدة السماء ، ربة {سيدة} الأرضين (مصر). النظير الأنثوى لبتاح.

أنت مثل إله يصمم بأصابع يديه ، مثل إله يصمم بأصابع قدميه. أنت تصبح سيد كل شيء ، آتون الذى ظهر للوجود فى الزمن البدائى ، إله الريشتين العاليتين. أنت المُنجب ، أنت خلقت أكثر من كل الآلهة." (أنظر : " ترتيلة لآتون " من آى المشرف على حصان إخناتون {٧ و ٨})

تحتوى بردية ليدن Leyden على متتالية من التراتيل المشوقة للغاية والمقدمة لآمون ، نقتبس منها المقتطفات التالية :

٤- " أنت تبحر ، حوراختى ، وكل يوم تحقق وصية الأمس. أنت صانع السنين وقبطان الشهور ؛ الأيام والليالى والساعات وفق خطوته. تجدد نفسك اليوم عن الأمس ؛ رغم المضى مثل الليل فأنت النهار. المراقب الوحيد ، يكره السبات. ينام البشر على سررهم ، لكن عينيه تراقبان. (فصل ٦)

يعدّل شكله فلا أحد يعرف أشكاله. (فصل ٨)

يمزج بذرته مع جسده ليجعل بيضته تظهر للوجود داخل نفسه. (فصل ٨)

آتون (قرص) السماء ، أشعته على وجهك.

يُخرج النيل من كهفه من أجل الپاوتّى {الخاصة بك}. من الأرض صنع تمثالك . إسمك منتصر ، أرواحك (أو إرادتك) عظيمة الشأن.

صقر يدمر من يهاجمه فى الحال. أسد خفى (أو سرى) يزأر بصوت عالٍ ، ينشب مخالبه فيما هو تحت كفيه ، ثور لبلده ، أسد لشعبه. تهتز الأرض عندما يرسل صوته قوياً. كل الكائنات ترهبه ، عظيم فى قوته لا مثيل له. هو القوة الخيّرة لميلاد الآلهة التسعة. (فصل ٩)

شرور طليقة تجلب المرض. طبيب يعالج العين بغير دواء ؛ يفتح العين ، يقضى على الحول فيها. عندما يكون فى الدوات {العالم الآخر} يُطلق {يحرر} من يحبه. يعفيه من القدر وفقاً لرغبة قلبه. يمتلك عينان وأذنان هو على كل طريق يحبه.

يستمع إلى التوسلات التى تستحضره. من بُعد يحضر فى لحظة إلى ذلك الذى استدعاه.

يضيف إلى مدة الحياة {أى يطيلها} ويقصِّرها.
لمن يحبه يعطى أكثر من المصير الذى خصصه له.
للرجل الذى يضعه فى قلبه هو أكثر من ملايين.
باسمه يكون الرجل الواحد أقوى من مئات الألوف. (فصل ١١)
أنت وُجدت أولاً فى أشكال الآلهة الثمانية (لهرموپوليس)، ثم أكملتهم وأصبحت واحداً.

جسدك مختفٍ فى الزعماء ، أنت تختفى مثل آمون فى رأس الآلهة. شكلك مثل تانن حتى تولِّد آلهة پاوتّى فى مادتك البدائية. أنت تدخل {فى} الآباء صانعاً أبناءهم. أنت ظهرت أولاً للوجود عندما لم يكن هناك أى كائن فيه. كل الآلهة ظهرت للوجود بعدك. (فصل ١٣)

ظهر آمون للوجود فى الزمن البدائى ، ولا أحد يعرف على أى صورة ظهر. لم يوجد إله قبله ، ولم يوجد إله آخر معه ليكشف عن صورته. لم تكن له أم ينسب اسمه لها. لم يكن له أب ينجبه ، قائلاً إنه نفسى {مثلى} تماماً. لقد شكَّل بيضته ؛ الإله المقدس ، ليصبح من نفسه ؛ كل الآلهة خُلقت بعد ظهوره للوجود. (فصل ١٤)

آمون واحد ، يخفى نفسه عنهم ، ويخبىء نفسه عن الآلهة.
الرجل الذى يلفظ اسمه السرى (أو الغامض)، الذى لا يمكن معرفته، يخر على وجهه فى الحال ويموت ميتة عنيفة. لا يعرف أى إله كيف يدعوه." (فصل ١٥) [١٤]

المقتطفات الواردة فى القسم الأخير مأخوذة من عمل عن آمون ، لم يُقصد به الغناء فى المعابد. فهو إلى حد ما رسالة فلسفية

عن أصل وطبيعة وقدرات الإله ، تُظهر أنه مصدر الحياة كلها ، المتحركة وغير المتحركة. يُسمح بوجود الآلهة الأخرى ، لكنها مجرد أشكال له ، هو الإله العظيم ذو الثلاث شخصيات أو أشخاص التى تُدعى آمون (طيبة)، ورع (هليوبوليس)، وبتاح (ممفيس). وحدانيته – أو وحدته – مطلقة. ونقدم الآن مقتطفاً من ترتيلة آمون المشهورة ، المدونة فى بردية محفوظة فى المتحف المصرى – بالقاهرة [١٥] – ولا شك فى أنها كانت يغنيها الرجال والنساء بمصاحبة الموسيقى فى المعابد.

ترتيلة لآمون رع

١– ثور يقطن أون ، رئيس كل الآلهة ،
إله جميل ، مريتى (محبوب)،
مانح كل حياة الدفء ،
لكل الماشية الجميلة.
٢– مرحباً بك ، آمون رع ، سيد عرش الأرضين !
الأول فى ابت (أى الكرنك)،
ثور أمه ، الأول فى مرعاه ،
واسع الخطو ، الأول فى أرض الجنوب ،
سيد الماتشايو (النوبيين) ، حاكم بونت ،
أمير السماء ، الأكبر فى الأرض ،
سيد الأشياء الكائنة ، مؤسس الخلق ، مؤسس كل الخلق.
٣– واحد ، بواسطة قواه الفذّة بين الآلهة ، زعيم كل الآلهة ،

سيد الحق ، أبو الآلهة ،
صانع الرجال ، خالق البهائم ،
سيد الأشياء التى تكون ، خالق نبات الحياة (القمح)،
صانع النباتات الخضراء ، يجعل الماشية تحيا.
٤- قوة ، قدمها پتاح ،
ولد جميل للحب ،
الآلهة تقدم التسبيحات له ،
صانع الأشياء الدنيا والأشياء العليا ، يضيء مصر ،
المبحر فوق السماوات فى سلام ،
ملك الجنوب والشمال (رع) ،
كلمته الحق ، زعيم الأرضين (مصر)،
عظيم القوة ، سيد الرهبة ،
زعيم ، يصنع الأرض بأسلوبه {حرفياً: مثل شكله ، أى يشكلها على طريقته}،
يقدِّر الأقدار (أو يوزع الخطط) أكثر من أى إله.
٩- يلقى بعدوه فى النار ،
عينه تدمر شياطين سبيو.
تجعل رمحها يطعن نون (هوة السماء)،
تجعل الأفعوان الشيطانى نيك يلفظ ما بلعه.
١٠- مرحباً بك ، رع ، سيد الحق !
الخفى داخل مقامه ، سيد الآلهة ،
خبرى فى قاربه.

أرسل الكلمة فظهرت الآلهة للوجود ،
تمو ، صانع الرجال ،
يصنع لهم شخصيات وأشكال مختلفة ، يصنع حياتهم ،
يميزهم بجلودهم الواحد من الآخر.
١١- يصغى لأنين المكروب ،
يكون رءوفاً به عندما يتوسل إليه ،
يسلّم الرجل الجبان من المتنمّر.
يقضى بين الظالم وبين من لا حول له.
١٥- صورة واحدة ، صانع كل شيء يكون ،
واحد أحد ، صانع الأشياء التى تكون.
ينشأ الرجال من عينيه ،
تأتى الآلهة للوجود بكلامه ،
صانع الأعشاب الخضراء ، محيى الماشية ،
عماد حياة كائنات هنممت ،
يجعل السمك يعيش فى النهر ،
والأوز فى السماء ،
يعطى الهواء للمخلوق داخل البيضة ،
يهب الحياة للطائر ذو الريش ،
يهب الحياة لطيور " خنّور "،
وكذا للأشياء الزاحفة والحشرات ،
يوفر الطعام للفئران فى جحورها ،
ويجعل الطيور تعيش على كل غصن.

١٩- زعيم الآلهة التسعة العظيمة ، واحد أحد ، لا ثانى له {لا شريك له}.

١- أنظر Daressy, *Une Nouvelle Forme d'Amone* in *Annales du Service des Antiquités de l'Egypte*, tome IX, p. 64 ff.

٢- Quintus Curtius, lib.. IV, §7. وانظر أيضاً Naville, *Le Dieude l'Oasis de Jupiter-Amon* in *Comptes Rendus de l'Académie*, 1906, p. 25.

٣- محفوظ فى {متحف} برلين ، أنظر Winckler, *Die Thontafeln von Tell-el-Amarna*, No. 24, p. 51.

٤- Bork, *Die Mitanni Sprache*, Berlin, 1909

٥- *Keilschrifttexte aus Boghazköi*, Heft I, p. 7 No. 1, 1. 55.

٦- و مُخَصَّصان بمعنى " إله " و " آلهة ".

٧- أنظر Erman, *Die Märchen des Papyrus Westcar*, Berlin, 1890

* هامش للمترجم : (إمرأة مباركة تُسمى "رودچدت") ص٣٩ من كتاب : الأسرة فى المجتمع المصرى القديم ، تأليف د. عبد العزيز صالح ، سلسلة المكتبة الثقافية رقم ٤٤ ، القاهرة ١٩٦١.

٨- أنظر طبعة النصوص التى حررها Naville, Vol. II, pl. 46-55.

٩- نب ماعت رع هو الإسم الأول لإمنحتب الثالث.

١٠- *Denkmäler*, III, 85

١١- رقم ٤٧٥ جناح ٩. الرقم القديم ٨٢٦. أنظر *A Guide to the Egyptian Galleries*, p. 134.

١٢- لعل القراءة الصحيحة هممت وأنها متصلة بكلمة " يزأر " – خنم امن ذو الزئير. فقد خصَّص إمنحتب الرابع جعراناً لإله الزئير (المتحف البريطاني رقم ٥١٠٨٤).

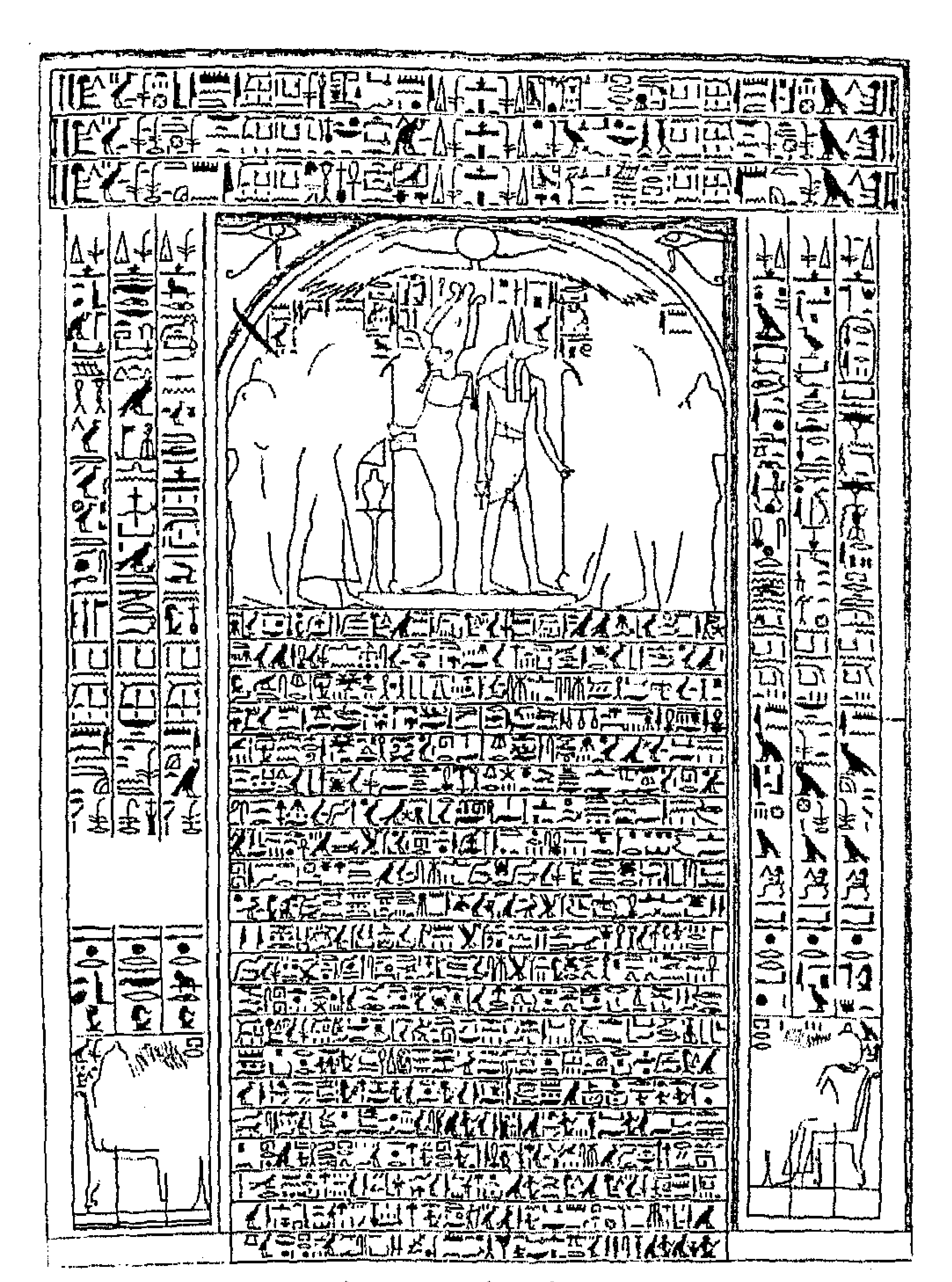
١٣- توجد نسخة هيروغليفية للنص الهيراطيقي في : *Moret, Le Rituel du Culte Divin Journalier en Égypte*, Paris, 1902, p. 69

١٤- للإطلاع على نسخ من النصوص الهيراطيقية وترجمتها ، أنظر Gardiner in *Aegyptische Zeitschrift*, Bd. 42 (1905), p. 12 ff.

١٥- توجد نسخة هيروغليفية كاملة من النص الهيراطيقي ، مع ترجمة فرنسية ، نشرها Grébaut, *Hymne à Ammon-Ra*, Paris, 1875.

" ترتيلة لآمون وآتون "

من حِر وسوتى ، المشرفين على الأعمال فى طيبة فى عهد إمنحتب الثالث (المتحف البريطانى ، لوح رقم ٤٧٥ [١])



لوحة ٤: لوح حِر وسوتى ؛ توأمان أشرفا على أعمال إمنحتب الثالث فى طيبة. يحتوى النص على ترتيلة لآمون ، وترتيلة لآتون.

١- ترتيلة حمد لآمون عندما يشرق مثل حورس الأفقين ، من سوتى المشرف على أعمال آمون ، (ومن) حِر (حورس) المشرف على أعمال آمون. يقولان: العظمة لك {يا} رع ، الجميل (أو المُنعِم) كل يوم ! أنت تنطلق عالياً

٢- عند الشروق (أو الفجر) بغير إخلاف (حرفياً: هو لا ينقطع) ، خپرى (أو الخالق)[٢] ، العظيم فى أفعاله. نورك فى وجهك ، (أنست) مجهول. المعدن البراق [٣] لا يماثل بهاءك.

٣- تشكّلت [٤]، أنت شكّلت أعضاءك. يهب الميلاد ، لكنه لم يولد. واحد بنفسه ، بسبب قوته (أو قدراته) اجتاز الأبدية ، هو فوق (أو رئيس) طرق ملايين السنين ، يحتفظ بشكله الإلهى.

٤.

٤- جمالك مثل جمال المناطق السماوية. هيئتك أكثر تألقاً من السماء. أنت تُبحر عبر السماوات ، كل الوجوه (أى البشر) تنظر إليك عند ذهابك ، مع أنك نفسك خفى عن وجوههم.

٥.

٥- تُظهر نفسك فجر اليوم فى أشعة الضوء، قوى هو قارب " سقد " الخاص بجلالتك. أنت ترحل فى النهار القصير فى طريق الملايين ومئات الألوف

٦.

٦- من الدقائق (أو اللحظات). نهارك (؟) ينقضى معك وتغرب. وبالمثل ، ساعات الليل خلقتها لتنقضى بنفسها. لا يحدث انقطاع فى كدك {مسيرتك}. كل العيون (أى البشر ، أو كل الشعوب)

٧- تحدق فيك ، يتوقفون ليس لغير ذلك. عندما تغــرب جلالتــك ، تتسبب فى عجلة (؟) لتشرق مبكراً فى الصباح [٥]، أشعتك المتلألئــة تومض فى العيون (أو تخترق العيون).

٨- تغرب فى " مانو " ، حيث ينام (البشر) مثل الموتى.

التحية لك ، يا آتون النهار ، أنت خالق أهــل الفنــاء ، صــانع حياتهم (أى ما يعيشون عليه) ! (التحية)

٩- أنت الصقر العظيم ذو الريش المتعدد الألوان ، أنت الإله خپرر الذى أنشأ نفسه (من العدم) ! خلق نفسه ، لم يولد ، حورس الأكبــر (أو الصقر المُسن) ، الساكن فى نوت (السماء). (البشر) يصــيحون فرحين عند

١٠.

١٠- شروقه (و) كذا عند غروبه. يُسـوّى مـا تخرجـه الأرض ، " خنوم آمون " من " الهن ممت "[٦] ، فاتح الأرضين ، من الكبير إلى الصغير. (أنت) أم رائعة

١١.

١١- للآلهة والبشر ، صانعة ماهرة ، لطيفـة ، بالغـة العظمـة ، متقدمة (أو مزدهرة) فى عملها. الماشية (؟) لا يمكن عـدها. قائـد القطيع القوى يقود بهائمه القوية ، أنت حظيرتها {مأواها}.

١٢.

١٢- يزودها بالحياة (أى القوت) ، يثب ، يجتاز طريق (؟) خبرى ، يخطط (؟) لميلاده ، يرفع (شكله) الجميل فى رحـم نـوت. يُنيـر

الأرضين (مصر) بآتونه (أو القُرص) ، (هو) المـــادة البدائيـــة (أو البلازما) للأرضين. خلق نفسه.

١٣.

١٣- ينظر إلى ما صنعه ، السيد الواحد ، يُخضع كل يوم ما لا يُعَد من البلاد ، ملاحظاً أولئك الذين يسعون على سطح الأرض. يشرق (أو ينطلق لأعلى) فى السماء ، (يتم) التحولات بالنهـــار (أو مثـــل رع). يصنع الفصول من الشهور. يحب حرارة الصيف.

١٤.

١٤- يحب برودة الشتاء. يجعل كل عضو فى الجسم يذوى. يضـــم كل أرض. القرد (يصيح) متعبداً له عندما يشرق كل يوم.

١٥- سوتى المشرف على الأعمال (و) حِر المشرف على الأعمال ، يقول (كل منهما): كنت مديراً فى مُلكك (و) مشرفاً على الأعمال فى

حرمك المقدس على الوجه الصحيح ، إبنك المحبوب ، سيد الأرضين نب ماعت رع ، مانح الحياة ، المصنوع لأجلك. سيدى عيَّنَنى موظفاً مسئولاً عن آثارك.

.١٥

.١٦

١٦- لقد وضعتها نصب عينى بجد واجتهاد ، وخدمت فى وظيفة مدير آثارك بنشاط ، منفذاً لقوانين قلبك. عرفت كيف أجعلك تستريح فى الحق ، جاعلاً إياك عظيماً فى عمل ذلك على الأرض.

.١٧

١٧- قمت بعمل ذلك (و) أنت جعلتنى عظيماً. أنت وضعت أفضالى (أو ثَنائى) على الأرض فى " ايت " (الكرنك). كنت أنا بين أتباعــك عندما اعتليت العرش. أنا حقٌ ، يمقت الكلمات والأفعال الزائفة.

١٨.

١٨- لم أبتهج أبداً من أى محادثة تحتوى علـــى كلمـــات المبالغـــة والأكاذيب. أخى مثلى. تسرنى أعماله. نزل من الرحم {بطن أمـــه} معى فى هذا (أى فى نفس) اليوم.

١٩.

١٩- سوتى المشرف على أعمال آمون فـــى ايـــت الجنوبيـــة (أى الأقصر) ، وحِر (المشرف على الأعمال) ، يقول: كنت مديراً علـــى الجانب الغربى ، وكان هو مديراً على الجانب الشرقى. كنـــا نحـــن الإثنين مديرين للآثار العظيمة

٢٠- فى ايت ، خاصة تلك التى فى طيبة ، مدينة آمون. أنعمت على بعمر طويل فى مدينتك ، ومن حسناتك اجعل لى مدفناً فى امنتـــت ، مكان راحة القلب.

٢٠.

٢١.

٢١- دعنى أكون بين المفضلين لديك ، مفارقاً فى سلام. أنعم علـــى بهواء حلو عندما ... (و) ارتداء (أو حمل) الأشرطة فى يـــوم عيـــد " أوج ".

١- هذا الأثر نشره Pierret, *Recueil*, tome I., p. 20 & Birch, *Trans. Soc. Bibl. Arch.*, Vol. VIII, p. 143 ff.

٢- آمون هنا يطابق إله الخلق القديم.

٣- " تشعم " ، ربما يكون نحاساً مذهّباً ، أو ذهباً. وقد غُطيت به قمم المسلاّت.

٤- ربما يكون المعنى " أنت صممت هيئتك ".

٥- يحتمل أن النص محرّف هنا ، وأن الكاتب قصد أن يقول " عندما تغرب جلالتك ، تتألق وتشرق فى الدوات (العالم السفلى) ".

٦- طائفة من الكائنات السماوية.

عبادة آتون ، إله وقرص الشمس
أصلها ، وتطورها ، وأفولها

وسط الكم الكبير من الكتابات الدينية فى مصر القديمة ، لا نجد وثيقة واحدة تحتوى على بيان مقنع ومترابط عن الأفكار والمعتقدات التى ربطها المصريون بالإله آتون. يمكن تخمين أسباب نهضته وتأييده قرب نهاية الأسرة الثامنة عشرة ، ويمكن اكتشاف المبادىء الرئيسية التى أذاعها مؤسس عبادته وأتباعه فى التراتيل التى تم العثور عليها على جدران المقابر المنحوتة فى الصخر فى تل العمارنة ؛ لكن التاريخ الحقيقى لنهضة وتطور وسقوط هذه العبادة لا يمكن معرفته بشكل كامل. كلمة إتن أو إثن ، كلمة قديمة تعنى " القُرص " أو " وجه الشمس ". والأتونية بلا شك شكل قديم لعبادة الشمس ، إلا أن أشكالاً متعددة لعبادة الشمس وُجدت قبل عبادة آتون ، كما عُبدت فى مصر آلهة شمسية مختلفة قبل اعتبار آتون شكلاً خاصاً من الإله الشمسى العظيم على أية حال بعدة قرون. كان حِر (حورس) واحداً من أقدم الأشكال التى عُبدت فى مصر لإله الشمس ، ويبدو أنه كان يمثل فى العصور المبكرة " إرتفاع " أو "وجه " السماء بالنهار. وقد رُمز له بالباشق {الصقر}، الذى تمثل عينه اليمنى الشمس وتمثل اليسرى القمر. وفى العصور المتأخرة سُمى " حر ور " أو " حر سمس " الصقر الأقدم {أو المُسن}، وكان هو الذى قاتل كل يوم ضد ست – ظلام الليل وسماء الليل – وانتصر عليه.

كانت المدينة المشهورة إنو أقدم مقر لعبادة إله الشمس هى أون فى التوراة ، وهليوبوليس عند كتاب الإغريق واللاتينيين.

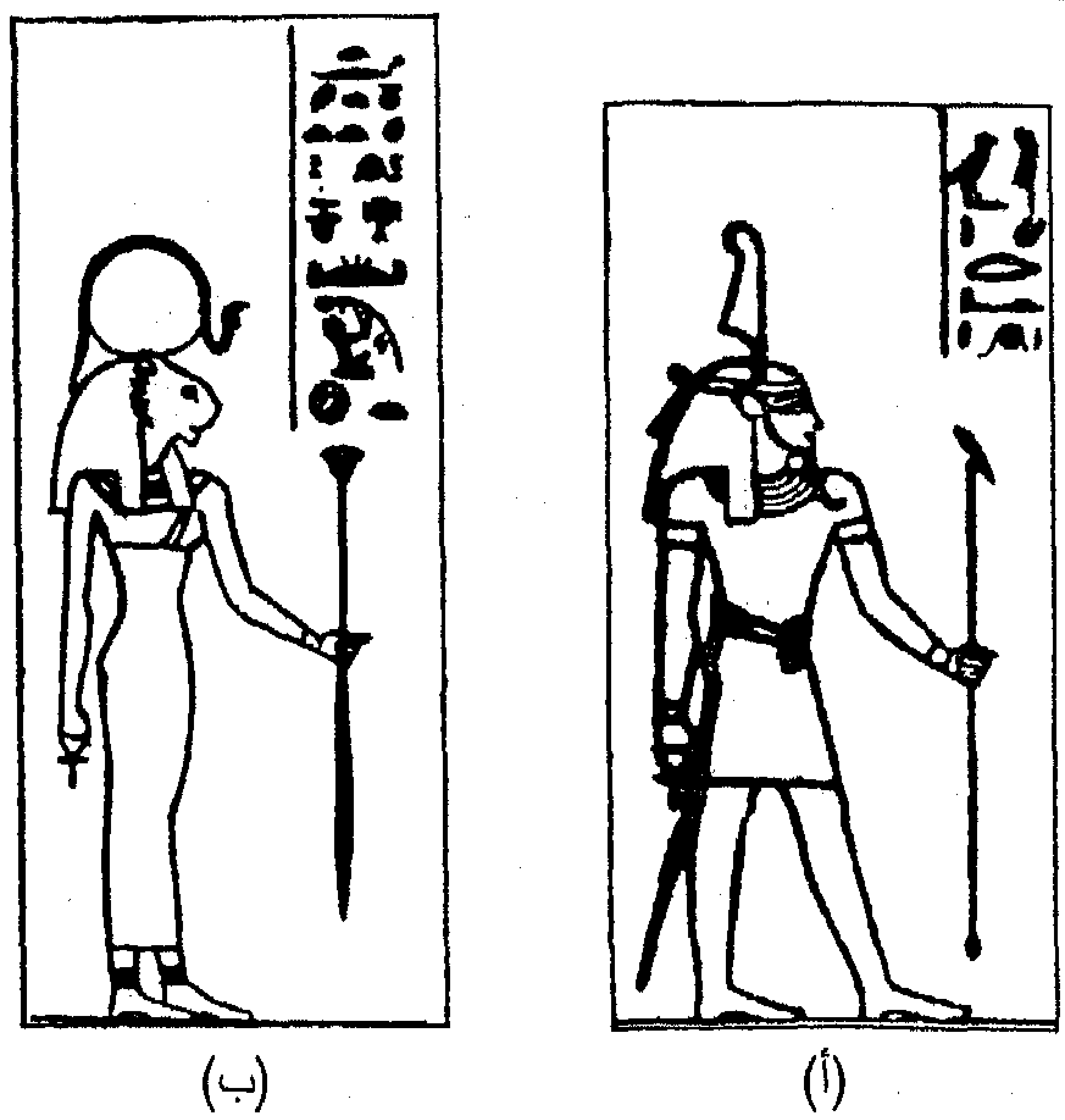


(ب) (أ)

أ- حورس برأس صقر وست ، توأمه ؛ الأول كان إله النهار والأخير إله الليل. ب- الإلهة نفثيس ، كانت طبقاً للاهوت هليوبوليس النظير الأنثوى لست.

هنا - منذ وقت سحيق - وُجد معبد مخصص لإله الشمس ، وملحق به كلية لكهنته ، الذين اشتهروا منذ عهد بعيد بحكمتهم ومعرفتهم. لقد دعوا إلههم تم ، أو إتم ، وفى عصور

متأخرة – على الأقل – صُور على شكل رجل يضع تاجى الجنوب والشمال ، ويمسك بيمينه عنخ ☥ (" حياة ") وفى شماله صولجان. كان ملكاً للسماء ولمصر أيضاً. كان إلهاً شمسياً ، أخذ – مثل كل إله قديم آخر فى مصر – خصائص آلهة فطرية مختلفة لم تعد أسماؤها معروفة الآن.



(ب) (أ)

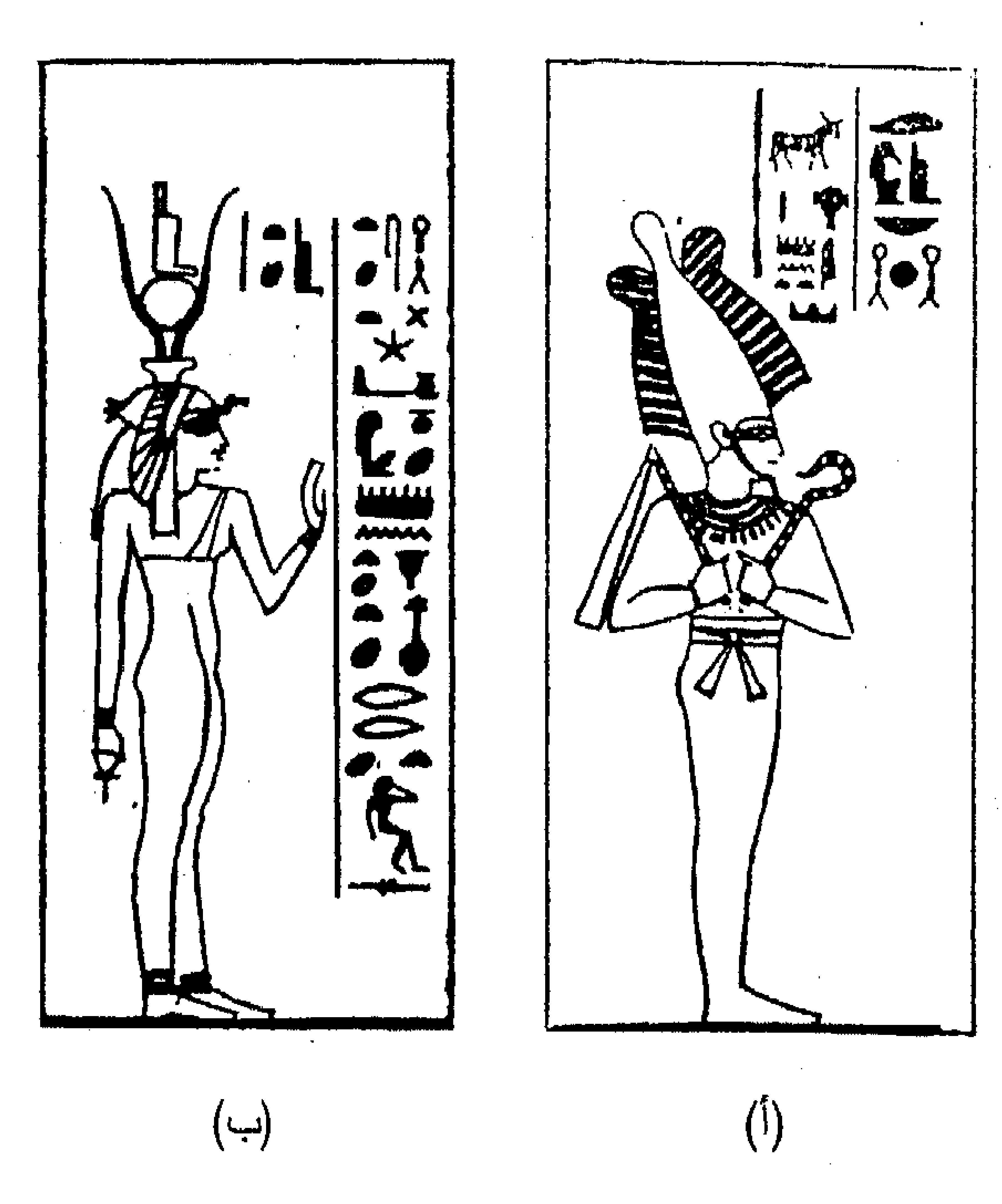
أ- شو ، إبن رع ، مصدر الحرارة والنور. ب- تفنوت ، إبنة رع ، مصدر الرطوبة والماء. كانت النظير الأنثوى لشو.

تُظهر نصوص الأهرام أنه صاحب كل القوى فى السماء ، وأن كهنته نادوا به أعظم الآلهة. تأكدت سيادة تم فى مختلف نسخ كتاب الموتى ، واعتُبرت كل الآلهة الشمسية الأخرى أشكالاً له فى مختلف

النسخ الحديثة من هذا الكتاب. مثلاً يقول فى الفصل السابع عشر:
" أنا تِم فى إشراقه. كنت الواحد الأحد (عندما) ظهرت للوجود فى ننو (أو نو). أنا رع عندما أشرّق للمرة الأولى. أنا الإله العظيم الذى خلق نفسه (من) ننو ، الذى جعل أسماءه تصبح آلهة جماعته. أنا هو الذى لا يُقاوم بين الآلهة. أنا تِم ، المقيم فى قُرصه ، أو رع فى مشرقه فى الأفق الشرقى للسماء. أنا الأمس ؛ أنا أعرف اليوم. أنا بنّو (أى العنقاء {طائر خرافى}) الذى هو فى انو (هليوپوليس)، وأنا أحفظ سجل الأشياء التى خُلقت وتلك التى لم توجد بعد."*
جماعة الآلهة التى ترأسها " الأب تِم " تألفت من شو وتفنوت ، جب ونوت ، أوزيريس وإيزيس ، وست ونفثيس. وطبقاً لإحدى التعاليم ، صنع تِم شو وتفنوت من جسده ، وشكّل هؤلاء الآلهة الثلاثة أول ثالوث مقدس ، فيقول تِم : " من إله واحد أصبحت ثلاثة ".

يجب أن نلاحظ فى المقتطف السابق من الفصل السابع عشر (أعلاه) أن : ١- وُجد تِم أصلاً فى ننو - أو نو - الكتلة العظيمة للمياه البدائية. ٢- كان هو الواحد الأحد فى الوجود عندما ظهر فيه. ٣- الإله العظيم خلق نفسه. ٤- كانت له أسماء مختلفة ، هى التى حولها إلى الآلهة التى شكلت البِسِت أو التاسوع {تِم ، شو ، تفنوت ، ... إلخ.}، بمجرد لفظ أسمائهم. ٥- كان لا يُقاوم بين الآلهة أى كان السيد الأعلى للآلهة. ٦- أدرك الزمن الماضى والزمن القادم. ٧- أقام فى القرص الشمسى (آتون). ٨- ارتفع فى السماء لأول مرة فى شكل رع ، وكان هو نفسه البنّو ، أى روح رع. ٩- حفظ سجلات الأشياء المخلوقة والتى لم تُخلق. ومع أن البردية

التى حصلنا على هذه الحقائق منها ليست أقدم من عهد الأسرة الثامنة عشرة ، فإن كل التعبيرات التى تم تجميعها هنا موجودة فى مختلف النصوص الدينية المدونة فى عهد الإمبراطورية القديمة ، أى قبل ذلك بألفى سنة تقريباً.



(أ) (ب)

أ- أوزيريس ، سيد الأبدية ، ثور امنتت.

ب- إيزيس ، النظير الأنثوى لأوزيريس ، وأم حورس.

لا نعرف شيئاً عن أسلوب وطبيعة عبادة تِم ، لكن حقيقة أنه تم تصويره فى صورة بشرية تدعونا إلى افتراض – عادل على

ما يبدو – أنه كانت له شخصية أعلى من تلك التى كانت لعبادات الحيوانات المقدسة – ومنها الطيور والزواحف – التى كانت شائعة فى مصر فى عهد الأسرات الأولى. تِم – الإله الإنسان – أخذ خصائص حِر ور – إله السماء القديم ، وخپرى – الإله الجُعل (الجعران) – الذى مثَّل واحداً أو أكثر من أشكال إله شمس قديم بين الغروب والشروق ، وحوراختى (" حورس الأفقين "). كان خپرى هو الشمس فى الساعة التى تسبق الفجر. وحِر شمس النهار ، وتِم الشمس الغاربة ؛ ولأسماء أولئك الآلهة أصل محلى. يمكن لنا أن نستنتج أن كهنة تِم أدمجوا فى أشكال العبادة الكثير من الشعائر والطقوس التى اعتاد الناس عليها فى عبادتهم للآلهة القديمة. إذ لا يوجد شيء غريب فى احتواء إله لإله آخر وأخذه خصائصه بالنسبة للمصرى ، فهو ينظر للإله الذى تم احتواءه كطور أو خاصيّة للإله الذى احتواه. فالمصريون – مثل العديد من الشرقيين – متسامحون للغاية فى مثل هذه الموضوعات.

تثبت الآثار أنه – فى بواكير عهد الأسرات – كان هناك شكل آخر معروف ومعبود لإله الشمس فى مصر السفلى {دلتا وادى النيل} يُدعى رع. لا نعرف شيئاً عن أصله وتاريخه المبكر ، ولم يُفسر اسمه على نحو مُرضٍ حتى الآن. لا يبدو أنه مصرى ، لكن يحتمل أنه يخص إلى حد ما إله شمس آسيوى ، أُدخلت عبادته إلى مصر منذ عهد بعيد جداً. شخصيته وخصائصه تشبه إلى حد بعيد ما لدى الإله البابلى مردوك {مردوخ}، ويحتمل أن كلاً من رع ومردوك مجرد اسمين مختلفين لسلف واحد. كان مركز

عبادة رع فى انو – أو هليوبوليس – ولابد أن هذه المدينة كانت مأهولة منذ زمن سحيق بسكان من مختلف أنحاء العالم (كانوا فى الأغلب ممن يعبدون الشمس). توقفت هناك كل القوافل القادمة من بلاد العرب وسوريا والمتجهة إليها ، ولابد أن البشر من أمم كثيرة ذات لغات مختلفة قد تبادلوا الأفكار هناك كما تبادلوا السلع. كان التحكم فى كميات المياه المسحوبة من بئر الشمس المشهورة – " عين الشمس " عند الكتاب العرب – يتم بلا شك بأيدى كهنة انو ، الذين أصبحوا أقوياء أثرياء من مكافآت وعطايا المسافرين الشاكرين على سقى بهائمهم. كانوا يعتقدون أن مياه البئر تنبع من مياه ننو – أو نو – السماوية ، ويخبرنا الملك النوبى پيعنخى أنه غسل وجهه – عندما ذهب إلى انو – فى الماء الذى اعتاد رع أن يغسل وجهه فيه.[١] ويذكرنا هذا بأن مريم العذراء رفعت الماء من هذا البئر عندما توقفت العائلة المقدسة فى انو.

فى عهد الأسرة الرابعة ، كان لكهنة انو نفوذ كبير ، ونجحوا فى إحراز مكانة سامية لإلههم رع بين الآلهة الأخرى لمصر السفلى. لا يمكن الزعم بأنهم اختاروا الملوك من عدمه ، لكن من المؤكد أنهم السبب فى أن يشكل اسم رع جزءاً من اسم نسو بيت الخاص بكل من الملكين اللذين قاما ببناء الهرمين الثانى والثالث من أهرام الجيزة. وبالتالى لدينا الاسمان خعف–رع (خفرع) ومنكاو–رع (منقرع). ولم يقنعوا بهذا ، فرفضوا سلالة بناة الأهرام العظام ، ووضعوا على العرش عدداً من الملوك أعلنوا أنهم أبناء إلههم رع من زوج أحد كهنته. اتخذ أولهم اسماً خامساً – شخصياً – هو لقب

" سا رع "، أى ابن رع. هذا اللقب المؤكد أن أول من اتخذه هم ملوك الأسرة الخامسة ، وحمله كل ملك فى مصر بعدئذ ، وأى من النوبيين أو الفرس أو المقدونيين أو الرومان الذين أصبحوا ملوكاً لمصر لم يجده شيئاً سخيفاً أن يُلقب نفسه " ابن رع ". ويرجع الفضل لتنقيب بورخارت Borchardt وشايفر Schäfer – تحت إشراف ف. فون بيسنج F. von Bissing – فى الكشف عن بعض الحقائق الهامة التى تتصل بعبادة رع. كانت معابد الشمس التى بناها الملوك المتأخرين من الأسرة الخامسة عادة مبانى طولها حوالى ٣٢٥ قدماً {٩٧,٥٠ متراً} وعرضها ٢٤٥ قدماً {٧٣,٥٠ متراً}. تقف فى نهايتها الغربية مسلة حجرية (أ) فوق هرم مبتور (ب). أمام الجانب الشرقى للهرم يوجد مذبح من المرمر ، وعلى الجانب الشمالى للمذبح توجد قنوات تجرى فيها دماء الضحايا – الحيوانية والبشرية – لتصب فى تجاويف من المرمر. يوجد صف من غرف التخزين على الجانب الشمالى للساحة المستطيلة المسوَّرة ، وعلى الجانبين الشرقى والجنوبى توجد ممرات جدرانها مزينة بنقوش بارزة. فى مقابل المذبح ، على الجانب الشرقى ، يوجد مدخل يمر منه طريق مُعبَّد مائل يقود إلى بوابة أخرى ، تشكل مدخلاً إلى ساحة أخرى كبيرة مساحتها حوالى ١٠٠٠ قدم مربع {٩٠م^2}. عاش الكهنة فى هذه الساحة ، وفى حجرات خاصة حُفظت الأشياء المقدسة التى كانوا يحملونها فى مواكب الأعياد.

أ
ب

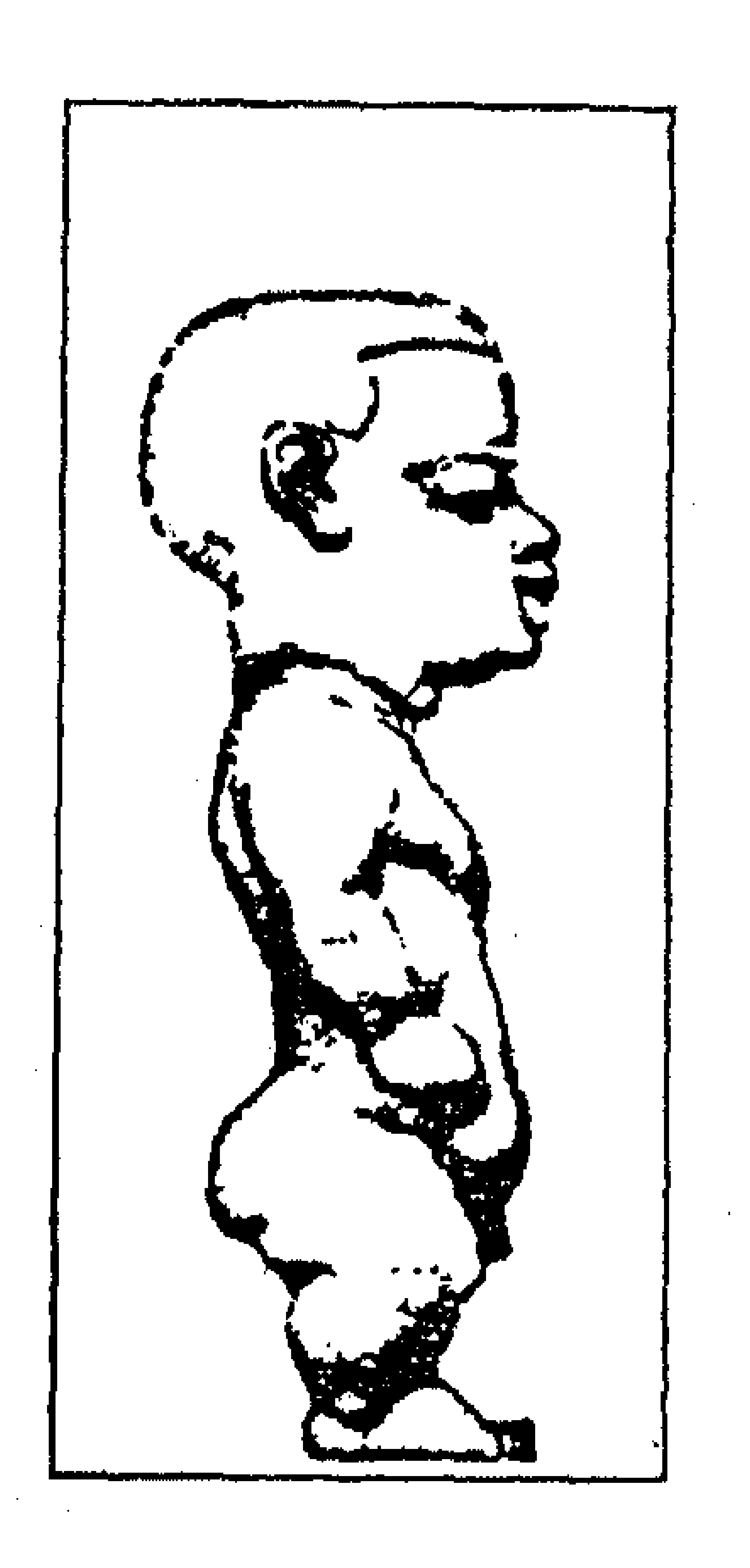
الشيء الرئيسي في عبادة رع ورمزه الخاص هو المسلة ، لكن يُفترض أن عباد الشمس الأوائل اعتقدوا أن إلههم يسكن في حجر خاص هرمي الشكل. ففي مواسم محددة – أو لغايات خاصة – يحث الكهنة روح الشمس لتسكن الحجر ، ويُعتقد أنها تكون حاضرة عند تقديم الهدايا للإله ، وعند التضحية بضحايا بشرية ، كانت عادة من أسرى الحرب. ولا نعرف المعنى الدقيق لهذا الرمز الشمسي. يعتقد البعض أن المسلة تمثل محور الأرض والسماء ، إلا أن المصريين يصعب أن يستنبطوا مثل هذه الفكرة ؛ وآخرون نسبوا لها معنى أداة التناسل ، وغيرهم ربطها بشيء ينتج النار والحرارة. من المؤكد أنها رمزت لرع ، فكان هناك نموذج لمسلة داخل مقام موصد الأبواب في حرم كل معبد. من المحتمل أن عبادة الحجر القائم أو العمود كانت أقدم من عبادة رع ، وأن انو – الاسم القديم لهليوبوليس – يعني مدينة العمود. زارت روح الشمس معبدها من آن لآخر في صورة طائر بنّو ، وحطّت " على حجر بن[٢]، في بيت بنّو في انو"؛ وقد عُرف طائر بنّو – الذي نظر إليه المصريون على أنه " روح رع " – في عصور متأخرة كطائر خرافي أو العنقاء.[٣]

في عهد الأسرة السادسة ، نجح كهنة رع في دفع إلههم إلى موضع السيادة فوق كل الآلهة ، وكما نرى من أسماء رع–خيري ، ورع–اتم ، ورع–حوراختي وما يماثلها ، فإن كل الآلهة الشمسية القديمة لشمال مصر اعتُبرت أشكالاً لرع. كان ملك السماء وقاضي الآلهة والبشر ، وجرت محاولة ليتقبله الناس سيداً فوق أوزيريس وملكاً للدوات أو العالم الآخر. لكن الكهنة أخفقوا في هذا الشأن ،

واحتفظ أوزيريس بمنصبه كإله وقاضٍ للموتى. وعزا الكهنة لرع فى المؤلفات الجنائزية – التى تُعرف الآن باسم " نصوص الأهرام " – سُلطات عظيمة على الموتى ، وعلى كل الآلهة والشياطين وسكان العالم السفلى فى الحقيقة ، وقبل أن يمر قرن من الزمان ، أصبح أوزيريس صاحب السلطة المطلقة علىمملكة امنتت.



(أ)



(ب)

أ– أوزيريس خنتى امنتت ، إله وقاضى الموتى وسيد العالم الآخر.

ب– بتاح– سكر–إسر. الإله الثالوثى للبعث الأوزيرى. أعضاء ثالوثه هم : سكر إله الموت القديم فى منف وبتاح إله الخلق فى منف وأوزيريس محيى الموتى.

من الواضح – مما سبق ذكره – أنه قبل انتهاء عهد الأسرة السادسة ، نسب الكهنة لكل من الآلهة الشمسية المختلفة لمصر السفلى كل القدرات والميزات الأساسية التى ادّعاها إمنحتب {إخناتون} لإلهه آتون. لكن علينا قبل أن ننظر ملياً فى هذه القدرات أن نُجمل باختصار الحقائق التاريخية الرئيسية المتعلقة بنهضة عبادة آتون وتطورها. أينما عُبد إله شمسى فى مصر فإن موطن هذا الإله هو قرص الشمس (إتن أو إثن) كما يُعتقد. إلا أن أقدم إله شمسى ارتبط بالقرص هو تِم أو إتمو ، الذى يُشار إليه كثيراً فى النصوص الدينية بعبارة " تِم فى قُرصه "؛ وعندما استولى رع على خصائص تِم أصبح " المقيم فى قُرصه ". كان حوراختى " إله الأفقين " أى إله الشمس بالنهار – من الشروق إلى الغروب – وفى الهيروغليفية التى كُتب بها اسمه نرى القرص مستقراً فوق أفق الشرق وأفق الغرب. أدمج تحتمس الرابع – الذى يدين بعرشه لكهنة تِم ورع فى هليوبوليس – إسم تِم مع لقبه النبتى ، ولقَّب نفسه " صنيعة رع " و " المختار من رع " و " الذى يحبه رع ". ويبدو أنه من المعقول ، نظراً لغياب اسم آمون من كل ألقابه ، أن نفترض أن تعاطفه الشخصى كان مع عبادة الآلهة الشمسية للشمال وليس مع عبادة آمون طيبة. لكنه احتفظ بعلاقات جيدة مع كهنة آمون ، وأهدى الهدايا لإلههم ، الذى أُقر به فى السودان المصرى ومصر وسوريا – بواسطة انتصارات تحتمس الثالث – كإله للعالم كله.

خَلَفَ تحتمس الرابع ابنه إمنحتب – الملك الثالث الذى حمل هذا الاسم – وأكد كهنة طيبة أنه الابن الحقيقى لإلههم آمون ، الذى

تجرى دماؤه فى عروقه. ووفقاً لهذه الرواية ، انتحل الإله شكل تحتمس الرابع وأنجبت الملكة موت م ويا طفلاً منه. لا يمكن تقدير كمّ التعليم الدينى الذى تلقاه الطفل ، لكن من المحتمل أن أى تعليم تلقاه من أمه – أميرة ميتانى – جعل عقله يميل نحو ديانة وطنها الأم. من الواضح من الألقاب التى اتخذها إمنحتب عندما أصبح ملكاً أنه كان قانعاً بكونه " المختار من رع " و " المختار من تم " أو " المختار من آمون "، ويبدو أنه لم يشغله كثيراً سواء كان " الذى يحبه رع " و " انبعاث رع " أو كان " الذى يحبه آمون " و " إنبعاث آمون ". اعتقد أسلافه على عرش مصر – بكل جديَّة – أن الدماء الإلهية تجرى فى عروقهم ، وفعلوا ما ظنّوا أن الآلهة تفعله ؛ فأحاطوا أنفسهم بإجراءات شعائرية محكمة ، تجعل الناس يعتقدون أن ملكهم إله. كل آلهة مصر كانوا سواء عند إمنحتب ، ونرى من النقوش البارزة فى معبد صولب – حوالى خمسين ميلاً بعد {جنوب} بداية الشلال الثانى – أنه كان مستعداً لعبادة نفسه وتقديم الأضحيات لها كما يفعل لآمون ، الذى أعاد بناء المعبد إجلالاً له. من المستحيل أن نفكر فى تأديته كل يوم الشعائر والطقوس – التى يُتوقع أن يؤديها ملك مصر فى محراب آمون رع فى الكرنك – من أجل أن يمنحه الإله القوة والمعرفة الضروريتين لحكم شعبه.

كان زواجه من السيدة تى (أو تاى) – شخصية فريدة ، من الواضح أنه لم تكن لها منزلة عالية أو وضع اجتماعى [٤] – واحداً من أهم الأحداث فى حياته ، وحدثاً مُفعماً بالعواقب بعيدة الأثر. وقد دوّن اسمها فى رسائل تل العمارنة تاى (Teî)

وأمها ثويو . كان أبوها يُدعى يويو . اكتُشفت مقبرتهما سنة ١٩٠٥ [٥]، ومن الواضح أنهما كانا متواضعين من عامة الشعب قبل زواج ابنتهما من إمنحتب الثالث. كانا من أبناء مصر – وفقاً لإجماع آراء علماء المصريات المعاصرين – وليسا من الأجانب كما افترض علماء المصريات القدامى. على كل حال ، لاشك أن تى كانت امرأة جديرة بالإنتباه وأن تأثيرها على زوجها كان عظيماً. ظهر اسمها فى النقوش جنباً إلى جنب بجوار اسم زوجها ، حقيقة تثبت أنه اعترف بسلطتها كحاكم مساعد له ؛ وساعدت فى الاحتفالات العامة وفى شعائر العبادة بشكل غير مسبوق من ملكات مصر قبل عصرها. كان نفوذها عظيماً داخل القصر وفى البلد عموماً ، ويوجد دليل على أن أوامر الملك – الخاصة والعامة – كانت لا تصدر إلا بعد أن تقرّها. فى السودان ، عُبد الملك كإله ، وابن وندّ ونظير لآمون رع ، وفى المعبد الذى بناه إمنحتب لها فى سادِنجا – حوالى عشرون أو ثلاثون ميلاً جنوب كوشاه – عُبدت تى كإلهة. عندما تزوجها إمنحتب – أو ربما عندما أصبح ملكاً – أمر بصنع عدد من الجعارين الكبيرة بشكل غير معتاد من الاستياتيت {حجر رخو صابونى الملمس}، نُحتت على قواعدها أسماؤه وألقابه جنباً إلى جنب بجوار أسمائها وألقابها [٦]. وعلى مجموعة أخرى من الجعارين الكبيرة ، أمر بنحت أسمائه وألقابه وأسماء تى وأبوها يويو وأمها ثويو ، وأعقب ذلك البيان التالى : "(هى) زوجة الملك المنتصر الذى امتدت أرضه جنوباً حتى كارى (أى نباتا ، عند قاعدة الشلال الرابع) وشمالاً حتى نهارن (أى



لوحة ٥: الملكة تى ، زوج إمنحتب الثالث. من رسم فى كتاب دافيز Davis عن مقبرتها (لوحة ٣٣).

الأرض التى ينبع منها نهر الفرات)" [٧]. ربما كانت هذه طريقة أخرى للقول بأن الملك العظيم القوى إمنحتب فخور بزواجه من ابنة لأبوين متواضعين فى المَولد ، وبإعطائها مكانة مساوية لمكانته. ومن المحتمل – كما اقترح ماسبيرو Maspero منذ زمن بعيد – أنه يُشار هنا إلى فصل من قصة خيالية إلى حد ما ، مشابهة لما جاء فى القصة القديمة حيث تزوج الملك راعية غنم أحبها. ما هى الآراء الدينية لتى ؟ وما هى الآلهة التى عبدتها ؟ ليست لدينا وسيلة نعرف بها ذلك ، لكن النقش الذى وُجد مكرراً على جعارين كبيرة مختلفة من حجر الاستياتيت توحى بأنها فضلت عبادة آتون ، وأنها فى السنين الأخيرة من حياتها كانت تابعة متحمسة مخلصة لذلك الإله. وحتى يسرَّها ، أمر إمنحتب بصنع بحيرة عظيمة فى أملاكها فى طيبة الغربية سُميت تشعروخا {چعروخا} . كانت أبعاد هذه البحيرة حوالى الميل وثُمن الميل طولاً (٣٧٠٠ ذراعاً) وأكثر من ثُمنى الميل عرضاً (٧٠٠ ذراعاً) {حوالى ١٨٥٠ × ٣٥٠ متراً}، ويحتمل أن مقابلها الحالى هو بركة هابو. فى اليوم السادس عشر من الشهر الثالث من فصل أخِت (أكتوبر)، فى السنة الحادية عشرة من حكمه ، أبحر جلالته على صفحة البحيرة فى القارب المسمى إثن-تحن ، أى " أنوار آتون " {حرفياً: شَرَر آتون}. وفى السنوات التالية أصبح هذا اليوم يوم عيد يُحتفل به. صنعت تلك البحيرة وذلك القارب ليبعثا السرور فى نفس الملكة ، أما حقيقة أن اسم آتون شكل جزءاً من اسم القارب – بدلاً من آمون – فتُظهر أن كلا الملك والملكة رغبا فى تمجيد هذا الإله الشمسى. والواقع أن

ماسبيرو Maspero قرر بالتحديد أن هذا الموكب المائى للملك سجَّل تدشين عبادة آتون فى طيبة ، ومن المحتمل أنه مصيب فى ذلك.

ولدت تى لإمنحتب أربعة من البنات وولداً واحداً ؛ أما البنات فهن : أست وهنتّانب وسات اِمن وباكتن اِتن ، وأما الولد فهو إمنحتب الرابع ، إخناتون الشهير {فى الأصل: ياخون اِتن}. عاشت تى فى طيبة الغربية طوال حياة زوجها ، واستمرت فى ذلك بعد موته. زارت تل العمارنة من وقت لآخر ، وكانت هناك فى السنة الثانية عشرة من حكم ابنها. ويوجد لها رسم ممتاز تم نسخه فى اللوحة رقم ٣٣ من كتاب السيد داڤيز Davis عن مقبرتها.

لكن احترامه لتى وتشريفه إياها لم يمنعا إمنحتب من الزواج بأخريات ، ونعرف من رسائل تل العمارنة {هى فى الأصل والحقيقة: ألواح ..} أنه تزوج أخت وبنت توشراتّا ملك ميتانى. وقد تم زواجه من چيلوخيپا بنت شوتارنا وأخت توشراتّا فى السنة العاشرة من حكمه. وقد احتفل بهذه المناسبة بعمل مجموعة من الجعارين الكبيرة حُفر على قواعدها بيان أنه فى السنة العاشرة من حكمه وصلت چيلوخيپا ، بنت شوتارنا ، أمير نِهرنا ، إلى مصر مع نسائها و ٣١٧ شخصاً من مرافقيها {حرسها} [٨]. لا يُعرف بالضبط متى تزوج إمنحتب تاتومخيپا بنت توشراتّا ، لكن من المؤكد أنه تلقى معها هدايا كثيرة من أبيها ، إذ يحتوى لوح مكتوب (رقم ٢٩٦ فى متحف برلين) على قائمة طويلة لهدايا أبيها لها بمناسبة الزفاف. حذا إمنحتب حذو أبيه تحتمس الرابع فى الزواج من أميرات ميتانى ، إذ كانت زوجته – التى دعاها المصريون

موت م ويا – من أهل ذلك البلد. يتبع ذلك بالطبع أن تأثير هؤلاء الأميرات الأجنبيات على الملك لابد أنه كان تأثيراً جديراً بالإعتبار في بلاط طيبة ، وأنهن وكبار الموظفين والسيدات الذين حضروا معهن إلى مصر فضّلوا بغير شك عبادة آلهتهم القومية على عبادة آمون طيبة. تعلم ابن تى – إمنحتب الرابع – وأخواته وكوّنوا آراءهم الدينية مبكراً ، ويحتمل أن بُغض الأمير لآمون وكهنته المتغطرسين يرجع تاريخه للزمن الذى اتصل فيه بأميرات ميتانى ، وعرف ميثراس وإندرا وڤارونا والآلهة الآرية الأخرى ، الذين تشبه عبادتهم – فى الكثير من النواحى – عبادة رع وتِم والآلهة الشمسية المصرية الأخرى.

خلال سِنى حكمه الأولى ، بدّد إمنحتب قسطاً عظيماً من وقته فى الصيد ، وحتى يسجل مآثره فى الصحراء أمر بصنع مجموعتين من الجعارين الكبيرة. نُحت على قواعدها تفاصيل الصيد وعدد الحيوانات التى قتلها. تخبرنا مجموعة منهما – " جعارين الصيد " – أن رسالة وصلته لتخبره أن قطيعاً من الماشية البرية شوهد فى مصر السفلى. فخرج بغير توانٍ ليسافر فى مركب ، وأبحر طوال الليل ليصل فى الصباح قرب مكانها. قام الناس بعمل سياج من الحبال والأوتاد ، وبعدئذ – وبشكل أفريقى حقيقى – قاموا بتطويق القطيع وأجبروا الحيوانات الخائفة بالصياح والصراخ على الدخول فيه. فى المناسبة التى تسجلها الجعارين ، أُجبر ١٧٠ من الماشية البرية على الدخول داخل السياج ، وآنذاك قاد الملك مركبته

الحربية بينهم وقتل ٥٦ منها. وبعد أيام قليلة قَتَل عشرين آخرين. حدثت هذه المذبحة [٩] فى السنة الثانية من عهد إمنحتب [١٠].



لوحة ٦: جعران كبير من حجر الاستياتيت يسجل ذبح إمنحتب الثالث لمائتين وستة وعشرين من الماشية. المتحف البريطانى (الحجرة الرابعة للمصريات ، منضدة العرض **B** ، رقم ٥٥٥٨٥).

صُنعت مجموعة " جعارين الصيد " الأخرى فى السنة العاشرة من حكمه ، وبعد سرد أسماء وألقاب إمنحتب وزوجه تى ، يقرر النقش أنه من السنة الأولى وحتى السنة العاشرة من حكمه رمى بيده ١٠٢ أسداً متوحشاً [١١]. لم يستخدم ملك آخر لمصر الجعران كأداة نقل للإعلان عن مآثره الشخصية وشئونه الخاصة. يبدو بوضوح أن إمنحتب لديه مبرر ما ليفعل هذا ، أمَّا إذا كان هذا ليجعل الرمز الدينى لخيرى دنيوياً ، أو ليفرغ فى قالب السخرية الجيدة طوراً ما من عقيدة مصرية وطنية فكر فيها باستخفاف ، فإن هذا الاستخدام للجعران يتعذر تفسيره.

يبقى عهد إمنحتب الثالث وحده فريداً فى التاريخ المصرى. فعندما اعتلى العرش وجد نفسه السيد المطلق لسوريا وفينيقيا ومصر والسودان المصرى جنوباً حتى نباتا. قهر سلفه العظيم تحتمس الثالث العالم ، كما عرفه المصريون. وباستثناء " الحرب " التى شنها على النوبة فى السنة الخامسة من عهده لم يحتَج إلى توجيه أية ضربة ليحافظ على ما ظفر به تحتمس الثالث. وهذه " الحرب " كانت مسألة غير مهمة نسبياً ، أثارتها ثورة بعض القبائل التى تقيم قرب نهاية الشلال الثانى. ووفقاً لما تم تسجيله على لوح الحجر الرملى الذى أقامه إمنحتب احتفالاً بمناسبة نصره ، فقد أسر ٧٤٠ أسيراً فقط وقتل ٣١٢ متمرداً [١٢]. ثم قام بعمل جولة ملكية فى أنحاء السودان ، ولم يكتف الأمراء والنبلاء بالترحيب بسيدهم الأعلى بل عبدوه كإله لهم. وأرسلوا إليه فى طيبة ، العام تلو الآخر – تحت إشراف نائب الملك المصرى على كاش {كوش}[١٣]، كميات لا تُعد ولا تُحصى من الذهب

والأحجار الكريمة ، والأخشاب القيّمة ، وجلود الحيوانات ، والعبيد. وعندما زار فينيقيا وسوريا والبلاد المجاورة لهما رحب به الشيوخ وقبائلهم واعترفوا به ملكاً لهم ، ودفعوا الجزية بلا تردد. وتنافس الزعماء المستقلون الكبار لبابل وآشور وميتانى مع بعضهم فى التماس صداقته ، ويحتمل أن أسعد أوقات حياته المليئة بالملذات هى الفترات التى قضاها بين أصدقائه وحلفائه فى بلاد ما بين النهرين. إذ يمكن بسهولة تخيل ابتهاجه بصيد الأسد فى الصحراء جنوب سنجار وفى الأدغال بجانب نهر خابور ، وقد أكسبه حبه للمطاردة والصيد الكثير من الأصدقاء بين شيوخ بلاد ما بين النهرين. نشّطت زياراته لغرب آسيا التجارة ، إذ استطاعت القوافل أن تسافر إلى مصر ومنها بغير منع أو إعاقة ، وتقاطرت – فى هذه الأيام – حشود التجار والمتاجرين من جزر وسواحل البحر المتوسط إلى مصر ، حيث كان الذهب مثل التراب من كثرته.

خصّص إمنحتب جزءاً كبيراً من الثروة التى ورثها ، والريع الذى يتسلمه سنوياً من دافعى الجزية ، لتوسيع وتجميل معابد طيبة. كانت لديه أفكار كبيرة ، وأحب النتائج العظيمة والرائعة ، ولم يضنّ بالجهد أو المال فى سبيلها. وظّف أعظم المعماريين والمهندسين وأفضل العمال ، وأطلق يدهم أكثر مما فعلت حتشبسوت مع معماريّها سنموت. قام بإضافات عظيمة لمعبد الكرنك على الضفة الشرقية {للنيل}، وبنى طريقاً من النهر إلى المعبد ، وأقام مسلات وتماثيل لنفسه. أكمل معبد موت وصنع بحيرة مقدسة تجرى عليها مواكب دينية فى قوارب. وربط معبدى الكرنك والأقصر

بطريق كباش {لها رأس كبش على جسم أسد "أبو الهول"}، يمسك كل منها تمثالاً له بين كفيه ، وبنى فى {معبد} الأقصر صف الأعمدة المشهور ، الذى ما زال حتى يومنا هذا واحداً من أدق وأروع الأشياء من هذا النوع فى مصر. وبنى على الضفة الغربية معبداً جنائزياً رائعاً ، وأقام أمام بوابته مسلّتين وتمثالين هائلين لنفسه ، هما المعروفان الآن بإسم " تمثالى ممنون ". وشق طريقاً من النهر إلى المعبد ، على جانبيه اصطفت تماثيل حجرية لابن آوى. وبنى أيضاً – على جزيرة إلفنتين – معبداً تمجيداً لخنمو ، الإله العظيم للشلال الأول. وكما ذكرنا من قبل ، فقد جدّد وأضاف الكثير للمعبد الذى أسّسه تحتمس الثالث فى صولب. كل هذه المعابد تم تزويدها بأبواب مكسوّة بصفائح معدنية ، يبدو أن بعض أجزائها كانت مزخرفة بتطعيم ثمين ، كما استُخدمت الألوان بسخاء فى عملية الزخرفة. مكّنت الموارد المالية التى دبرها الملك من توظيف عمالة غير محدودة ، ولابد أن معظم رعاياه كسبوا رزقهم بالعمل من أجل آمون والملك. فى عهد ولى نِعَم مثل هذا ، ازدهرت الفنون والحرف ، وأنتج الصُنّاع المهرة من الحجر والخشب والنحاس والفاينس ما لم يره أحد قط قبل ذلك فى مصر. تراسل إمنحتب مع أصدقائه فى بابل وميتانى وسوريا طوال عهده ، وقد أعطى وصول ومغادرة المبعوثين الملكيين الفرصة لإظهار كرم الضيافة للجميع بسخاء ، واستعراض الثروة وكل ما تنتجه. لابد أن الاستقبالات فى قصره المزخرف زخرفة جميلة فى الضفة الغربية للنهر كانت حفلات رائعة مثلما يحب الشرقى. أنفق الملك ثروته بشكل ملكى ، وبعدة طرق ،

يحتمل أنها نتيجة الدم الميتانى الذى تدفق فى عروقه ، فكانت شخصيته شخصية شيخ من بلاد ما بين النهرين مستبد حَسَن النية ، غنى محب للترف ، رخيّ البال ، أكثر منها شخصية ملك لمصر. لقَّبه هول Hall لقباً ملائماً تماماً له فقال " إمنحتب الرائع ". تُوفى بعد حُكم دام حوالى ست وثلاثين سنة ، ودفن فى مقبرته فى الوادى الغربى بطيبة {بجوار وادى الملوك}. توجد بها على جدران الحجرات مشاهد تمثل الملك متعبداً لآلهة العالم الآخر ، وعلى السقف رسومات فلكية ملونة ممتعة للغاية. لم تكن المقبرة مكتملة عندما دفن الملك فيها. نهبها لصوص المقابر المحترفون ، ونقلت الحكومة فى ذلك الزمان مومياءه إلى مقبرة إمنحتب الثانى ، حيث عثر عليها لوريه Loret سنة ١٨٩٩. هكذا وأياً كانت الآراء التى ربما تمسّك بها إمنحتب الثالث عن آتون ، فقد دفن فى طيبة الغربية بكل الأبهة والمراسم الاحتفالية التى تلائم فرعوناً رشيداً {ملتزماً بدين الآباء}.

---

*هامش للمترجم : لمن يرغب فى الإطلاع على النص الهيروغليفى من بردية آنى وترجمته ، أنظر : E.A.Wallis Budge, The Egyptian Book of The Dead, 1895 (Dover Edition, 1967), Plate VII (part), pp. 28-31 & 281-282.

١- لوح بيعنخى ، ١. ١٠٢.

٢- [hieroglyphs]

نصوص الأهرام Pyramid Texts, II. N. 663, p. 372.

٣- هامش للمترجم : لقراءة المزيد عن طائر بنّو
أنظر E.A.Wallis Budge, From Fetish to God in Ancient Egypt, 1934 (Dover Edition, 1988), pp. 89-90.

وبالبحث عن نوع هذا الطائر المميز الشكل وجدنا جاردنر يذكر أنه أحد نوعين من البلشون Heron (*Ardea cinerea* or *A. purpurea*) وذلك فى كتابه Alan Gardiner, Egyptian Grammar. 1927, Oxford University Press, Third Edition 1957 (Reprinted 1973), p. 470.

وقد مكنتنا عدة مراجع فى علم الطيور أهمها M.E.Tharwat, Birds known to occur in Egypt, Nat.Bio.Unit 8, 1997, p. 13 من تحديد النوع بشكل مقنع على أنه البلشون الرمادى :
Gray Heron, *Ardea cinerea cinerea* Linnaeus, 1758

٤- أنظر Davis, *The Tomb of Queen Tîyi*, London, 1910.

٥- أنظر Davis, *Tomb of Iouiya and Touiyou*, London, 1907.

٦- على سبيل المثال أنظر رقم ٤٠٩٤ فى المتحف البريطانى (الحجرة الرابعة للمصريات ، منضدة العرض **B**).

٧- أنظر رقمى ٤٠٩٦ و ١٦٩٨٨ فى المتحف البريطانى.

٨- أنظر رقم ٤٩٧٠٧ فى المتحف البريطانى.

٩- هامش للمترجم : فى الأصل *battue* لفظ فرنسى ، يستخدم للدلالة على صيد ما يتم إطلاقه من محبسه أو ما يتم دفعه نحو الصياد.

١٠- من أجل مثال رائع من هذه المجموعة من الجعارين ، أنظر رقم ٥٥٥٨٥ فى المتحف البريطانى. (أنظر لوحة ٦ فى هذا الكتاب)

١١- توجد أمثلة رائعة فى المتحف البريطانى ، تحت أرقام ٤٠٩٥ و ١٢٥٢٠ و ٢٤١٦٩ و ٢٩٤٣٨.

١٢- هذا اللوح صنعه مرى مس ، نائب الملك لشمال السودان ، وأقامه فى سمنة ، حوالى ٣٠ ميلاً جنوب وادى حلفا. وهو الآن فى المتحف البريطانى. (القاعة الشمالية للآثار المصرية ، رقم ٤١١ ، جناح ٦) له رسم توضيحى فى *الدليل* ، ص ١١٥.

١٣- هامش للمترجم : ورد اسم النوبة هنا على أنه كاش Kash ، على الرغم من وروده فى فصل (عهد توت عنخ آمون) بهجاء آخر هو كيش Kesh . وبالرجوع إلى E.A.Wallis Budge, An Egyptian Hieroglyphic Dictionary, 1920 (Dover Edition, 1978), p. 392a نجد فى مادة Nesu التعبير التالى prince of Kash, i.e., viceroy of Nubia أمير كاش ، أى نائب الملك على النوبة. ويتكون فيه اسم النوبة من حرفين فقط (ك ، ش) يليهما مخصص الأرض الأجنبية . ونظراً لاجتهاد العلماء فى وضع حرف الحركة يحدث الاختلاف فى النطق مثل كاش وكوش وكيش ، إلخ.

تطور عبادة آتون فى عهد إمنحتب الرابع

خلف إمنحتب الثالث ولده من زوجه المحبوبة تى ، الذى اعتلى العرش بإسم إمنحتب الرابع ، ليحكم حوالى سبع عشرة سنة ، وتوفى – ربما – قبل أن يبلغ الثلاثين. ويعتمد هذا التقدير من حيث الدقة على دليل يتمثل فى مومياء شاب تم العثور عليها فى مقبرة الملكة تى ويُعتقد بشكل عام أنها تخص إمنحتب الرابع. يُظن أن هذه المومياء تم نقلها من مقبرة ملكية فى تل العمارنة إلى طيبة عن طريق الخطأ بدلاً من مومياء الملكة تى ودفنها محلها. فحص د. إليوت سميث Dr. Elliot Smith هيكل المومياء وقرر أنها تخص رجلاً عمره ٢٥–٢٦ سنة " مع عدم استبعاد احتمال أنه ربما كان أكبر من ذلك ببضع سنوات ". وأضاف فى شهادته [١] البالغة الأهمية " تُظهر الجمجمة – مع ذلك – بطريقة لا لَبس فيها التشوه المميز لحالة استسقاء الرأس ". وبالتالى إذا كان الهيكل العظمى يخص إمنحتب الرابع ، يكون الملك قد عانى من وجود ماء يضغط على المخ ؛ وإذا كان عمره ٢٦ سنة عند وفاته ، فلابد أنه بدأ الحكم فى سن التاسعة أو العاشرة. إلا أنه يوجد احتمال أنه لم يبدأ الحكم حتى أصبح أكبر من هذا بعدة سنوات.

حتى لو عاش أبوه ، فلم يكن من النوع الذى يعلم ابنه كيف يبارى وينافس أفعال الفراعنة المحاربين مثل تحتمس الثالث ، ولم يكن لديه الموظف الكبير الذى يرشده إلى فنون الحرب ، إذ أن العهد السلمى الطويل لإمنحتب الثالث أنسى المصريين أن الدعة والترف

اللذين نعموا بهما كان ثمنهما الحملات الشاقة والحروب التى شنها أسلافهم. حكمت تى مصر - بالفعل - بضع سنوات بعد موت زوجها ، وفعل الملك الصبى - على الأقل بعض الوقت - ما أمرته به أمه. وزوجه نفرتيتي - التى كانت ابنة أبيه [٢] ، يُحتمل من امرأة من بلاد ما بين النهرين - اختارتها له أمه بلا شك ، ومن الواضح تماماً من الرسومات الجدارية فى تل العمارنة أنه كان واقعاً تحت تأثيرهما لدرجة كبيرة. كان آى - زوج مربيته - كاهناً لآتون ، وأثناء سنيه الباكرة استقى من هذه المجموعة من الأشخاص أساسيات ديانة آتون ومعرفة كبيرة بالعقائد الدينية للسيدات الميتانيات فى البلاط المصرى. التى رسخت فى نفسه وأثمرت ، فكانت النتيجة هى بغضه ليس فقط لآمون - إله طيبة العظيم - بل لكل الآلهة القديمة لمصر ، مع استثناء الآلهة الشمسية لهليوبوليس. أولئك الآلهة الذين شابهوا من عدة نواحٍ الآلهة الآرية التى عبدها قوم جدته ، خاصة ڤارونا الذى - مثل رع - قُدمت له الأضحيات البشرية أحياناً ، والذين مال إلى التعاطف معهم. بالإضافة إلى هذا ، رأى - كما رأى الكثيرون غيره بلا شك - أن كهنة آمون قد استولوا على امتيازات ملكية ، وأصبحوا بثروتهم ودهائهم القوة المسيطرة فى البلاد. وحتى فى ذلك الوقت كان من الصعب معرفة ريع ودخل آمون {أو ثروته}، وتفشّى نفوذ كهنته وعمَّ المملكة من نباتا فى الجنوب إلى سوريا فى الشمال.



لوحة ٧: جزء من لوح حجرى ملون عليه نقش شخصى بارز مجوف لإمنحتب الرابع ، تشرق عليه أشعة آتون التى تنتهى بأياد بشرية. المتحف البريطانى ، رقم ٢٤٤٣١.

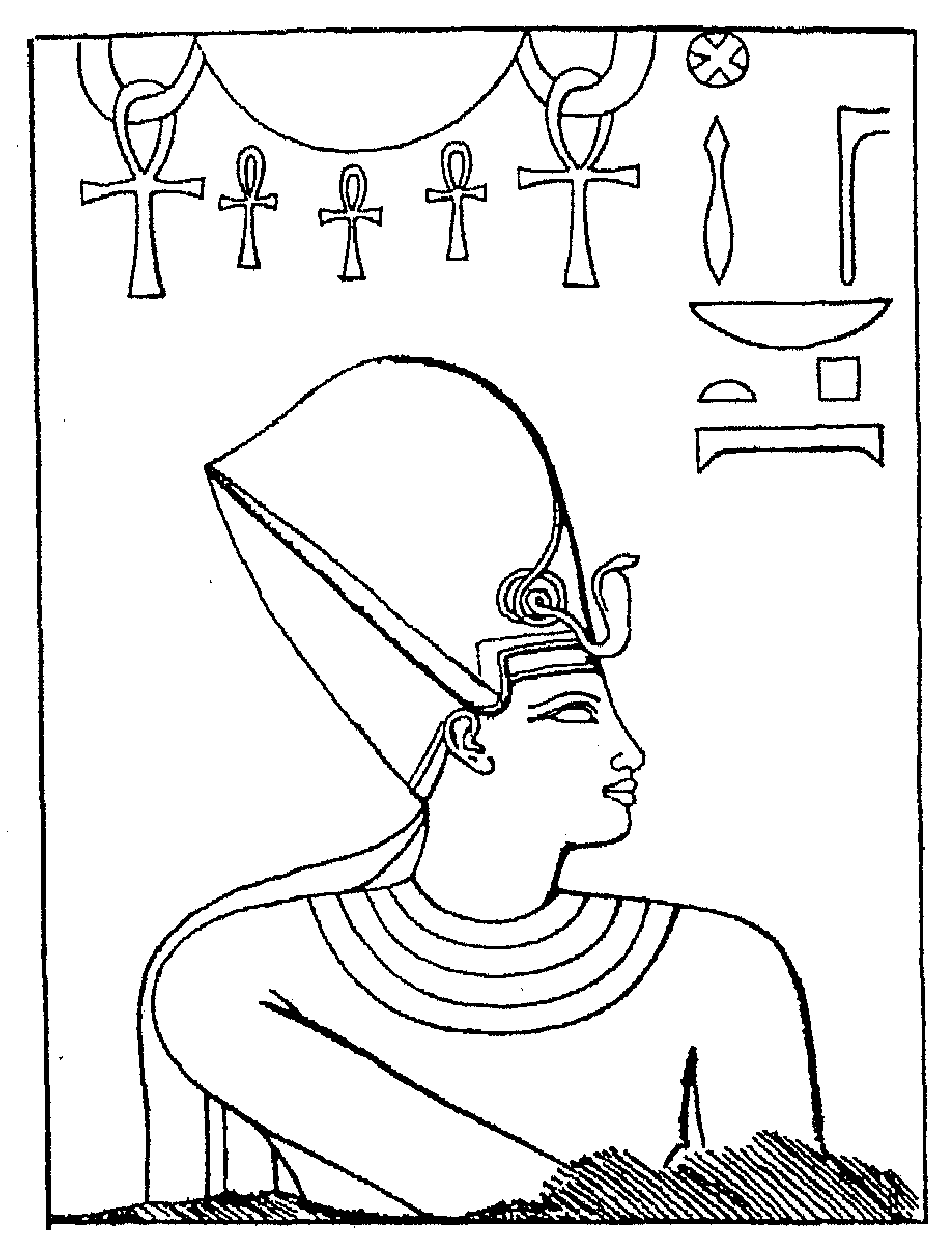
خلال السنوات الخمس أو الست الأولى من حكمه ، لم يقم إمنحتب الرابع بتغيير يُذكر فى حكومة البلد ، ومن المحتمل أن هذا يرجع إلى توجيه أمه البارع. إلا أن أفعاله فى السنة السادسة من حكمه وما تلاها تثبت أنه على الرغم من أنه كان لا يزال مجرد صبى فقد كان يدرس المسائل الدينية متمعناً فيها بهمة وحماس ، وبقدر يزيد كثيراً على الفهم الصبيانى. لابد أنه كان ذكياً وإدراكه يسبق سنَّه ، له عقل يعمل بسرعة. كانت له إرادة قوية واعتقاد دينى راسخ محدد وطبيعة لا تهاب. من الواضح أيضاً أنه لم يحتمل المعارضة بسهولة ، واعتقد بصدق فى حقيقة وصدق دوافعه وأعماله. لكنه مع كل هذه المواهب افتقر إلى الدراية العملية بالناس والأشياء. فلم يدرك أبداً الطبيعة الحقيقية للواجبات التى عليه أن يقوم بها تجاه بلده وشعبه ، ولم يفهم أبداً حقائق الحياة. لم يتعلم أبداً صنعة المُلك عند الفراعنة ، وأخفق فى إدراك أن المقاتل وحده هو الذى يمكنه أن يحتفظ بما ناله وكسبه المقاتلون من أجله. بدلاً من أن يرتبط برجال العمل ممن لهم التأثير والفعالية ، جلس عند قدمىّ الكاهن آى ، وشغل عقله بالتأملات الدينية ؛ ولذلك – وبمساعدة أمه الموقرة وقريباتها – أصبح بالتدريج ذلك المتعصب الجرىء الذى أظهرته مقابر وآثار مصر على هذه الصورة. بنيانه البدنى والظروف المحيطة به أوصلاه إلى ما كان عليه. فى السنوات الأخيرة ، تم وصفه بأوصاف مثل ما يلى: " المثالى العظيم " و " المصلح العظيم " و " الثائر الأول فى العالم " و " أول فرد متميز فى تاريخ البشرية " إلخ. لكن – فى ضوء الحقائق التاريخية

المعروفة ، وملاحظات د. اليوت سميث التى اقتبسنا بعضها فيما سبق عن تشوه جمجمة إمنحتب الرابع – فهناك ما يبرر تماماً تساؤلنا مع د. هول إذا ما كان الملك " ليس حقاً نصف مخبول "[٣]. فلا أحد سوى إنسان نصف مخبول يصيبه العمى على هذا النحو فى مواجهة الحقائق ليحاول الإطاحة بآمون وعبادته ، وهو محور الحياة الاجتماعية بأسرها. لقد عانى – على الأقل – من الهوس الدينى ، وجعلته الغطرسة الروحية والاكتفاء الذاتى غافلاً عن كل شىء سوى مشاعره وانفعالاته.



لوحة ٨: جزء من رأس تمثال شخصى لإمنحتب الرابع.
المتحف البريطانى ، رقم ١٣٣٦٦.

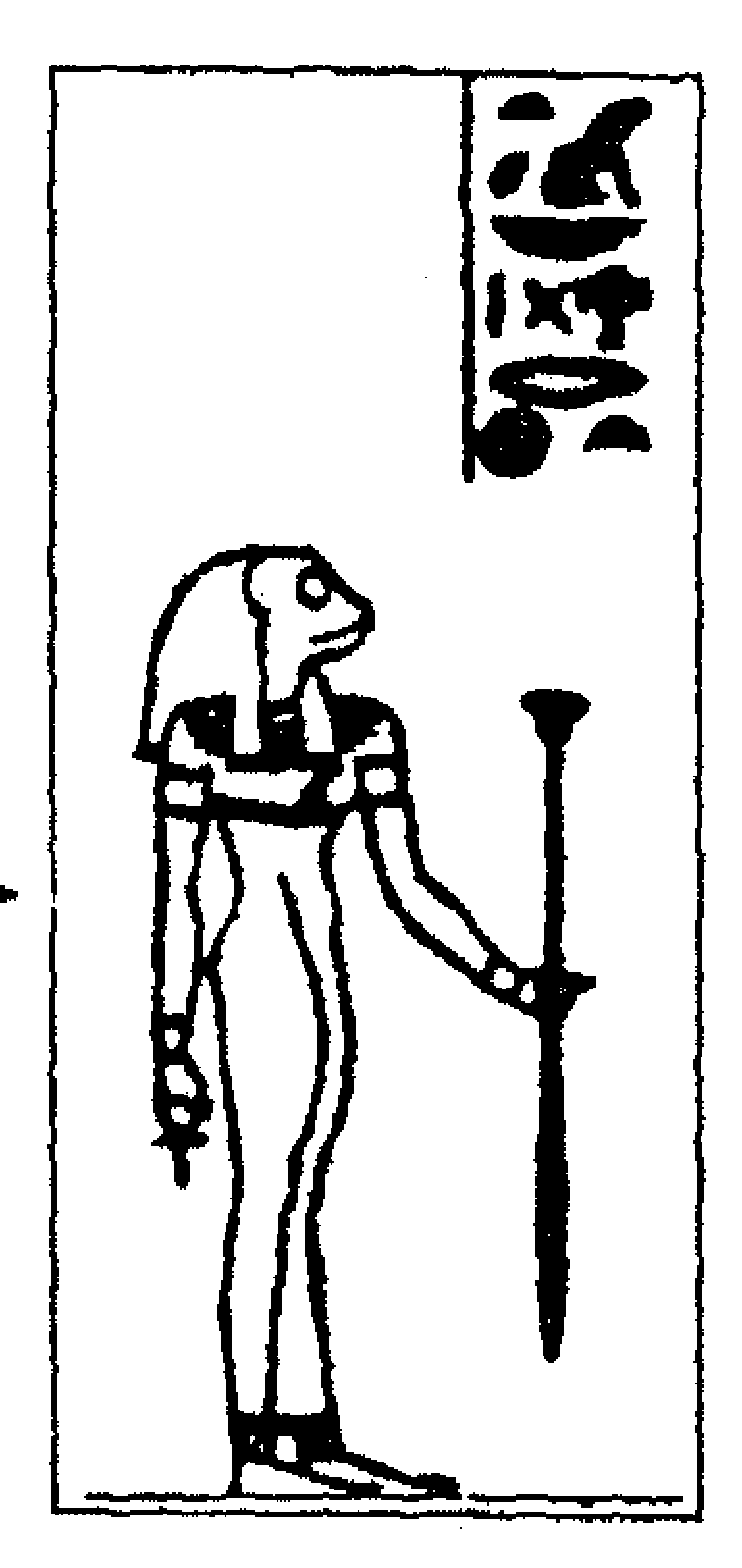
عندما عزم وصمَّم على أنه لابد من محو وإزاحة آمون وكل " آلهة " مصر الأخرى ، قرر إمنحتب الرابع أن يشرع فى هذا العمل بدون تأخير. وتوصل بعد سنوات من التفكير إلى حكم نهائى ، أن الآلهة الشمسية فقط – تم ورع وحورس الأفقين – هى الجديرة بالتعظيم والاحترام ، وأن شكلاً ما من أشكال عبادتهم ينبغى أن يحل محل عبادة آمون. وكان شكل إله الشمس الذى اختاره للعبادة هو آتون ، أى قُرص الشمس ، الذى كان مقر إقامة تِم ثم رع هليوبوليس فيما بعد. لكن القُرص لم يكن بالنسبة له مقر إقامة إله الشمس فقط ، بل الإله نفسه ، الذى يهب الحياة لكل شىء على سطح الأرض ، بواسطة الحرارة والنور اللذين ينبعثان من جسده. نَسَبَ إمنحتب لآتون خصائص الآلهة القديمة تِم ورع وحورس وبتاح وآمون نفسه وأعلن أن آتون " واحد " و " أحد ". وهذا ما صرَّح به أيضاً كل كهنة الآلهة القديمة ، تِم وخيبرى وخنم ورع ، وفيما بعد كهنة آمون. أعلن عباد كل إله عظيم فى مصر – منذ عهد سحيق – أن إلههم " واحد ". فكانت " الوحدانية " – على ما يبدو – من خصائص كل المعبودات فى مصر ، تماماً كما هى فى بعض مناطق الهند. لا يُتصور أن إمنحتب الرابع عرف بوجود شموس أخرى بالإضافة إلى الشمس التى رآها ، ومن الواضح أن آتون – قُرص الشمس – كان واحداً أحداً ، لا نظير له ولا ند. ويلقى اللقب الذى أطلقه عليه إمنحتب بعض الضوء على آرائه عن طبيعة إلهه. كُتب هذا اللقب داخل خرطوشتين ويُقرأ: " حورس الحى فى الأفقين ، المجيد فى الأفق الشرقى ، فى اسمه شو–الذى–هو–فى–القُرص ".



آتون ، الإله العظيم ، سيد السماء ، الذى تنبعث منه " الحياة " ☥☥☥ ؛ وأسفله إمنحتب الرابع فى شكل الفرعون التقليدى.

وتأتى بعده هذه الكلمات: " الحى دائماً ، الأبدى ، القُرص الحى العظيم ، هو الذى فى احتفال سِد [٤]، سيد الدائرة (أى كل شىء يُشرق عليه القُرص فى كل اتجاه)، سيد القُرص ، سيد السماء ، سيد الأرض ". عَبَدَ إمنحتب الرابع حورس الأفقين بوصفه " شو الذى كان فى القُرص ". إذا كان علينا أن نعتبر " شو " إسماً عادياً {وليس

اسم علم}، يجب أن نترجمه إلى " حرارة " أو " حرارة ونور "، لأن هذه الكلمة لها هذان المعنيان. فى هذه الحالة عبد إمنحتب حرارة الشمس ، أو الحرارة والنور الملازمين للقُرص. ونعرف الآن من نصوص الأهرام أن تم أو تِم رع خلق إلهاً وإلهة من انبعاثات أو مادة جسده ، وأنهما سُميا " شو " و " تفنوت "، الأول كان الحرارة التى تشع من جسد الإله ، والأخير الرطوبة. خلق شو وتفنوت جب (الأرض) ونوت (السماء)، اللذين أنتجا بدورهما أوزيريس – إله نهر النيل – وست – إله الموت والفساد الطبيعى {العفن أو التحلل} – ونظيريهما أو ظلّيهما إيزيس ونفثيس. أمّا إذا اعتبرنا " شو " إسم علم فى لقب إله إمنحتب ، فسنحصل على نفس النتيجة ، ويمكننا فقط أن نفترض أن الملك ألّه حرارة الشمس ، وعبدها على أنها القوة الوحيدة الأبدية ، الخلاقة ، المثمرة ، التى تساند وتدعم الحياة. لقد جعلت تقاليد هليوبوليس القديمة تِم أو تِم رع ، أو خپرى ، خالقاً لآتون القُرص ، لكن إمنحتب الرابع رفض هذا الرأى ، وأكّد أن القُرص خلق نفسه ورزقها معاشها. كان الرمز العام للآلهة الشمسية قُرصاً أحاط به ثعبان ، إلا أن إمنحتب ألغى الثعبان عندما اتخذ القُرص رمزاً لإلهه ، وعامل القُرص بطريقة جديدة مبتكرة. فأضاف إلى القُرص الذى تعلّقت بمحيطه الخارجي وحوله أحياناً علامات " الحياة ☥ "، سلسلة متتالية من الأشعة الهابطة ، وفى نهاية كل شعاع يد ، كما لو كان الشعاع ذراعاً ، تمنح " الحياة " على الأرض. {يمكننا أن نرى هذا التصميم فى أكثر من رسم فى الفصل الحالى}



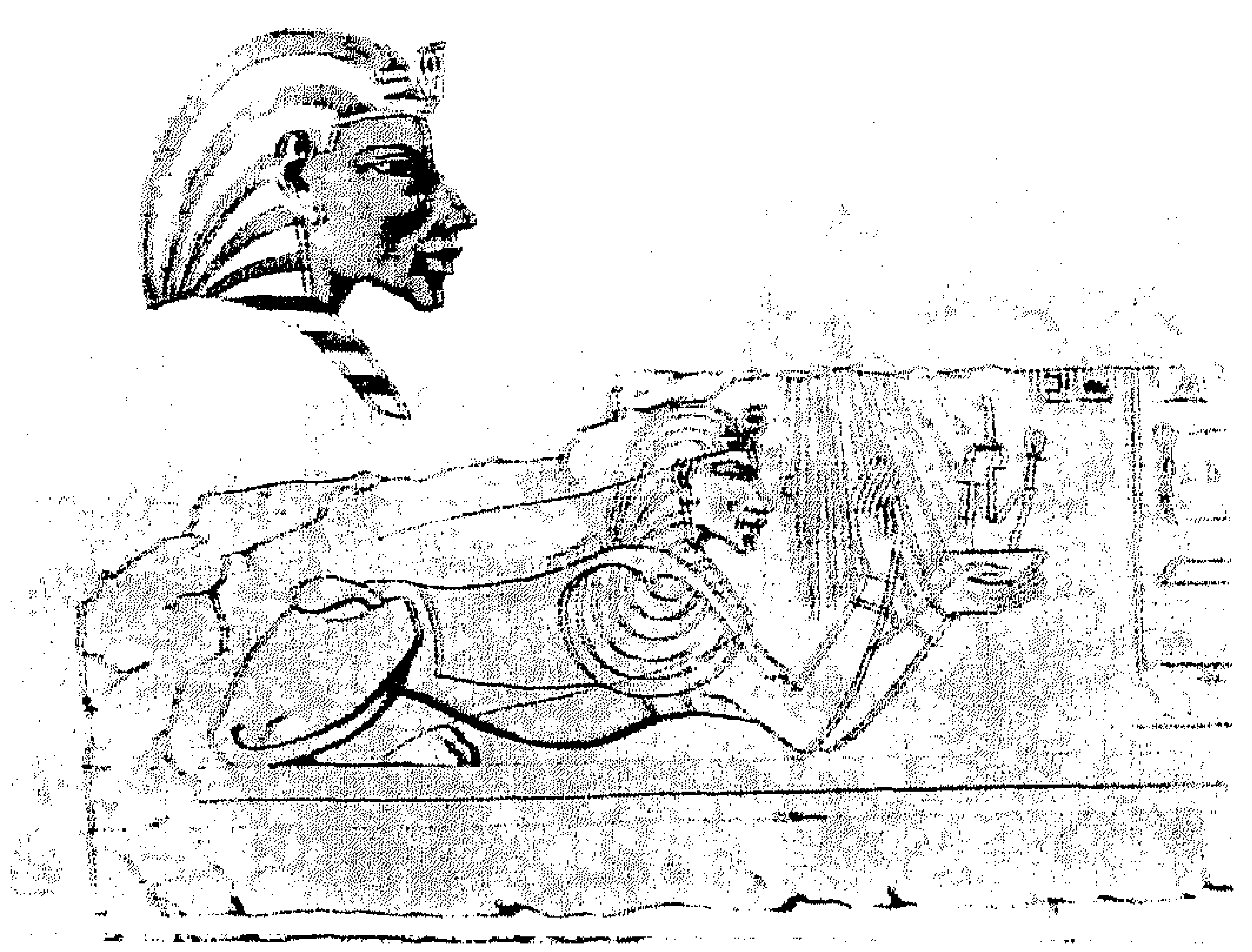
حقيت ، إلهة لها رأس ضفدع ،
- إحدى أعضاء مُثَمَّن توت
{جماعة الثمانية}.

لم يصبح هذا الرمز شعبياً شائعاً فى البلاد بأى حال ، وفضلت الأمة بأسرها أن تعتقد أن إله الشمس ينتقل عبر السماء فى مركبتين ، سكتت وإتت. ولم يَرُق شكل عبادة هليوبوليس القديمة لإله الشمس التى طوَّرها إمنحتب أبداً للمصريين ، لأنها كانت فلسفية أكثر مما ينبغى ومن المحتمل أنها كانت مؤسسة على مبادىء ذات أصل أجنبى مقصورة على فئة خاصة. كان حِر وسوتى - المشرفان العظيمان على معابد آمون فى طيبة - قانعين بالإقتداء بملكهما إمنحتب الثالث ، يركعان لآتون ويُنشدان له - مثل بقية الموظفين - ترتيلة تمجيد. لكنهما عرفا الطبيعة المتسامحة لآراء سيدهما الدينية ، وأنه كان فى الظاهر - على الأقل - تابعاً مخلصاً لآمون ، الذى كانت دماؤه - وفقاً لعقيدة كهنته - تجرى فى عروق الملك. لم يكن هناك فرق بالنسبة لإمنحتب الثالث أن يكون إلهاً ، فلم يزده ذلك ولم

ينقص منه ، واعتبر أنه من الطبيعي تماماً أن يقوم كهنة كل إله بتمجيد وتعظيم قوة إلههم. كان راضياً بأن يكون نظيراً لآمون ، وأن يتلقى العبادة الرسمية مثله. لكن الأمر اختلف مع ابنه. منحته حرارة آتون الحياة وحفظتها له ، وبينما كانت فيه كان آتون بداخله. كانت حياة آتون حياته ، وكانت حياته حياة آتون ، ولذلك كان هو نفسه آتون ؛ جعلته غطرسته الروحية يعتقد أنه تجسيد لآتون ، أى أنه الإله – ليس مجرد " إله " أو أحد " آلهة " مصر – وأن أفعاله إلهية. لذلك شعر أنه لا داعى لأن يذهب إلى معبد آمون لتلقّى المدد اليومى من " سائل الحياة "، الذى لم يحافظ فقط على القوى البدنية للملوك ، بل منحهم الحكمة والذكاء ليحكموا بلدهم. وبهدوء أقل سمح للكاهن الأكبر لآمون أن يكون وكيله {الدينى}. وفى النهاية قرّر أن آمون والآلهة يجب أن يُبعدوا وأن تلغى كل عقائد وتعاليم كهنتهم ، ويجب أن يُنادى بآتون الإله الواحد ، خالق نفسه ، ورازقها معاشها ، الذى أوجد نفسه ، وأنه {أى إمنحتب الرابع} ابنه ونائبه.

من الواضح أنه بدأ بناء معبد جم-اتن فى پر-اتن [hieroglyphs] ، فى طيبة ، بدون الأخذ فى الاعتبار التأثير المحتمل لقراره عندما تمت ترجمته إلى فعل. وكان فى المعبد حجرة أو مقام ، وُضع فيها " بن " أو " بنبن " أى " حجر الشمس "، وبفعله هذا سار على نهج كهنة هليوبوليس. اختار لهذا المعبد قطعة أرض فى منتصف الطريق تقريباً بين معبدى الكرنك والأقصر. وقرر أن هذا المعبد سيكون مركزاً لعبادة آتون ، التى يجب أن تكون من الآن فصاعداً الديانة الوحيدة لبلده. يمكن بسهولة تخيل تأثير ما

فعله الملك على كهنة آمون والناس فى طيبة ، عندما نتذكر أنه مع سقوط آمون تنقطع أسباب معاشهم. لكن إمنحتب كان ملكاً ، تجرى دماء إله الشمس فى عروقه ، وكان الفرعون حاكماً ومالكاً لمصر كلها ، ولكل شخص أو شىء فيها. لم يستطع الكهنة أو الناس سواءً بسواء أن يقفوا أمام إرادته ، ومع أنهم لعنوا آتون والمتعصبين لعبادته ، لم يتمكنوا من منع مصادرة ممتلكات آمون وإبطال طقوسه الدينية. لم يقنَع إمنحتب بهذا ، فأمر بإزالة اسم آمون من على الآثار، وحتى من اسم أبيه فى بعض الحالات ، وكثيراً ما حُذفت كلمة " آلهة " أيضاً. ليس فقط حتى لا يكون هناك آمون ، بل حتى لا يكون هناك آلهة ؛ ليكون آتون هو الإله الوحيد الذى يجب أن يُعبد.



لوحة ٩: أبو الهول ، برأس إمنحتب الرابع ، يقدم ماعت قرباناً لآتون.

يمكن بسهولة تصور نتيجة إعلان هذا المرسوم. امتلأت طيبة بغمغمة المتذمرين من أتباع آمون من كل الطبقات ، وعندما اكتمل معبد آتون ، وافتُتح لعبادة الإله الجديد ، تحولت الغمغمات إلى تهديدات ولعنات ، وملأ الجدال بين الأمونيين والأتونيين المدينة. ما الذى حدث بالضبط ؟ لم ولن نعرفه مطلقاً ، لكن نتيجة الفوضى والاضطراب أن إمنحتب الرابع وجد الإقامة فى طيبة مستحيلة ، وقرر أن يغادرها ، وأن ينقل البلاط الملكى إلى مكان آخر. لا نستطيع أن نحدد هل اضطُر لأخذ هذه الخطوة خوفاً على سلامته وسلامة أسرته ، أو رغبةً فى إلحاق المزيد من الإهانة والإضرار بآمون وكهنته ، لكن السبب الذى حثَّه على هجر عاصمته وتدمير أهميتها كذلك ، يجب أن يكون سبباً قوياً جداً ومُلِحاً. لمَّا قرر أن يغادر طيبة ، بحث عن موقع لعاصمته الجديدة ، التى نوى أن يجعلها مدينة الإله ، ووجده فى الشمال ، فى مكان يبعد حوالى ١٦٠ ميلاً جنوب القاهرة و ٥٠ ميلاً شمال أسيوط. فى هذه النقطة ، على الضفة الشرقية للنيل ، تحيط التلال بالأرض السهلة التى يكسوها الرمل الأصفر الناعم. كانت الأرض بِكراً ، لم تُدنَّس أبداً بمعابد آلهة مصر التى كرهها إمنحتب الرابع أو أى مبانٍ أخرى تتصل بها ، وكان السهل نفسه مناسباً للغاية كموقع لمدينة ، لأن مسطحه متصل لا تقطعه تلال أو عروق من الحجر الجيرى أو الحجر الرملى. قارَبَ عرضه – فى أوسع أجزائه – الثلاثة أميال شرق مجرى النيل وحوالى خمسة أميال طولاً. وامتد السهل على الجانب الآخر من النهر ، من النيل إلى التلال الغربية ، باتساع يفوق كثيراً ما هو

موجود على الضفة الشرقية ، وضمَّه الملك أيضاً إلى مساحة عاصمته الجديدة. ونصَبَ ألواحاً كبيرة على تخومها ليميز حدود إقليم آتون ، وعلى الألواح نقوش محفورة تقرر هذه الحقيقة.

علمنا مما سبق أن إمنحتب الرابع أمر بإزالة اسم آمون – كلما أمكن – من الألواح والتماثيل والآثار الأخرى ، وحتى من خرطوشات اسم أبيه ، بينما شَكَّل اسم آمون فى نفس الوقت جزءاً من اسمه كابن لرع. كان من السهل أن يعالج هذا التناقض ، وقد فعل ، فغيَّر اسمه من إمنحتب – الذى يعنى " آمون راضٍ أو قانع "– إلى اسم اَِخون اِتن ، الذى يجب أن يعنى – بالقياس على اسمه القديم – شيئاً مثل " آتون راضٍ أو قانع ". وقد اقترح هذا المعنى من قبل أكثر من واحد من علماء المصريات ، لكن مازال هناك ما يمكن قوله للاحتفاظ بالترجمة القديمة ، " روح آتون ". فأنا أدون الاسم الجديد لإمنحتب الرابع ، ليُقرأ اَِخون اِتن ، بدون أى رغبة فى أن أضيف جديداً إلى القراءات الكثيرة التى اقتُرحت له من قبل ، فقط لأن هذه القراءة تمثل الرموز الهيروغليفية بدقة كبيرة. إذ تُرينا نصوص الأهرام أن قيمة الصوتية هى أو . تمثل العلامة الأولى حركة قصيرة هى الفتحة أو الكسرة أو ما بينهما (ă, ĕ, ĭ)، والعلامة الثانية مثل حرف الألف ، والثالثة حرف الخاء ، والرابعة حرف الواو ، لذلك كانت قيمة الصوتية فى عصر الأهرام هى اَِخ أو اَِخو ، لكن يُحتمل أن اِ قد حُذفت فى عصور متأخرة ، حينئذ أصبحت قيمة

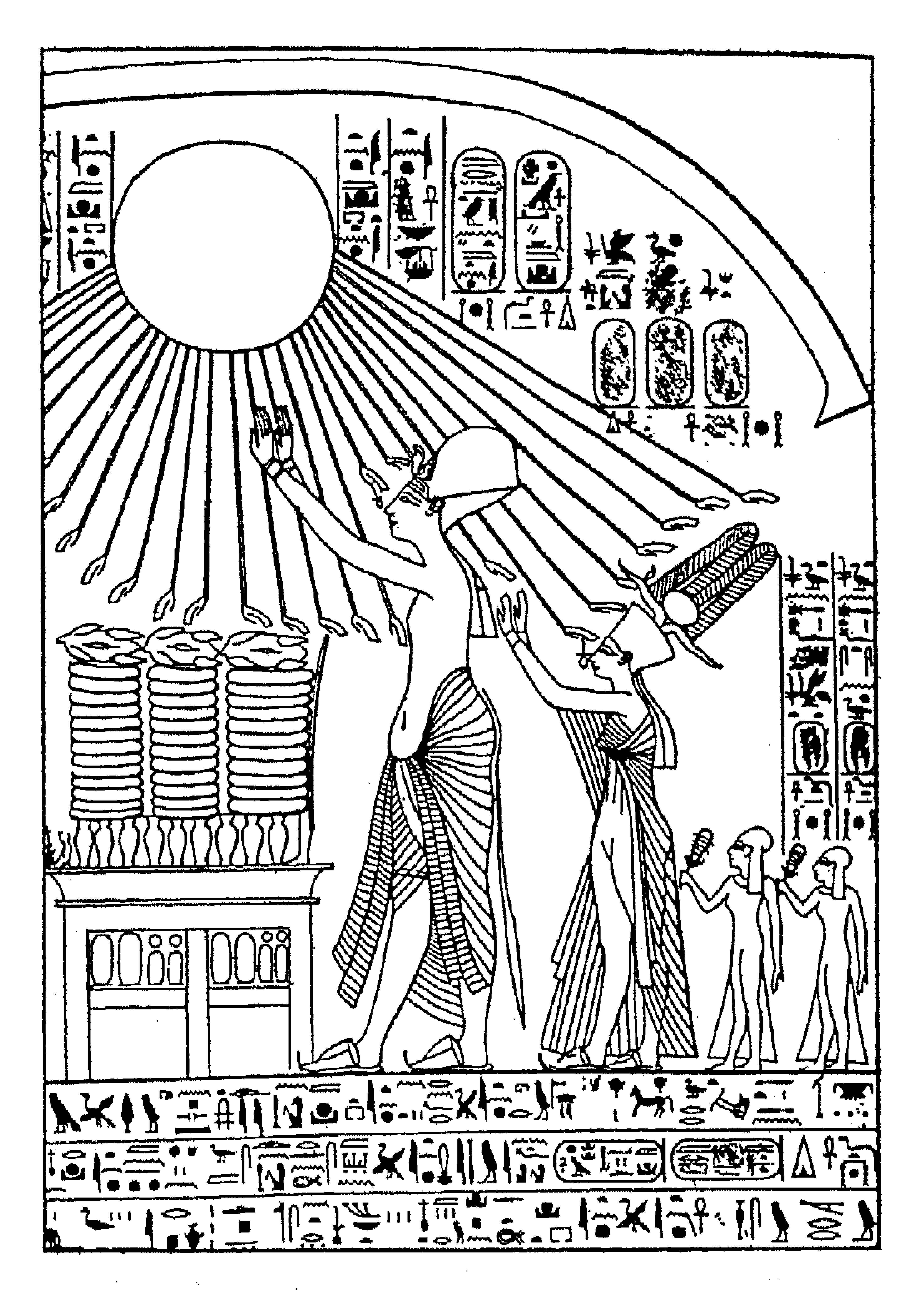
الصوتية أَخ ، كما قرأها برتش Birch منذ ستين سنة {١٨٦٣ تقريباً}. إذا كان هذا صحيحاً ، تكون القراءة الصحيحة للإسم هى " أَخن اتِن ". نحن لا نعرف ولن نعرف أبداً كيف نُطق الاسم ، لكن لا توجد أرضية قوية لفكرة أن " إخناتون " أو " إخ-ن-أتون " هو النطق الصحيح. وربما لاحظنا عرضاً أن اتِن لا صلة له باللفظ السامىّ " أذون " = سيد ". {لابد من تذكير القارىء بأننا نستخدم اسم إخناتون بهذا الهجاء المألوف تيسيراً عليه.}



(ب) (أ)

أ- ماعت ، إلهة الحق ، والواقع الحقيقى ، والقضاء {العدالة}- مادياً وروحياً ، والنظام ، والاستقامة ، والأمانة ، وسلامة الخلق ، إلخ.

ب- توت ، سيد كتابة الآلهة ، أى الهيروغليفية. هو عقل الإله البدائى ، الذى ترجم إرادته إلى كلام.



إمنحتب الرابع ، ترافقه ملكته والأسرة ، يقدمون القرابين لآتون.

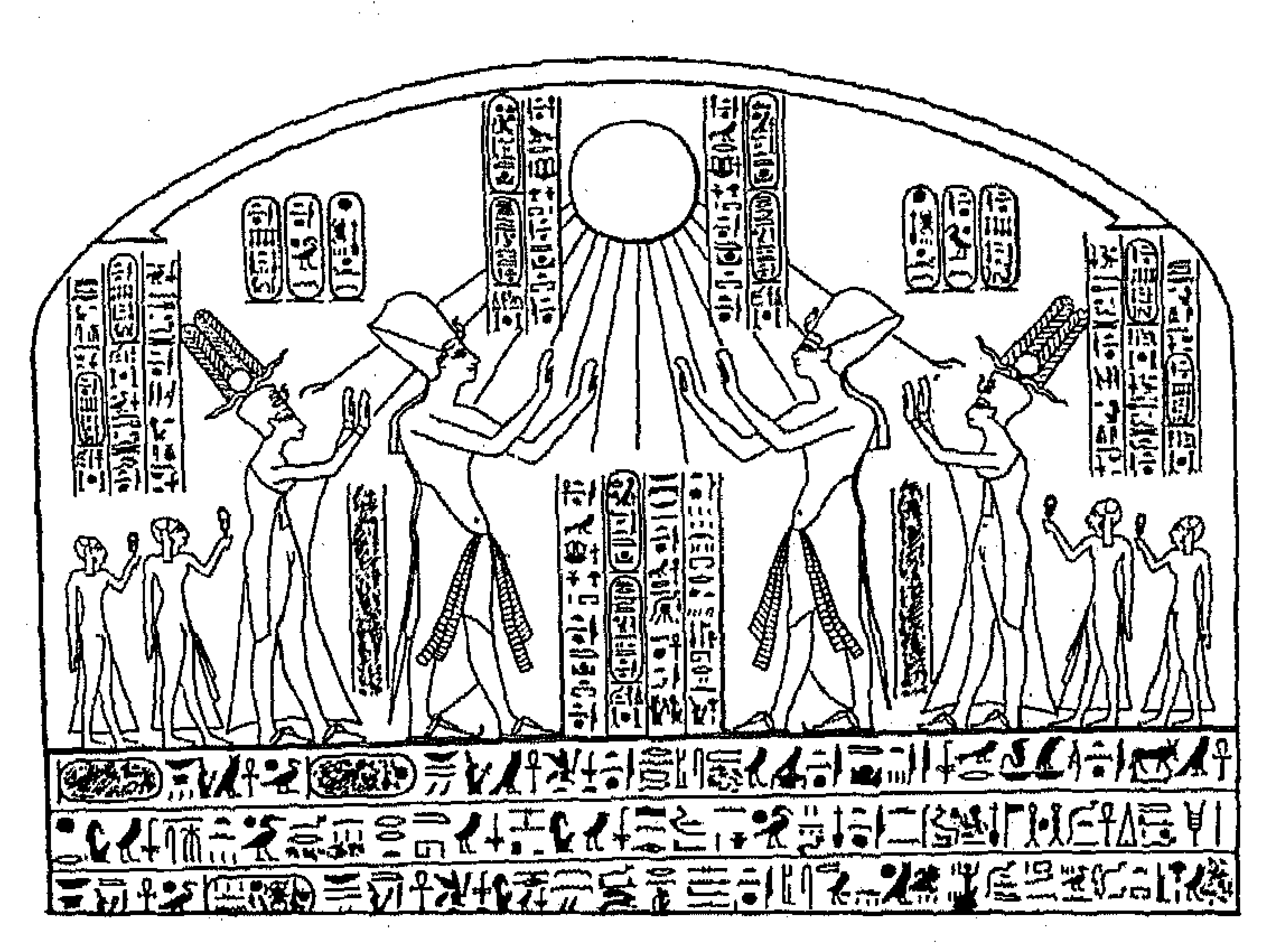
اتخذ إمنحتب الرابع لنفسه فى هذا الوقت لقبين متصلين باسمه الجديد ، هما " عنخ-م-ماعت " و " عا-م-عحع-ف "، ومعنى

الأول " الحيّ فى الحق " والأخير " العظيم فى حياته ". والمقصود بلقب " الحيّ فى الحق " غير واضح بالضبط. ماعت تعنى ما هو مستقيم ، حقيقى ، واقعى ، شرعى {حرفياً: قانون}، مادياً وأخلاقياً ، الحق ، والواقع الحقيقى ، إلخ. فيمكن أن يعنى بالكاد " الذى يحيا فى القانون أو بجانبه "، لأنه كان قانون نفسه ، لكن يحتمل أنه قصد أنه وجد الحق أو الشيء الحقيقى فى الآتونية ، وأن كل ما عداها من دين وهم ورياء. عاش آتون فى ماعت ، أو فى الحق والحقيقة ، والملك – بما فى داخله من جوهر آتون – يصنع صنيعه. المعنى الدقيق الذى ألحقه إمنحتب الرابع باللقب الآخر " العظيم فى حياته " غير واضح أيضاً. فقد كان – مثل كل فرعون سبقه – ابناً لرع ، لكنه لم يزعم – كما فعلوا – أنه " يعيش للأبد مثل رع "، واكتفى بتأكيد أن عمره مديد. أطلق إمنحتب الرابع على عاصمته الجديدة اسم اَلخوت اِتن ، أى " أفق آتون "، واعتبرها هو وأتباعه المكان الوحيد الذى يوجد فيه آتون. كانت بالنسبة لهم الرمز المرئى لبهاء وإحسان وحب الإله. أبهج مرآها قلوب كل مشاهديها ، وجمالها – كما أعلنوا – لا نظير له. كانت بالنسبة لهم مثل بابل للبابليين ، وأورشليم للعبريين ، ومكة للعرب ؛ المعيشة هناك ومشاهدة الملك – ابن آتون – مغموراً بأشعة آتون واهبة الحياة ذات الأيادى العديدة ، شيء من نعيم الجنَّة ، ومع ذلك لم يتلطف أىّ من كتاب التراتيل المقدمة لآتون فيخبرنا عن شكل هذه الجنة التى أشاروا إليها بطريقة سطحية. ما أن اتخذ إمنحتب هذه المدينة مقراً له ، حتى بدأ العمل فى تنظيم عبادة آتون ، ونشر دستوره ، الذى أسماه – مثل

كل كُتَّاب الحكم الأخلاقية والدينية – " التعاليم "، سبايت *[hieroglyphs] . ثم عيَّن نفسه كاهناً أعلى ، واتخذ لنفسه – ويا للعجب – اللقب القديم للكاهن الأعلى لهليوپوليس ، ودعا نفسه " أور–مآ [hieroglyphs] " أى " العرَّاف العظيم ". لكنه فى نفس الوقت لم يسنّ الشعائر والطقوس نصف السحرية القديمة التى أدَّاها حاملوا اللقب فى هليوپوليس. لم يستمر فى المنصب طويلاً ، بل حوّله إلى مرى رع ، أحد أتباعه المخلصين.

يبدو أنه عندما كان مجرد صبى - ربما قبل أن يعتلى العرش وينبذ اسم إمنحتب – حلم ببناء معابد لآتون ، وهكذا عندما اتخذ من مدينته الجديدة مقراً له بدأ يوماً العمل فى بناء حرم لذلك الإله. كان بِك أحد أتباعه المخلصين مهندساً معمارياً ورئيساً للبنَّائين ادَّعى أنه تلميذ الملك ، وكان بلا شك رجلاً ماهراً ذوّاقة. أرسله الملك إلى سون Sun {أسوان} – سايين Syene عند كُتَّاب الإغريق°– ليحضر أحجاراً لمعبد آتون ، ومن المنطقى أن نعتقد أنه بعد انتهاء البناء تمت زخرفة الجدران بشكل بالغ الروعة بالنحت واللوحات الملونة بألوان زاهية. وتم بناء معبد ثانٍ لآتون من أجل الملكة الأم تى ، وثالث للأميرة باكتن آتون {باكت ن إتن}، إحدى بناتها ؛ ويجب أن نتوقع أن معبداً أو أكثر تم بناؤه فى النصف الغربى من المدينة على الجانب الآخر من النيل. بنى إخناتون – بثروة آمون التى استولى عليها – عدة معابد لآتون خلال مدة حكمه. وهكذا أسَّس پر–جم–اِتن فى النوبة عند الشلال الثالث و جم–پا– اِتن م پر–اِتن فى طيبة و اِخوت اِتن جنوب اِنو (هرمونثيس {أرمنت

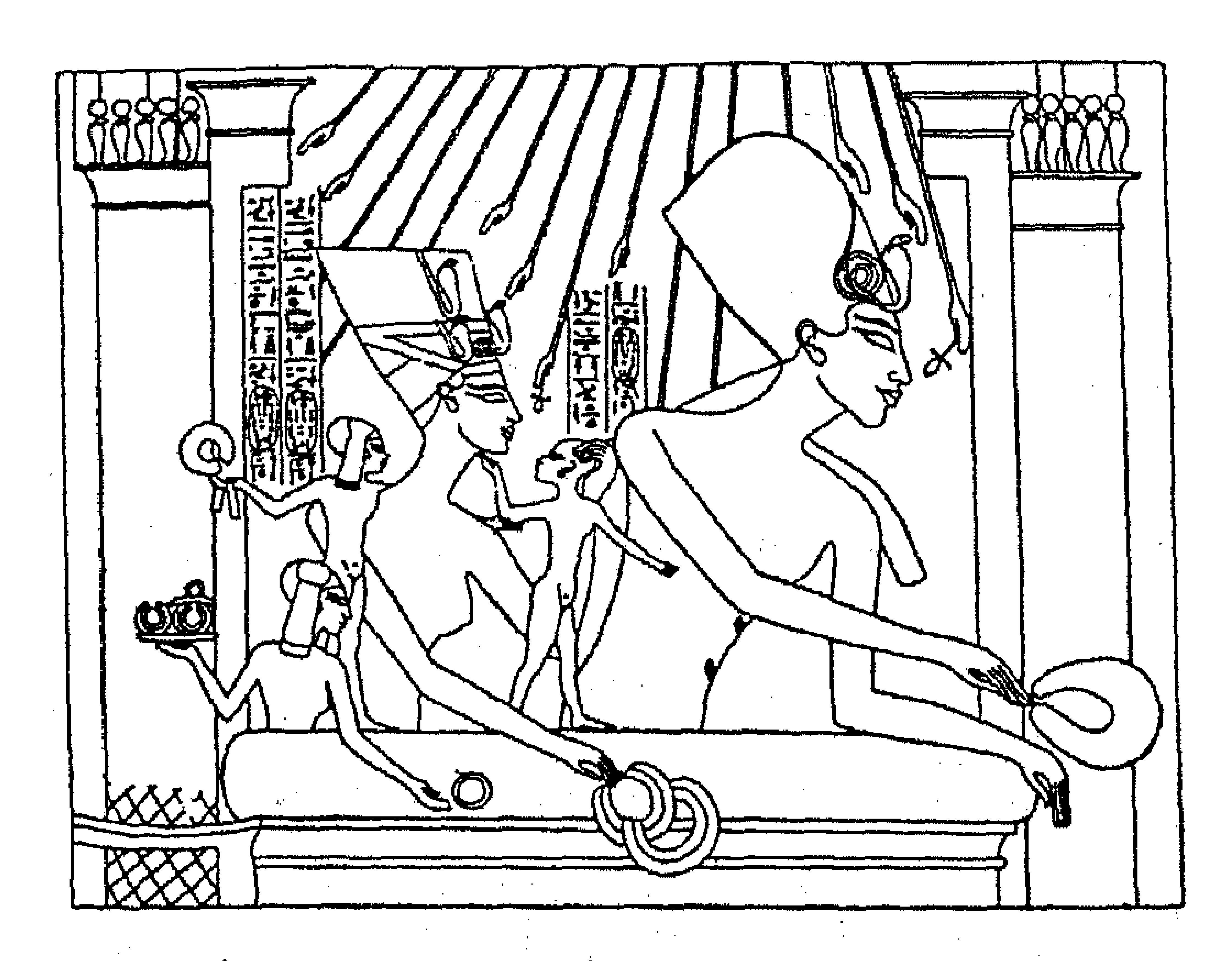
حالياً}) وبيت آتون [hieroglyphs] فى منف و رس-رع-م-اِنو [hieroglyphs]. وجدير بالملاحظة أن اسم آتون لم يرد ذكره ضمن اسم المعبد الأخير. كما بنى لآتون معبداً فى سوريا أيضاً ، ورد ذكره فى أحد ألواح تل العمارنة - بالمتحف البريطانى - تحت اسم هى-نا-تو-نا [cuneiform] [6].



إمنحتب الرابع وملكته والأسرة يتعبدون لآتون.

نما حب الملك لمدينته الجديدة وزاد مع تزايد المبانى فى آخوت اِتن ونمو عبادة آتون ، وخصص كل وقته لعبادة إلهه. لم يعد الملك يرغب أو يفكر فى تحسين أحوال مملكته ، التى تُركت لتدبر أمرها بنفسها ، وهو محاط بزوجه وأسرته وأصدقائه ، وموظفيه

المطيعين ، الذين يبدو أنهم كانوا يُكافأون بسخاء على إخلاصهم. ملأ دينه وسعادته العائلية كل حياته ، وكانت ميول ورغبات سيدات بلاطه أكثر أهمية عنده من مشورة ونصائح أقدر موظفيه.

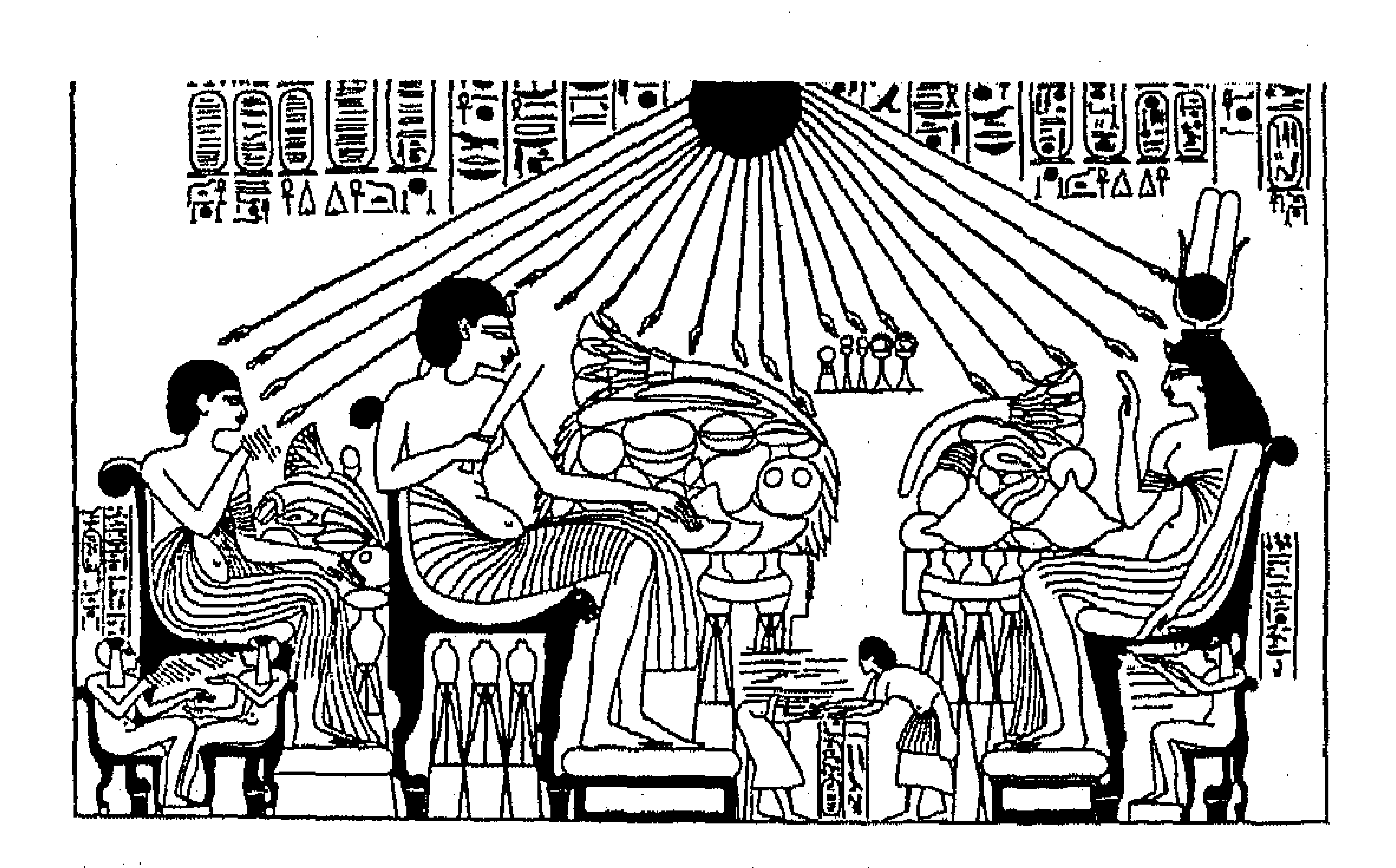


إمنحتب الرابع وملكته نفرتيتى يلقيان بأطواق من الذهب على أفراد البلاط الملكى ذوى الحظوة. ونرى الأميرة عنخ سن با إتن – التى تزوجت توت عنخ آمون – بين الملك والملكة ، واثنتان من بناتهما خلف الملكة.

لا نعرف شيئاً عن أساليب وشعائر عبادة آتون ، إلا أنه لابد أن التراتيل والأناشيد وأغانى الكورس ملأت المعبد كل يوم. ويثبت لوح توت عنخ آمون (أنظر فصل عهد توت عنخ آمون) أن الملك احتفظ بعدد كبير من الراقصين ولاعبى الأكروبات مرتبطين بخدمة وعبادة آتون. لم يكن الملك مقاتلاً ، بل لم يكن حتى محباً للمطاردة والصيد.

لابد أن موظفيه تساءلوا إلى متى تدوم الأحوال التى كانوا يعيشون فيها آنذاك ، لأنه لم يكن لديه ابن يدربه على رياضات الرجال ويعلمه فنون الحكم والحرب ، إذ أن ذريته تألَّفت من سبع بنات [٧].

كانت الحياة فى مدينة آتون بلا شك سارة ممتعة لرجال البلاط والطبقات الإجتماعية الرسمية ، لأن الملك كان كريماً مع موظفى حكومته فى المدينة ، ومنحهم – مثل الفراعنة القدامى – مقابر فى التلال ليُدفنوا فيها بعد موتهم. وأسماء الكثير من هؤلاء الموظفين معروفة جيداً ، مثل مرى رع الأول ومرى رع الثانى وپا نحسى (الزنجى) وحوى واعهمس وپنثو ومعحو واپى ورعمس وسوتى ونفر–خپرو–حر–سخپر وپارننفر وتوتو واى ومعى وآنى ، إلخ [٨].



إمنحتب الرابع وملكته نفرتيتى وبعض من بناته جالسون ، تسقط عليهم أشعة آتون. الملكة تضع على رأسها القُرص وقرنى هاتور وريشتا إيزيس. يبدو أن التكوين الشاذ للجزء السفلى من الجسم من مميزات كل فرد من أفراد العائلة الملكية.

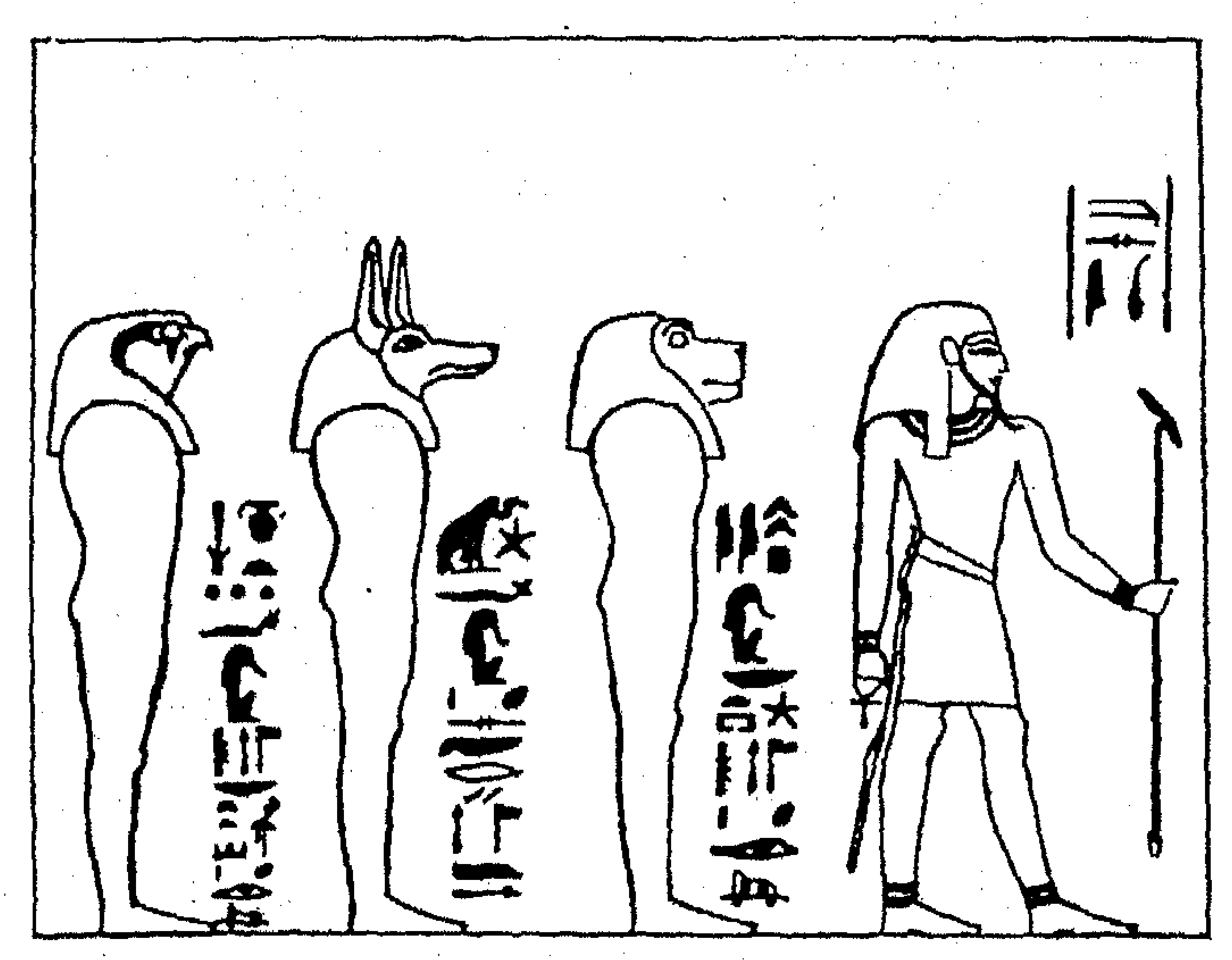


لوحة ١٠: إثنتان من بنات إمنحتب الرابع. نقش بارز محفوظ فى متحف أشمول ، أكسفورد. تم نسخه بإذن من جمعية استكشاف مصر Egypt Exploration Society.

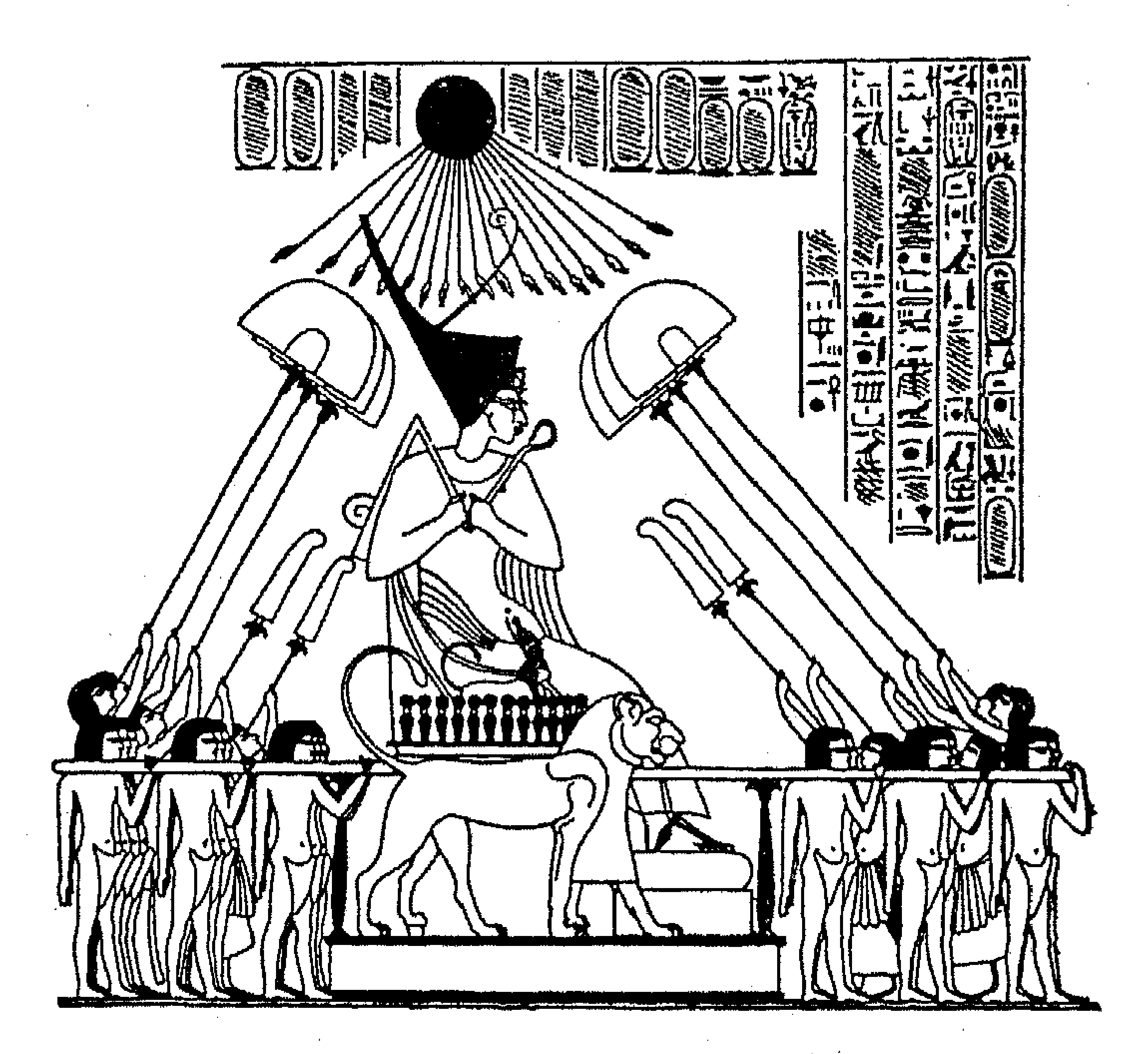
تختلف مقابر هؤلاء الرجال عن كل مقابر الآخرين من نفس الطبقة الإجتماعية فى مصر. فالجدران مزخرفة بصور تمثل (١) عبادة الملك وأمه لآتون (٢) مَنح الملك الهدايا للموظفين (٣) بيوت وحدائق وأملاك النبلاء (٤) الحياة المنزلية ، إلخ. تحتوى النصوص الهيروغليفية على جدران المقابر على أسماء أولئك المدفونين بها ، والوظائف التى تولّوها لدى الملك ، وتملق مقزز للملك ، وصلاحه وكرمه وعلمه. ثم أدعية للصلوات الجنائزية ، وكذا تراتيل لآتون. وليست الترتيلة الطويلة فى مقبرة آى من نظم الملك ، كما يُفترض

عادة ؛ هى أفضل نص بين كل النصوص المشابهة لها فى تلك المقابر ، وقد تم العثور على مقتطفات عديدة منها فى مقابر الموظفين المرافقين للملك. وتظهر ترتيلة أقصر فى بعض المقابر ، يُحتمل أن مؤلفها هو إخناتون. ونبحث عبثاً عن صور آلهة مصر القديمة ، رع وحورس وبتاح وأوزيريس وإيزيس وأنوبيس ، ودورات آلهة الموتى والدوات (العالم الآخر)، ولا نجد نصاً قديماً واحداً ، سواء ترتيلة أو صلاة أو تعويذة سحرية أو ابتهال من كتاب الموتى فى أى صيغة حديثة له. كانت المقبرة بالنسبة للأتونيين مجرد مكان لإخفاء الجسد الميت ، وليست نموذجاً للدوات ، كما اعتقد أسلافهم. نبذ قائدهم الملكى كل الطقوس الدينية الجنائزية القديمة مثل " كتاب فتح الفم "، و" طقوس القرابين الجنائزية "، وتعامل باحتقار وتجاهلٍ مع أعمال مثل " كتاب الطريقين " و " كتاب المقيم فى الدوات " و" كتاب البوابات ". هكذا يظهر أنه نبذ جُملةً *en bloc* كل الشعائر والمراسم الجنائزية ، واستنكر كل الطقوس الدينية لإحياء ذكرى الميت ، التى كانت عزيزة جداً على قلوب كل المصريين. فغياب صور أوزيريس من مقابر موظفيه وعدم ورود أى ذكر لهذا الإله فى النقوش الموجودة فيها توحى بأنه لم يؤمن بيوم الحساب ، ولا بعقيدة الثواب للصالحين والعقاب للمخطئين. إذا كان الأمر هكذا فإن حقل الغاب وحقل الجراد وساحة القرابين فى حقول الفردوس ، ونَطْع السيَّاف شسمو قاطع الرؤوس ، وحُفَر دوات الخمس وحرق الأشرار ، تصبح كلها تخيّلات سخيفة بالنسبة له. ربما هى كذلك ، لكنها كانت راسخة فى عقول رعاياه بحيث لا يمكن اقتلاعها من

جذورها ، ولم يقدم لهم شيئاً بديلاً لهذه التخيّلات. وكما يرينا التاريخ – صواباً أوخطأً – فإن المصريين لم تُرضهم عبادة آتون ، فلكونهم من أصل أفريقى ، لم يفهموا أبداً أو يهتموا بالأفكار الفلسفية المجردة[٩]. وهناك تساؤل آخر: هل حنَّط الأتونيون موتاهم ؟ من الواضح من وجود المقابر فى التلال على مقربة من اِخوت اِتن أن الموظفين ذوى الحيثية قد دُفنوا ؛ لكن ماذا حدث بالنسبة لأجساد الطبقة الشعبية العاملة والفقراء ؟ هل تم رميها لأبناء آوى " فى الأدغال " ؟



الأحفاد الأربعة لحورس المُسن. كانوا آلهة الجهات الأربع الأصلية ، وقاموا فى زمن لاحق – كأبناء لأوزيريس – بحماية أحشاء الموتى. أ– مستى ب– حپ ، ابن أوزيريس ج– دواموتف ، ابن سِكر د– قبح سنوف ، ابن أوزيريس.



إمنحتب الرابع جالساً على عرشه–الأسدى المحمول تحت أشعة آتون ، يمسك فى يديه الرموز الفرعونية القديمة للسيادة ؟ والسيطرة .

كل هذا يشير إلى أن الأتونيين هاموا حباً ونعموا بالحرارة والنور التى أغدقها إلههم عليهم ، وأنهم غنّوا ورقصوا وحمدوه على نعمه ، وعاشوا منغمسين فى اللحظة الحاضرة. وعبدوا ثالوث الحياة والجمال والألوان. وأبطلوا التمسك بالتقاليد والجمود فى فنون التصوير والنحت المصرية ، وأدخلوا ألواناً جديدة فى تصميماتهم الفنية ومصنوعاتهم اليدوية ، ومع تحرر الفنانين والصُنّاع من سيطرة الكهنة ، أبدعوا أعمالاً فائقة الجمال. ومضى حب الفن مع

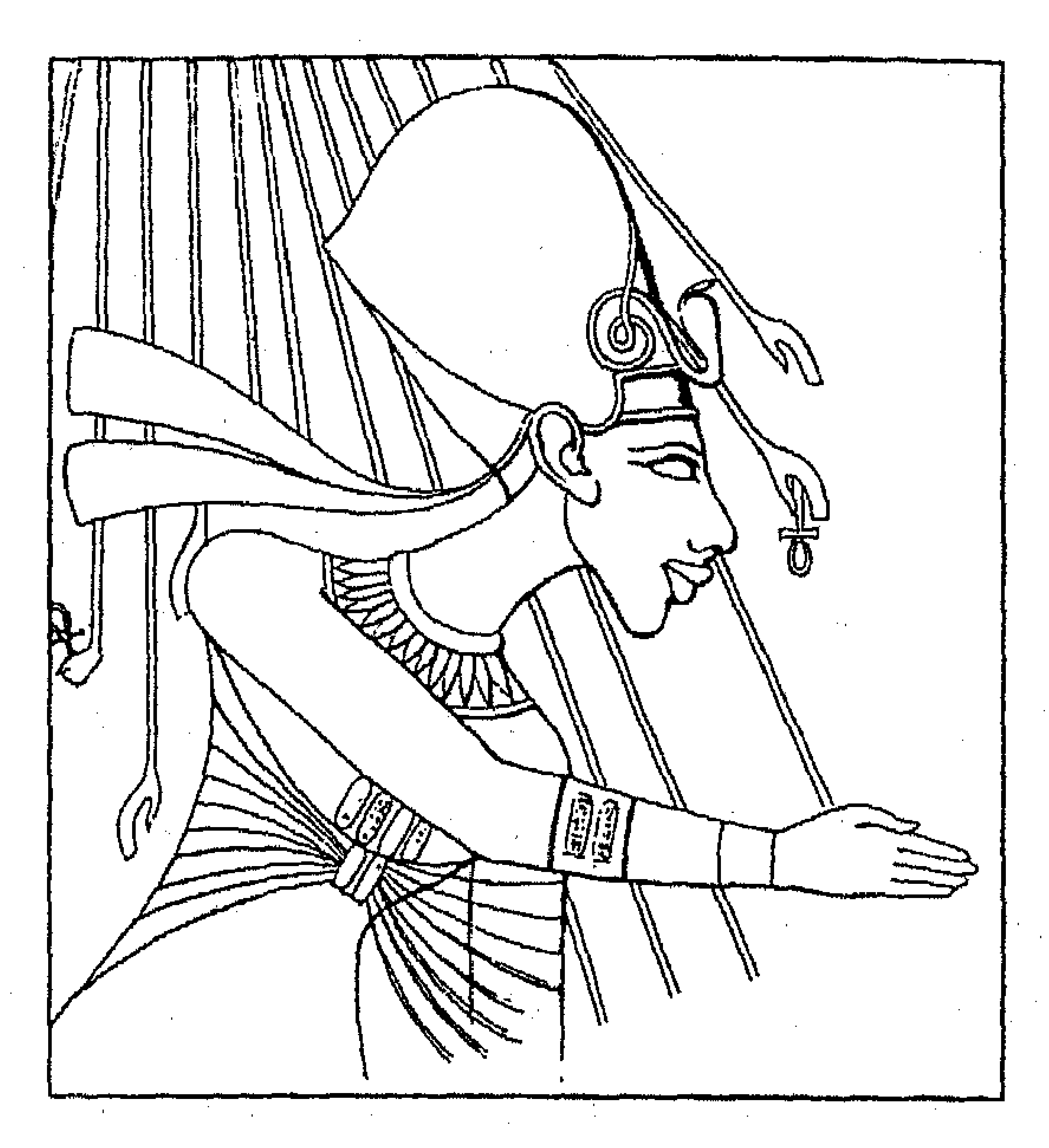
دينهم يداً بيد ، وكان مكملاً له. يمكننا تتبع تأثيره فى الأشياء الجنائزية ، حتى عند أولئك الذين آمنوا بأوزيريس ودُفنوا طبقاً للطقوس والشعائر القديمة ، خاصة فى التماثيل والصور الشخصية والأوانى الفخارية ، إلخ. وربما كانت النقوش الصغيرة الزاهية الألوان الموجودة فى اللفافات الكبيرة لكتاب الموتى – التى تم عملها فى تلك الفترة – قد رسمها فنانون قلدوا أعمال صُنّاع أتونيين كبار.

والآن ، بينما كان إخناتون ينظّم وينمّى عبادة آتون ، وبينما كان هو ورجال بلاطه وأتباعه يقضون أيامهم وسنواتهم فى عبادة إلههم وتجميل بيوتهم ، ما الذى حدث فى باقى مصر ؟ يخبرنا توت عنخ آمون أن ريع ودخل الآلهة تحولا إلى خدمة آتون ، وأن تماثيل الآلهة اختفت من عروشها ، وأن المعابد قد هُجرت ، وأن المصريين عامة عاشوا فى حالة من الفوضى الاجتماعية. طوال الاثنتى عشرة سنة الأولى وزيادة من حكم إخناتون ، دفع النوبيون الجزية لأن نائب الملك على النوبة كانت بيده الوسائل التى تُجبر القبائل على إحضار الذهب والخشب والعبيد ، إلخ. وفى شمال مصر ، حافظ الجنرال حورمحب – القائد المسئول – على سلطة سيده ، لكن لاشك – كما أظهرت الأحداث ، عندما أصبح ملكاً لمصر – أنه لم يكن متعبداً مخلصاً لآتون ، وأن تعاطفه كان مع كهنة پتاح فى منف ورع فى هليوپوليس. لابد أن أهل منف وهليوپوليس استاءوا وشعروا بالمرارة من بناء معابد لآتون فى مدينتيهم ، وليس هناك أدنى شك فى أن ذلك الجندى الداهية سرعان ما تفاهم معهم. علاوة على ذلك ، فقد علِم – بصورة أفضل من ملكه – ما الذى يحدث فى سوريا ، وكيف كان

الخابيرو يهددون فينيقيا من الجنوب ، وكيف كان الحثّيون يعززون موقفهم في شمال سوريا ، ويزيدون قوتهم فى كل الاتجاهات. لابد أنه – وكل من شاهد مجريات الأحداث فى مصر – قد اقتنع أنه لا توجد قوة يمكن للملك أن يستخدمها لوقف انتشار الثورة فى غرب آسيا ، وأن حكم المصريين هناك أوشك من الناحية العملية على الانتهاء.

عندما ارتقى الملك العرش باسم إمنحتب الرابع ، بادر كل أصدقاء أبيه في بابل وآشور وميتانى وأرض خيتا وقبرص بتهنئته ، وكان الكل متلهفاً على صداقة ملك مصر الجديد واستمرارها. أمِل بورّابورياش ملك كاردونياش فى استمرار تبادل الهدايا بينه وبين الملك الجديد ، وفى الاحتفاظ بصداقة بلده القديمة مع مصر. أما أشوروباليت فأرسل إليه الهدايا وطلب منه ٢٠ تالنتاً من الذهب مقابلها. وخاطبه توشراتّا ملك ميتانى قائلاً " زوج ابنتى "، وأرسل تحياته للملكة تى ، وتحدث بفخر عن الصداقة القديمة بين ميتانى ومصر. كما كتب للملكة تى ، مُذكّراً من جديد بالصداقة القديمة. لكن إخناتون لم يجب بالطريقة التى توقعوها ، وتُظهر الخطابات التى أرسلوها إليه فيما بعد أن الهدايا التى أرسلها إليهم كانت حقيرة زهيدة القيمة. من الواضح أنه كان يفتقر إلى كرم أبيه إمنحتب الثالث وسخائه. وبمضى السنين ، كتب حكام المدن والبلدان التابعة لمصر مؤكدين على وفائهم وإخلاصهم وولائهم ، وأشار الكثيرون منهم إلى الهدايا التى تسلموها وطلبوا المزيد. بعدها بقليل ، اقترن هذا التأكيد على الولاء بطلب إرسال جنود مصريين لحماية ممتلكات الملك.

مثال هذا ما كتبه شوارداتا : " إلى الملك ، سيدى ، آلهتى وشمسى. هكذا يتكلم شوارداتا العبد : سبع مرات وسبع مرات هويت عند قدمى سيدى الملك ، على بطنى وعلى ظهرى {؟؟}. ليعلم سيدى الملك أننى وحيد ، ليرسل سيدى الملك حشوداً عظيمة من الجنود ، ليعرف سيدى الملك هذا "[١٠].



أشعة آتون تهب " الحياة " ☥ لإمنحتب الرابع ، بينما يمنح هو الهدايا لأفراد حاشيته المفضلين.

كتب أهالى تونيپ – الذين كانوا خدماً تابعين لتحتمس الثالث وعبيداً له – وأخبروا الملك أن أزيرو نهب قافلة مصرية ، وأنه إذا لم يرسل العون لهم فسوف تسقط تونيپ مثلما فعلت " نى "

قبلها. وكتب ريب-أدًا من بيبلوس {حالياً جبيل ، شمال بيروت}: ليس لدينا طعام نأكله ، ولم تنتج حقولى محصولاً لأننى لم أتمكن من بذر الحَب. كل قُراى تحت يد الخابيرو. أنا محبوس مثل الطائر فى القفص ، ولا يوجد من يحررنى. لقد كتبت للملك وما من مجيب. لماذا لا تهتم بشؤون دولتك ؟ ذلك " الكلب " عبد-أشراتوم والخابيرى استولوا على شيجاتا وأمبى وسيميرا. أرسل الجند و{معهم} قائد بارع. أتوسل إلى الملك ألا يهمل هذا الموضوع. لماذا لا أتلقى رداً على رسائلى ؟ أرسل العربات الحربية وسوف أحاول أن أستمر فى المقاومة ، وإلاَّ سيصبح عبد-أشراتوم سيداً للبلد كلها خلال شهرين من الزمان. جبيل (بيبلوس) سوف تسقط ، وكل البلد حتى حدود مصر سوف تكون بين يدى الخابيرى. ليس لدينا حَب ؛ أرسل الحبوب. لقد أرسلت ممتلكاتى إلى صور ، وكذا بنات أختى من أجل أمانهم. وأرسلت ابنى إليك ، أصغِ إليه. افعل ما شئت معى ، لكن لا تتخلَ عن جبيل مدينتك. فيما سبق ، عندما أهملت مصر مدينتنا ، لم ندفع الجزية ، فلا تهملها أنت. لقد بعت أولادى وبناتى من أجل الطعام ولم يعد لدى شىء. أنت تقول " دافع عن نفسك "، لكن كيف أقوم بذلك ؟ عندما أرسلت ابنى إليك ، ظل ثلاثة أشهر ينتظر الاستماع له. ومع أن المقربين إلىَّ ألحوا على فى الانضمام إلى المتمردين ، فلن أفعل.

كتب أبى-ميلكى من صور {فى لبنان}: إلى الملك ، سيدى آلهتى ، شمسى. هكذا يتكلم عبدك أبى-ميلكى. سبع مرات وسبع مرات أهوى عند قدمى سيدى الملك. أنا تراب تحت قدمى {حرفياً:

خُفَى} سيدى الملك. سيدى هو الشمس التى تشرق على الأرض يوماً بعد يوم ، وفقاً لأمر الشمس ، أبوه الكريم. هو الذى أحيا فى نَفَسه الرطب {بأنفاسه}، وأَئِن عند غروبه {وأحزن لغيابه}. كل البلاد تعيش فى سلام بقوة يده. إنه يُرعد فى السماوات إلهاً للعاصفة ، فترتعد الأرض كلها لرعده. ... أُنظر الآن ، قلت للشمس ، أبى سيدى الملك متى أرى وجه سيدى الملك ؟ وأُنظر الآن ثانيةً ، أنا أحرس صور – المدينة العظيمة – لسيدى الملك ، حتى تتقدم يد الملك القوية لتعطينى الماء لأشرب والخشب لأدفىء نفسى أيضاً. وبَعدُ ، فإن زيمريدا ملك صَيدا يرسل الأنباء يوماً بيوم إلى الخائن أزيرو ابن عبد-أشراتوم ، فيها كل ما بلغه من مصر. أُنظر الآن ، لقد كتبت إلى سيدى ، لأنه من الخير أن يعلم بهذا.

فى خطاب من لاپايا يقول الكاتب : إذا كتب لى الملك من أجل امرأتى فلن أرفض أن أرسلها له ، ولو أمرنى أن أطعن نفسى بخنجر من البرونز فسوف أفعل حتماً. ومن بين كُتَّاب الخطابات سيدة وصفت غارات الخابيرى على عجلون وسَرحا {فى فلسطين}. تروى الخطابات كلها نفس القصة عن ثورة ناجحة من قِبَل بعض رعايا مصر وعن سلب ونهب وحرق مدن وقرى بيد الخابيرى ، وعن سرقة القوافل على كل طرق التجارة. وبينما حدث كل هذا ، ظل ملك مصر ساكناً لا يتحرك وانشغل بعبادة إلهه ! تثبت الشهادة العامة لخطابات تل العمارنة أنه لم يجد مشقة فى الحفاظ على علاقة الصداقة القائمة بين ملوك بابل وميتانى وأبيه. يبدو أنه كان مسروراً مبتهجاً باستقبال السفراء والهدايا من بلاد مابين النهرين ، ويرحب

بخطابات التملق المليئة بعبارات الولاء والإخلاص له ، إلا أن الهدايا التى كان يرد بها لم تُقنع مراسليه. لم يرسل الذهب أو أرسل القليل منه ليستخدم فى زخرفة المعابد فى بلاد ما بين النهرين ولصنع تماثيل الآلهة ، وتعطينا بعض الرسائل أمثلة – إذ يتسع معناها لذلك – من المُخادعة والغش من جانب ملك مصر. على كل الأحوال ، فهو لم يشن حرباً فى بلاد مابين النهرين ، وعندما أخفقت المدينة تلو الأخرى فى إرسال الجزية ، لم يقم بأى محاولة لإجبارها على تأديتها. لا يوجد ما نتحقق به من مدى معرفته بما كان يحدث فى غربى آسيا ، لكن لابد أنه أدرك أن قوة مصر قد ضعفت بشدة فى ذلك البلد ، عندما أرسل إليه توشراتّا وآخرون رسائل تطلب تعويضات عن هجمات شُنَّت على قوافلهم بينما كانت تمر فى أرض تابعة له. وبمضى السنين لابد أنه عرف أن المصريين يكرهون إلهه ويمقتون حكمه ، ولابد أن تؤثر مثل هذه المعرفة إلى حد ما فى صحة رجل له مثل بنيته وشخصيته.

طوال السنوات الأولى من حكمه أضفى عليه الرسامون والنحاتون الشكل التقليدى للملك المصرى ، وفيما بعد تم تصويره بطريقة مختلفة تماماً ، على نحو طبيعى ، إذ كان له أنف طويل وذقن مستطيل وشفتان غليظتان بارزتان ، وكان إلى حد ما مستدير الكتفين ، وله جسم طويل نحيل ، ولابد أنه كان به شىء من التشوه فى الركبتين والفخذين. وقد تم تضخيم كل هذه الميزات الجسدية فى النقوش والصور المرسومة ، وكانت تماثيل الملك وصوره كاريكاتورية غير وقورة.[11] لكن لابد أن هذا تم عمله بعلم الملك

وموافقته ، ولابد أنه كان تصويراً صادقاً له كما ظهر لمن قاموا بعمله. وبعبارة أخرى ، كانت هذه أمثلة للواقعية فى الفن (التى غرسها بقوة فى ذهن النحاتين والفنانين الذين ادعوا أنهم تلاميذه) مُطبقة عليه. وصمت التاريخ عن السنوات الأخيرة من عهده ، لكن الحقائق المعروفة الآن تشير إلى أنه بسبب غرقه فى المشاكل داخل بلده وخارجه ، ومعرفة أنه لم يكن لديه ولد يخلفه ، وأنه أخفق فى جعل عبادة آتون الديانة القومية ، انهارت روحه المتغطرسة المتّقدة ومعها صحته ، وصار حزيناً. ولما شعر بدنو الأجل ، عيَّن سع كارع تشسر-خپرو[١٢] وصياً مساعداً على العرش ، وهو الذى تزوج كبرى بناته مريت إتن ، ومات فى الغالب بعد ذلك بقليل ، ودُفن فى مقبرة محفورة فى الصخر ، أعدها فى التلال على بعد خمسة أميال من الضفة الشرقية للنيل بدلاً عن التلال الغربية ، حيث دُفن كل ملوك الأسرة الثامنة عشرة. حتى فى مسألة موضع مقبرته ، لم يتبع عادات بلده. تم العثور على هذه المقبرة فى ١٨٨٧-١٨٨٨ بواسطة حفّارين محليين ، قاموا بنزع خرطوشات الملك من موضعها وبيعها للرحالة.

فى القسم الخاص بإمنحتب الثالث تمت الإشارة إلى مجموعة من الجعارين الكبيرة المصنوعة من حجر الاستياتيت التى سجل عليها الملك كتابةً أحداثاً جديرة بالملاحظة فى حياته محتفلاً بذكراها. حتى الآن لم يتم العثور - سواء فى تل العمارنة أو فى مصر كلها - على أى شيء يقودنا إلى افتراض أن ابنه إمنحتب الرابع صنع صنعه ، إلا أن جعراناً طريفاً للغاية تم العثور عليه فى

سادنجا فى السودان المصرى[١٣] يثبت أنه فعل ذلك فى مناسبة واحدة على الأقل. وهذا الجعران موجود الآن فى المتحف البريطانى (رقم ٥١٠٨٤). يوجد على أحد جانبى جسم الجعران الاسم الأول للملك وعلى الجانب الآخر اسمه . وعلى القاعدة – المبتورة الجوانب – توجد سبعة أسطر من الكتابة تُقرأ :

يُظهر هذا النقش أن الجعران تم صنعه لإمنحتب الرابع قبل أن يتخذ لنفسه اسمه الجديد إخناتون. إذ تحتوى الأسطر الثلاثة الأخيرة على أسماء وألقاب الملك وملكته ، وتحتوى الأسطر الأربعة الأولى على خطبة أو صلاة إلى إله ما. لا تسمح الكسور الموجودة فى بداية ونهاية الأسطر بالقيام بترجمة مترابطة للنص ، وفيما يلى ما يمكن معرفته بوجه عام من النقش : " ملك الجنوب والشمال ، نفر–خپرو–رع–وع–ن–رع ، مانح الحياة ، ابن رع ، يحبه ،

إمنحتب ، إله ، حاكم طيبة ، عظيم طوال حياته ، (و) الزوجة الملكية العظيمة نفرتيتى ، حياة وشباب ، يقول: يحيا الإله الجميل ، العظيم فى زئيره (رعوده ؟) ... فى الاسم العظيم والمقدس ... القاطن فى مهرجان سِد مثل تا-ثونن ، سيد ... آتون (قُرص) فى السماء ، أسَّس بوجهه ، لطيف (أو سارّ) فى انو (أون) ". يبدو أن هذه الخطبة أو الصلاة كانت لإله للرعد ، له اسم عظيم ومقدس ؛ فالإله المألوف للرعد فى مصر {وقتها} هو عاپپ ، الذى سُمى بهذه الخاصية " همهم-تى ". ومن الطريف ورود ذِكر تاثونن ، لأنه كان بالطبع أحد الآلهة التى رغب إمنحتب الرابع فيما بعد فى إلغائها. هل يمكن أن يمثل هذا النقش محاولة لتشبيه إله الرعد السودانى الفطرى بآتون ؟ تحدث كاتب إحدى رسائل تل العمارنة التى سبق ذكرها {أبى-ميلكى} عن رعود إمنحتب الرابع ، وقال أنه عندما يُرعد يرتجف كل الناس من الخوف. يبدو من هذا أن إحدى حالات آتون ارتبطت فى أذهان الأجانب بإله الرعد ، إلا أنه لا يوجد دليل يُظهر لنا من كان ذلك الإله.

يبدو لى أن الحقائق المعروفة عن حياة وعهد إخناتون تُثبت أنه من البداية للنهاية كان متعصباً دينياً ، غير متسامح ، متغطرس ، وعنيد ، لكنه جاد ومخلص فى بحثه عن الإله وفى محاولاته جعل آتون الإله القومى لمصر. يصفه الكُتَّاب المعاصرون بأنه " مُصلح "، لكنه لم يُصلح شيئاً. لقد حاول أن يفرض عبادة " حورس الأفقين فى اسمه شو (أى حرارة) الذى هو فى آتون " على شعبه وفشل فى ذلك. عندما وجد أن رعاياه رفضوا قبول آرائه الشخصية عن إله

شمسي قديم – ربما كان الأقدم – انتهت عبادته منذ قرون ، هجر عاصمة أسلافه العظام الذين أحبوا الحرب مشمئزاً ، وانسحب مثل الطفل المدلل – وقد كان كذلك بلا شك – إلى مدينة جديدة من صُنعه. ومثل أمثاله من المصابين بجنون العظمة ، كان قانعاً راضياً طالما استطاع أن يُرضى طموحاته الخاصة ويشبع رغباته ، ولا أهمية للتكاليف والنفقات. عادة ما يكون الضرر الذى يحدثه مثل هؤلاء الناس محدوداً فى نوعه ومداه ، لكنه كملك كان قادراً على أن يُنزل ببلده البؤس والشقاء بلا حدود طوال السبع عشرة سنة التى حكمها. فقد بدّد ثروة بلده فى عبادة إلهه ، وفى إشباع رغبته فى جمال الشكل والهيئة ، ومن أجل الانفعال الدينى والنشوة الروحية. ورغم سخائه فى مكافأة كل من كانوا فى خدمة هذه الرغبة بالذهب والفضة ، كان بخيلاً شحيحاً عندما اتصل الأمر بإنفاق المال فى سبيل منفعة بلده. توضح رسائل تل العمارنة هذه الحقيقة تماماً. ولعل شعوب غرب آسيا ظنّوا وقالوا أن ملك مصر " صار درويشاً "، إلا أن حياته كانت تفتقر إلى الزهد. أمَّا تفاخُره بأنه " يعيش فى الحقيقة " أو " يعيش فى الحق " – الذى يوحى بأنه عاش حياة طبيعية وبسيطة تماماً – يرى الأشياء كما كانت فى الواقع ، فيبدو مضحكاً سخيفاً. اشترك إخناتون فى الكثير من السمات مع الحاكم {يقصد الحاكم بأمر الله}، الخليفة الفاطمى لمصر (٩٩٦-١٠٢١م). فكلاهما كان ابناً لأب ثرىّ مترف محب للمُتع ، وكلاهما اعتلى العرش صبياً. كان لكل منهما مظهر غريب ، وكلاهما تحرر من التقاليد وأدخل أفكاراً جديدة لكن شخصية كل منهما فى تغييره كانت شخصية مُصلح مجنون.

كان المسيحيون واليهود بالنسبة للحاكم مثل الأمونيين بالنسبة لإخناتون. فكل من الملك والخليفة كان تقياً بشكل متعصب متغطرس وبنى كلاهما دوراً للعبادة. واعتقد كل منهما أنه تجسيد للإله ، ونسب لنفسه صفات الألوهية ، وأفتى بأحكام تخص العبادة. وكان كلاهما راعياً للفنون ، إلا أنه لا يوجد دليل على أن الفرعون شجَّع الرجال المتعلمين على التجمع فى بلاطه كما فعل الخليفة. كثيراً ما قتل الحاكم أعداءه ، وفى نوبات غضبه الشديد قتل الناس بالجملة. ورغم أننا لا نعرف هل ارتُكبت أعمال شريرة فى اَخوت اِتن ، فلا يزال ضرباً من التسرع أن نفترض أن الأشخاص الذين جلبوا على أنفسهم استياء الملك إلى درجة خطيرة لم يتم إبعادهم وإزالتهم بالطرق التى كانت معروفة جيداً فى البلاط الشرقى منذ عهد سحيق.

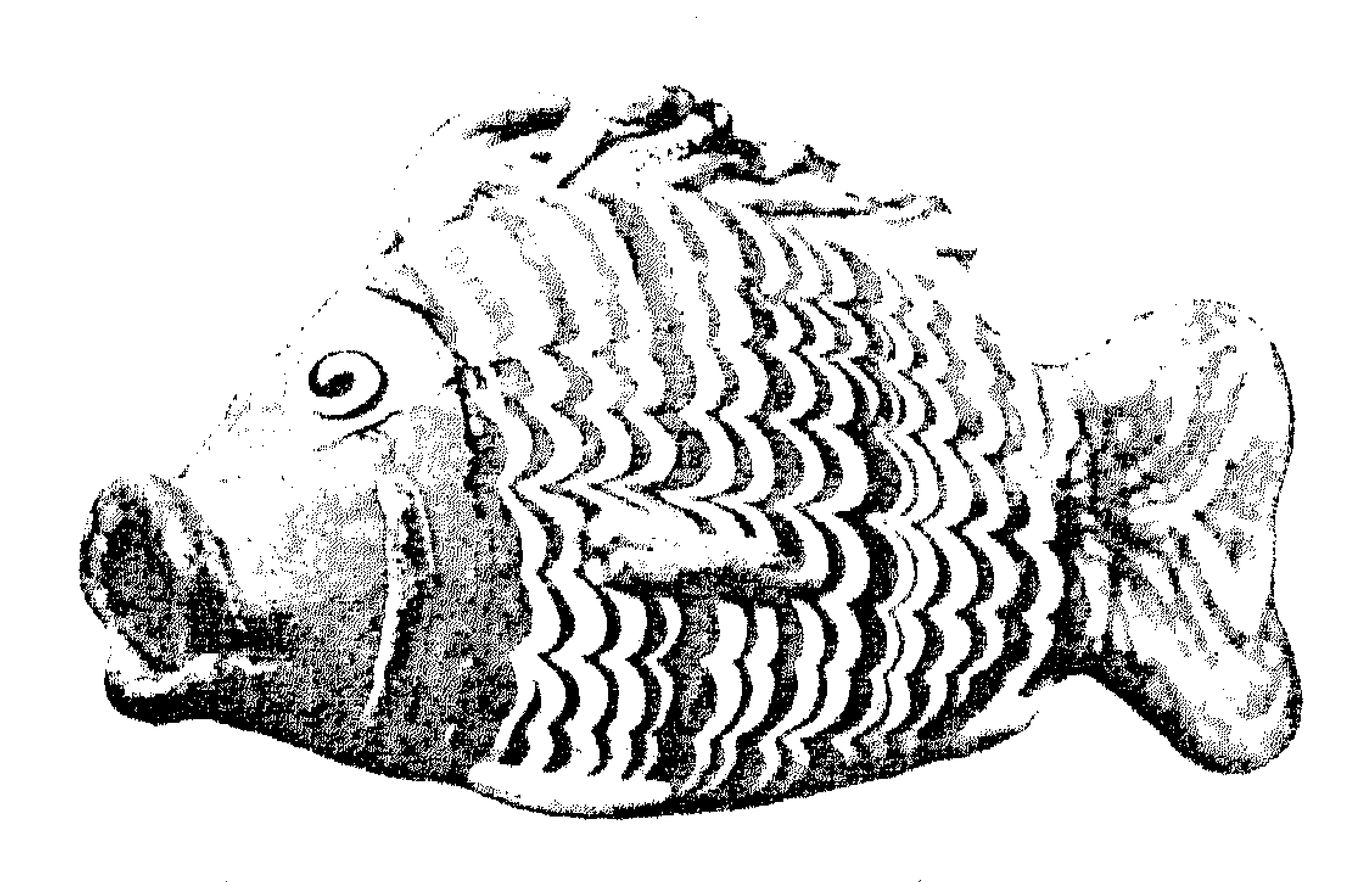
خَلَفَ إخناتون وصيه المساعد على العرش سع كارع ، الذى يُحتمل أن عهده كان قصيراً جداً وغير هام. كان زوجاً لابنة الملك وعابداً مخلصاً لآتون ، تمنى أن يجعل عبادته دائمة مستمرة. لا نعرف شيئاً عن أفعاله وعما إذا كان قد خُلع عن العرش أم كان موته أسبق. خلفه توت عنخ آمون ، الذى سبق أن وصفنا عهده. ثم تبعه العهد القصير لآى ، الذى تزوج مربية إمنحتب الرابع ، وكان مُعلماً للجواد {الملكى} ، ثم خلفه حر-م-حب {حورمحب}، ضابط الجيش الذى خَدَم فى شمال مصر أثناء عهد إخناتون. بدأت استعادة عبادة آمون على يد توت عنخ آمون وثبتت بشكل نهائى على يدى حورمحب ، فاكتمل نصر آمون. وكانت النتيجة المباشرة له هى انحطاط وسقوط عبادة آتون ، وفقدت مدينة " أفق آتون " كل أهميتها

واندثرت. وهاجر الفنانون – بعد أن أصبحوا بلا عمل – إلى طيبة وغيرها من الأماكن حيث استطاعوا مزاولة حِرفهم فى خدمة آمون وهجر الكثير من الأتونيين إلههم وتحولوا إلى عبادة آمون. من المحتمل أن الرعاع نهبوا المعابد وبيوت الموظفين ، وعاملوهم بالطريقة التى تُعامل بها أملاك العصبة الدينية المهزومة دائماً فى الشرق. وتحولت المدينة المهجورة سريعاً إلى خرائب ولم تُجدد أبداً أو تُسكن مرة ثانية. ويصل التقدير المتسامح لفترة حياة هذه المدينة إلى ٥٠ سنة.

ما تبقى من اَخوت اِتن اليوم تُحدِّد مكانه الخرائب والمقابر المنحوتة فى الصخر التى تقع قرب قرى العرب {يقصد الفلاحين المصريين}: الحاج قنديل والتَلّ ، وتُعرف عادة باسم " تل العمارنة ". وهو الاسم الشائع الاستخدام بين المصريين فى صعيد مصر سنة ١٨٨٧ ، وقد طلبت من مصطفى أغا ، نائب قنصل صاحب الجلالة البريطانى فى الأقصر ، أن يفسره لى. فقال لى أن عرب بنى عمران استقروا فى التَلّ (تُنطق عادة التِل)، ولهذا عُرفت القرية لسنوات عديدة باسم " تل بنى عمران ". وعندما غادر معظم بنى عمران المكان وعادوا للصحراء ، سُمّيت القرية " تل العمارنة ". يحتاج المكان – نظراً لاتساعه الكبير – إلى التنقيب الدقيق من طرفه إلى الطرف الآخر ، لأن هذا هو المكان الوحيد الذى يحتمل أن نجد فيه المادة الأثرية للتاريخ الحقيقى لإمنحتب الرابع وعهده. فالاكتشافات التى تمت فيه بالفعل تثبت ذلك ، وقد عثرت امرأة سنة ١٨٨٧ فى الموقع على ما يزيد عن ثلاثمائة رسالة وخطاب محررة

بالخط المسمارى من ملوك وحكام غرب آسيا ، وباعتها لأحد الجيران مقابل ١٠ قروش (٢ شلن).[١٤] وكانت نتيجة اكتشاف هذه المرأة أن قام بترى Petrie بالتنقيب فى تل العمارنة ونجح فى العثور على العديد من الشظايا والرقائق الصغيرة عليها قوائم بها علامات وكلمات ، إلخ ، وبعض أرصفة الطرق الملونة تلويناً جميلاً.[١٥] ثم بدأت جمعية الشرق الألمانية Deutsche Orient-Gesellschaft التنقيب هناك سنة ١٩١٣ ، واكتشفت فى العام التالى عدداً من الأشياء البالغة الأهمية ، نخص بالذكر منها لوحاً عليه كتابة مسمارية وتمثالاً رائعاً لرأس الملكة نفرتيتى ، موجود الآن فى متحف برلين. وهذا التمثال هو أدق وأجمل مثال معروف عن النحت الملون من تل العمارنة ، وكان من الواجب أن يُحفظ فى مصر وأن يوضع فى المتحف المصرى بالقاهرة. وهذا السهو والغفلة من جانب موظفى متحف القاهرة يحتاجان إلى تفسير. بين القطع والشظايا ذات الكتابة المسمارية التى اكتشفها المنقِّبون الألمان فى تل العمارنة سنة ١٩١٣ ، توجد واحدة عليها نَقش أسطورة تصف حملة سَرجون من أكَّاد إلى آسيا الصغرى. وقد نشر شرودر Schroeder النص الأصلى لأسطورة " مَلك المعركة " فى *Vorderasiatische Schriftdenkmäler*, xii, pp. 2-4 ، وقد ترجمها ڤايدنر Weidner للألمانية بعنوان *Der Zug Sargons von Akkad nach Kleinasien*.

فى شتاء ١٩٢٠-١٩٢١ ، أرسلت جمعية استكشاف مصر Egypt Exploration Society بعثة إلى تل العمارنة تحت



لوحة ١١: إناء زجاجى ملون على شكل سمكة. من تل العمارنة. المتحف البريطانى ، رقم ٥٥١٩٣. (إهداء جمعية استكشاف مصر Egypt Exploration Society ، ١٩٢١)

إشراف الأستاذ بيت Prof. T. E. Peet ، لمواصلة أعمال التنقيب من حيث توقف الألمان فى سنة ١٩١٤. وخلال سير العمل ، تم العثور على عدد كبير من الأشياء المشوقة للغاية ، من بينها شظية من لوح مسمارى ، محفور عليها قائمة من العلامات ، وبعض النماذج الرائعة متنوعة الألوان من الأوعية الزجاجية والآنية الفخارية. وقد أجابت المعلومات التى جمعها [١٦] على عدد من الأسئلة وسوّت بعض المشكلات ، وقررت الجمعية أن تواصل تنقيبها فى الموقع. وفى سنة ١٩٢٢ خَلَفَ السيد وولى Mr. Woolley الأستاذ

بيت كمدير للبعثة ، واستمر في العمل بالقدر الذى سمحت به الاعتمادات المالية. وقد أثار الاكتشاف الذى قام به لورد كارنرڤون Lord Carnarvon والسيد هوارد كارتر Howard Carter فى ديسمبر ١٩٢٢ الاهتمام العام بكل ما يتصل بعهد توت عنخ آمون وعهد سَلَفه إمنحتب الرابع ، " الملك المهرطق " سيء السمعة. إنه من الضرورى الآن أكثر مما سبق أن تستمر أعمال التنقيب حتى يتم تنظيف وفحص أطلال تل العمارنة بالكامل. ومن أجل هذا يجب أن يتم دعم جمعية استكشاف مصر بسخاء ، ويجب أن يشارك فى هذا العمل كل مهتم بتاريخ وديانة المصريين القدماء. مثل أى شيء آخر زادت تكلفة تنقيب المواقع فى السنوات الأخيرة ، ولم تحدث زيادة فى التبرعات الواردة للجمعية بالنسبة للنفقات. ورئيس الجمعية الجنرال ج. جرنفل ماكسويل Right Hon. General J. Grenfell Maxwell هو نفسه مُجمِّع متحمس للآثار المصرية ، والسكرتير الشرفى هو د. هول Dr. H. R. Hall نائب أمين قسم الآثار المصرية والأشورية فى المتحف البريطانى. تتم أعمال التنقيب والعمليات الأخرى للجمعية بنظام اقتصادى صارم فعَّال ، وكل الأشياء التى يتم العثور عليها خلال التنقيب يتم تقسيمها بلا مقابل *gratis* بين المتاحف.

١- أنظر Davis, *The Tomb of Queen Tîyi*, London, 1910

٢- هامش للمترجم : اعتبر المؤلف نفرتيتى أختاً للملك كما اعتاد الكثير من علماء المصريات فى دراستهم لتاريخنا القديم من زواج

الملك لأخته ، وهذا موضع شك. والمرجح فى وقتنا الحالى أن نفرتيتى كانت بنت آى. ويمكن لمن يحب معرفة الآراء المختلفة فى هذا الموضوع الإطلاع على كتاب: سيريل ألدريد ، اخناتون. المنشورة ترجمته فى القاهرة ١٩٩٢ ، فى سلسلة الألف كتاب الثانية. (مع تحذير القارىء من الكثير من المغالطات ووجهات النظر العجيبة التى نبه عليها مراجع الترجمة فى التمهيد.)

٣- *Ancient History of the Near East*, p. 298

٤- يبدو أن الهدف من هذا الاحتفال هو إطالة عمر الملك ، الذى لبس ملابس أوزيريس ، واتخذ هيئته ، فتقمصه الإله بإقامة الشعائر والطقوس الدينية. وبهذه الطريقة جدَّد الملك حياته وألوهيته.

٥- هامش للمترجم : هى " سوينى " فى كتاب " هِرُدوت يتحدث عن مصر " ص١٠٣ ، ترجمة د. محمد صقر خفاجة ، تقديم وشرح د. أحمد بدوى ، دار القلم ١٩٦٦.

٦- الغرفة البابلية ، منضدة العرض F. رقم ٧٢ (٢٩٨٥٥). {فى المتحف البريطانى}

٧- أسماء بنات اَخون اِتن {إخناتون} السبعة هى:

١. إتن مريت {مريت إتن}، ٢. معكت إتن ، ٣. عنخ سن پا إتن ، ٤. نفر نفرو إتن الصغيرة ، ٥. نفر نفرو رع ، ٦. ستپ ن رع ، ٧. باكت إتن . تزوجت البنت الأولى من سع

كا رع ، مساعد أبيها فى الحكم. ماتت الثانية صغيرة ودُفنت فى مقبرة بالتلال الشرقية. وتزوجت الثالثة من توت عنخ إتن (توت عنخ آمون).

٨- نشر داڤيز أوصاف مقابر كل هؤلاء على نحو رائع فى:
Davies, *The Rock Tombs of El-Amarna*. Six vols. London, 1903-08.

٩- هامش للمترجم : كانت مصر وجزء كبير من أفريقيا فى ذلك الوقت (١٩٢٢) خاضعة للإحتلال البريطانى ، والمؤلف – مع تقديرى له – وفىّ لبلده وللحضارة الأوربية ، يدين لهما بأسلوبه فى التفكير.

١٠- كل هذه الخطابات والتقارير مكتوبة بالخط المسمارى على ألواح طينية ، عثرت امرأة قروية على أكثر من ثلاثمائة منها فى تل العمارنة سنة ١٨٨٧-١٨٨٨. نُشرت ملخصات لمحتويات الألواح المحفوظة فى المتحف البريطانى فى كتابين Bezold & Budge, *Tell el-Amarna Tablets*, London, 1892 و Bezold, *Oriental Diplomacy*, London, 1893. ونشر ڤنكلر Winckler نصوص كل الخطابات المحفوظة فى لندن وبرلين والقاهرة مع ترجمة ألمانية لها ؛ كما نشر كنودتسون Knudtzon ترجمة ألمانية أخرى لها. ونشر تيرو دانجان Thureau-Dangin نصوص الخطابات الستة التى اقتناها اللوڤر Louvre سنة ١٩١٨ مع ترجمة فرنسية لها ، فى مجلة *Revue d'Assyriologie*, Vol. XIX, Paris, 1921. أرسل ثلاثة من هذه الخطابات حكام

فلسطينيون ، واثنان منها أرسلها زعماء سوريون ، أما الخطاب الأخير فهو موجه من ملك مصر إلى إنتارودا ، حاكم أكساف.

١١- بعض الملاحظات الممتعة التى كتبها د. أسلبرجس Dr. H. Asselbergs عن الأسلوبين القديم والحديث فى النحت البارز فى عهد إمنحتب الرابع ، مع نسخة فوتوغرافية لقالب نشره بريس فى عمله: Prisse, *Monuments*, plate 10, No. 1 نجدها فى:
Aegyptische Zeitschrift, Band 58 (1923), p. 36ff.

١٢- ألقابه الكاملة هى:



١٣- نشرها هول لأول مرة فى:
Hall, *Catalogue of Scarabs*, p. 302.

١٤- نسب السيد جارفين Garvin هذا الاكتشاف إلى بترى Petrie فى جريدة *Observer* بتاريخ ٢٥ فبراير ١٩٢٣. وقد روَيت القصة الحقيقية لهذه " اللقيّة " فى كتابى النيل ودجلة *Nile and Tigris*, Vol. 1, p. 140 ff.

١٥- قام بالحفر هناك من نوفمبر ١٨٩١ حتى نهاية مارس ١٨٩٢. أنظر كتابه *Tell el Amarna*, London, 1894, 4to.

١٦- أنظر تقريره التمهيدى فى *Journal of Egyptian Archaeology*, Vol. VII (1921), p. 169 ff.

وُضعت الترتيلة الأولى (أ) على لسان إخناتون ، وتُعـرف باسم " الترتيلة القصيرة {أو الصلاة الصغرى} لآتون ". تم العثـور على العديد من نسخها فى مقابر تل العمارنة ونُشـرت نصوصـها بواسطة بوريـان Bouriant ودارسـى Daressy وبيـل Piehl وآخرون غيرهم ، إلا أن أصح رواية لها هى التى نُسخت من مقبرة ايى ونشرها السيد ن.ده ج.داڤيز N.de G.Davies[1]. أما الترتيلـة الثانية (ب) فقد وُجدت فى مقبرة آى وتُعرف باسم " الترتيلة الطويلة {أو الصلاة الكبرى} لآتون ". نشر بوريان Bouriant نصـها لأول مرة فى *Mission Archéologique*, tom. I, p. 2 بشكل سـئ ، ثم قام بمراجعتها وتنقيحها فـى عملـه *Monuments du Culte d'Atonou*, I., pl. xvi. وقد نشر برستيد Breasted نصاً جيـداً لها مع ترجمة لاتينية فى عمله *De Hymnis in Solem sub rege Amenophide IV conceptis*, Berlin, 1894. كما نشر تراجم إنكليزية لمعظمها فى عملـه *History of Egypt*, p. 315 وفـى مطبوعات أخرى. وقد نشر روايات وتراجم أخرى لها ومقتطفـات منها كل من جريفيث Griffith, *World's Literature*, p. 5225 وڤيدمان Wiedemann, *Religion*, pp. 40-42 وهـول Hall, *Ancient History*, p. 305 وارمان Erman, *Religion*, p. 64 وآخرون غيرهم. وأفضل نص لها حتى الآن هو ما نشـره داڤيـز Davies[2] ، وهذا هو ما اعتمدنا عليه – مع بعض التعديلات الهينة

– في الصفحات التالية. في السنوات الأخيرة ، تم تمجيد هذه الترتيلة كمؤلَّف ديني جميل رائع ، وتمت مقارنة أجزاء منها ببعض المزامير العبرية ، ونتيجة لذلك اعتُبرت تعبيراً عن الهمسات البشرية السامية، وحصيلة إيمان راسخ بإله اعتُبر نظيراً ليهواه عند العبريين ومماثلاً لله القدير.لكن إذا فحصنا الترتيلة – سطراً بعد سطر – وقارنّاها بتراتيل رع وآمون والآلهة الأخرى ، لا نكاد نجد بها فكرة لم تتم استعارتها من الكتب الدينية المصرية الأقدم منها {التي سبقتها}. لقد دُعي آتون بـ: الأبدي والقدير وخالق نفسه والحي أو المُقيت نفسه وخالق السماء والأرض وكل ما فيهما و" الإله الواحد الأحد ". حرارته ونوره هما مصدر الحياة كلها ، ولأجلهما ولأجل المنافع المادية التي يمنحانها للبشر والحيوانات يتم تمجيد آتون في هاتين الترتيلتين. لا يوجد فيهما شئ روحي ، ولا شئ يناشد الطبيعة العليا للإنسان. اللغة التي كتبتا بها بسيطة واضحة ، لكن لا يوجد بها شيئاً جديراً بالملاحظة في الأسلوب ، باستثناء أن عباراته مجرد تصريحات عقائدية مثل مواد قانون. وأكثر ميزة مشوقة في الترتيلتين هي إصرار الكاتب على جمال وقوة النور ، وربما يتيح لنا هذا أن نتساءل عما إذا كان هذا تأثير ميتاني ، وعن تغلغل الأفكار الآرية التي تتعلق بميترا Mitra وفارونا Varuna وسوريا Sûrya أو سافيتري Savitri إله الشمس. يماثل آتون أو حورس الأفقين إلى حد بعيد سوريا Sûrya الشمس المشرقة الغاربة ، ويماثل رع سافيتري Savitri الشمس المتألقة بكامل قوتها " ذات العيون الذهبية، والأيدي الذهبية ، واللسان الذهبي ". " لأنه المحيي المعجِّل ، يرفع

ذراعيه الذهبيتين الطويلتين فى الصباح ، يوقظ كل الكائنات من سُباتها ، ينفخ فيها الروح ، ثم يعيدها إلى الرقاد فى المساء "[٣].
سوريا Sûrya الشمس المشرقة الغاربة هو المصدر العظيم للنور والحرارة مثل آتون ، وهو لهذا سيد الحياة نفسها. هو الدياوس بيتار Dyaus Pitar " سماء-أب { أبو السماء} ". وآتون مثل سوريا ، هو " نبع النور الحى "[٤]، بالعين التى ترى ، أشعته تفصح عن وجوده ، و" تومض مثل اللهب اللامع "[٥] تذهب إلى أمة بعد أمة. آتون ليس فقط ضوء الشمس ، الذى يبدو أنه يهب البشر وكل الخلق حياة جديدة بل مانح النور وكل الحياة بوجه عام. الذى يُحضر النور والحياة اليوم ، هو نفسه الذى أحضر النور والحياة فى أول الأيام ، لهذا آتون أبدى. يبدأ اليوم بالنور ، هكذا كانت بداية الخلق ، لهذا آتون هو الخالق ، لم يصنع بيديه ولم يلد ، وهو حاكم العالم. الأرض يخصِّبها آتون ، لهذا هو أب-أم كل المخلوقات. رأت عينه كل شئ وعرفت كل شئ. توحى الترتيلتان المقدمتان لآتون بأن إمنحتب الرابع وأتباعه كونوا صورته فى مخيلتهم وعبدوه بعقولهم. لكن خلاصة المفهوم الفكرى لم يتصورها المصرى العادى تماماً ، وهو الذى كان يفهم الأشياء الملموسة فقط. من المحتمل أن بعض المفاهيم من هذا النوع هى التى تسببت فى عدم شعبية عبادة آتون بين المصريين ، وتسببت فى سقوطها. آتون مثل ڤارونا Varuna له وجود غامض وقوة غامضة ومعرفة غامضة. يجعل الشمس تتألق ، والرياح أنفاسه ، صنع البحر ، وتسبب فى فيضان الأنهار. عالم بكل شئ ، ومع أنه يعيش بعيداً فى السماوات فهو موجود فى كل مكان

على الأرض. والفقرة التالية من السريج فيدا Rig-Veda تشكل وصفاً رائعاً له: " ڤارونا يا مانح النور! لمحتك الثاقبة تفحص بدقة في تعاقب سريع كل هذا العالم النشيط الفعَّال. وتخترق أيضاً الفراغ الأثيرى العريض ، لتنظم أيامنا ولياليناً وتراقب كل المخلوقات! "[٦].

لكن هناك خاصية واحدة لڤارونا ليست موجودة عند آتون على قدر ما نعرف ، أنه يتحسس الخطيئة ويحاكم المخطئ. فقد صلَّى له الآرى القديم قائلاً: " ألطف بى أيها الإله القوى ، ألطف بى. أخطأت لنقص قوّتى فارحمنى. أى خطيئة كبيرة هى يا ڤارونا التى تبحث عنها عند عبدك وصديقك ؟ أخبرنى يا من لا يمكن مهاجمته ، أيها الإله المعتمد على نفسه. ومحرراً من الخطيئة ، سوف أهرع إليك عابداً."[٧] كان ڤارونا شاهداً مخلصاً على صدق وكذب البشر. وصلى الآرى البدائى أيضاً لسوريا وخاطبه فى الجاياترى Gâyatrî وهى الصيغة الأم للڤيدا Veda والبراهما Brahma ، فقال له " هل لنا أن نبلغ المجد الممتاز للمحيى الإلهى ، فينيرنا أو ينبه فهمنا ". تضمنت الكلمات خلاص الإنسان[٨]. لم يتم التعبير عن الوعى بالخطيئة فى أى نص لآتون نعرفه حتى الآن ، ولا تحتوى الترتيلتان المقدمتان لآتون على أى طلب لتنوير أو فهم أو حكمة روحية. إذن من أجل ماذا يصلى أتباع آتون ؟ نجد الإجابة على هذا فى تعاليم امن م ابت – إين كا نخت – الذى يقول:

" أدِّ الصلاة الواجبة عليك لآتون عندما يشرق. قل: أتضرع إليك ، امنحنى القوة (و)الصحة. سوف يمنحك زاداً للحياة. وسوف تكون آمناً من ذلك الذى يُرهب(ك) "[٩].

١- إذا أردت أسماء المراجع المنشورة أنظر عمله *Rock Tombs*, Vol. IV, p. 28.

٢- أنظر المرجع السابق Vol. VI, pl. xxvii

٣- أنظر Wilkins, *Hindu Mythology*, p. 33

٤- أنظر Martin, *Gods of India*, p. 35

٥- أنظر Monier-Williams, *Indian Wisdom*, p. 19

٦- من ترجمة Monier-Williams

٧- أنظر Rig-Veda, VII, 86, 3-6

٨- أنظر Martin, *The Gods of India*, p. 39

٩- أنظر *Hieratic Papyri in the British Museum*, ed. Budge, 2nd Series, London, 1923, pl. 5.

أ- " ترتيلة لآتون " من الملك [١]

ترتيلة حمد لحورس الحى فى الأفقين ، الذى يفــرح فــى الأفق ، فى إسمه " شو الذى هو فى آتون " (أى قرص الشــمس) ، مانح الحياة دائماً وأبداً ، من الملك الذى يعيش فــى الحــق ، ســيد الأرضين ، نفر خپرو رع وع ن رع ، إبن رع ، الذى يعيش فــى الحق ، صاحب التيجان ، إخناتون العظيم طوال حياته ، مانح الحياة دائماً وأبداً.

(يقول:) أنت تشرق ببهاء ، أيا آتون الحى ، سيد الأبدية ! إنك تتلألأ جميلاً قوياً. حبك قوى عظيم ... نورك المتعــدد الألــوان يسحر الألباب. جلدك يتألق ليحيى كل القلوب. تملأ الأرضين بحبك ، أنت الإله الذى أوجد نفسه. خالق كل أرض ، وكل ما عليها ، رجال ونساء ، ماشية وبهائم من كل نوع ، وكل أنواع الشجر التى تنمــو على الأرض.

كل أولئك يعيشون عندما تشرق عليهم. أنت الأم والأب لكل ماخلقت. عيونهم تحدق فيك كلما أشرقت. أشعتك تنير الأرض كلهـا عند الفجر. وتخفق القلوب بشدة لمرآك ، عندما يشرق سيدها.

عندما تغيب في الأفق الغربي للسماء يرقدون كـالموتى ، رؤوسهم ملفوفة بالقماش وأنوفهم مسدودة ، حتى يكون بزوغك عند الفجر في الأفق الشرقي للسماء. عندئذ ترتفع أيـاديهم تقديسـاً لـك (للـكا الخاصة بك).

أنت تبعث الروح فى القلوب بجمالك وأفعالـــك الكريمـــة ، التى هى حياة. أنت ترسل أشعتك أمامك ، وكل الأرض فـــى عيـــد. المغنون والمغنيات وجوقة الرجال يصدرون أصواتاً فرحة فى قاعة بيت مسلة البنبن فى كل معبد فى اَخوت اِتن ، مقعد الحق ، الشـــئ الذى يرضـى قلبك ، حيث القرابين المقدمة من أجود الأطعمة (؟).

إبنك مقدس (أو مُطهَّر) ليؤدى الأشياء التى تريـــدها ، أيـــا آتون ، عندما يُظهِر نفسه فى مواكبه المعينة.

كل مخلوق صنعته يقفز نحوك ، إبنك المكرّم (يفرح) ، قلبه مسرور ، أيا آتون الحى ، الذى (يظهر) فى السماء كل نهار. يقـــدّم

ابنه المكرّم – وع ن رع – الذى هو على صورته ، ولا يتوقف عن ذلك أبداً. يدعّم ابن رع جماله (أو أفعاله الكريمة {خيراته}).

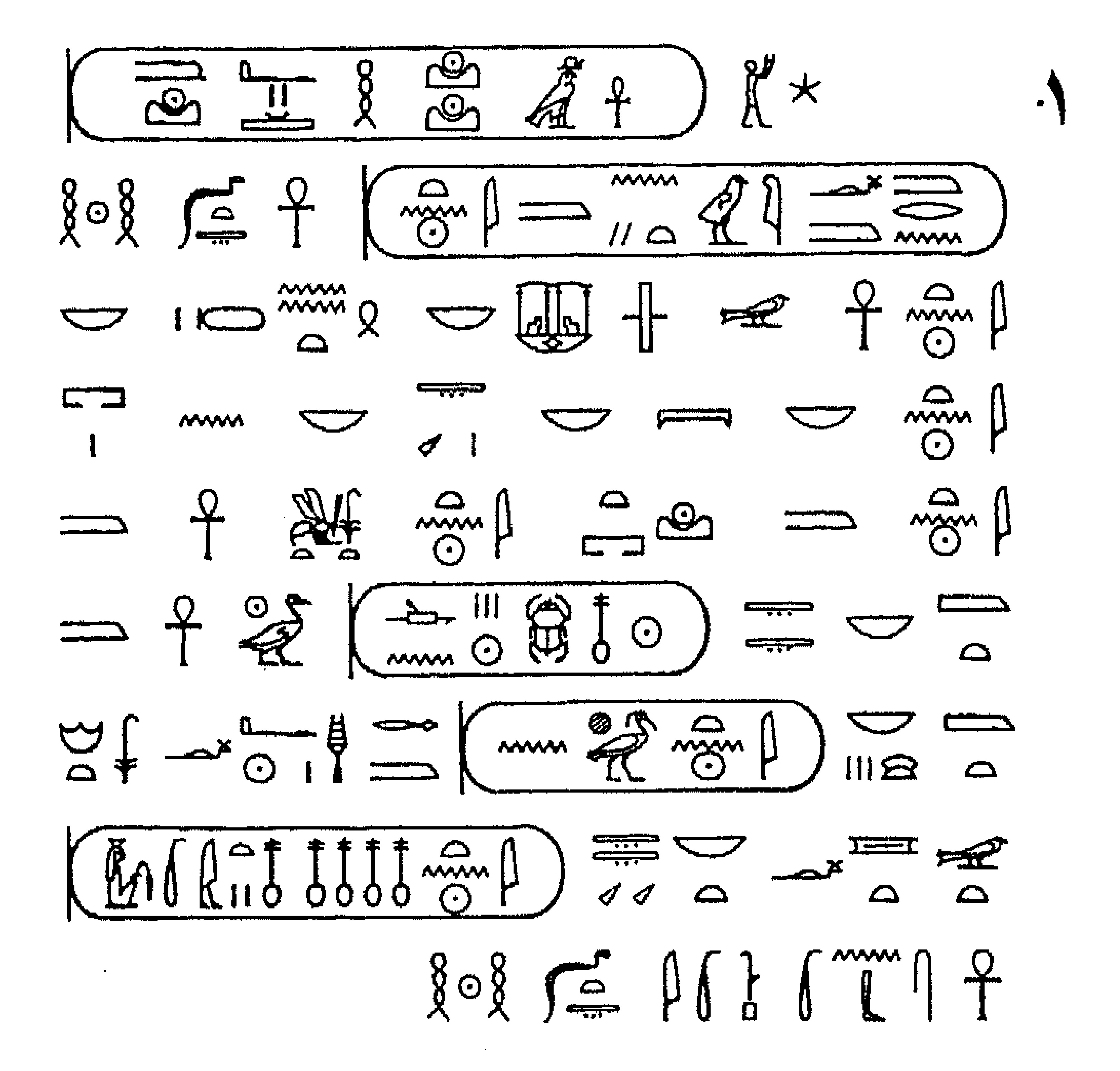
نفر خپرو رع وع ن رع (يقول:) أنا ابنك الذى يرضيك ويبجل اسمك. قوتك وقدرتك راسختان فى قلبى. أنت آتون الحى ، الأبدية صفتك (أو خاصتك). أنت خلقت السماوات بعيدة حتى تتألق فيها وتحدق فى كل شئ خلقته.

أنت نفسك وحيد ، لكن ملايين الحيوات فيك تجعلها (أى مخلوقاتك) تعيش. تمر أنفاس الحياة فى أنوفها لترى أشعتك. تنشق الأكمام عن الزهر (؟) ، وترفع النباتات التى تنمو فى الأرض البور

أفرعها عند شروقك ، تشرب حتى ترتوى أمام وجهك. كل البهــائم تقفز على أقدامها ، وكل ذوات الريش تخرج من عشاشها وترفــرف بأجنحتها فرحاً ، وتدور حمداً لآتون الحى. ...

١- أنظر N. de G. Davies, *The Rock Tombs of El Amarna*, Vol. IV, pl. xxxii, xxxiii. النص من مقبرة إيى فى تل العمارنة ، مع إضافة من مقبرة توتو. (بين الأقواس []).

ب- " ترتيلة لآتون " من آى المشرف على حصان إخناتون [1]



١- ترتيلة حمد لحوراختى ، الواحد الحى ، المبجل فى الأفق الشرقى ، فى إسمه " شو الذى هو فى آتون " ، الذى يعيش دائماً وأبداً ، آتون الحى العظيم ، الذى هو فى عيد " سد " ، سيد الحلقة ، سيد آتون ، سيد السماء ، سيد الأرض ، سيد بيت آتون فى إِاَخــوت اتن ، ملك الجنوب والشمال ، الذى يعيش فى الحق ، سيد الأرضين (أى مصر) ، نفر خپرو رع وع ن رع ، إبن رع ، الذى يعيش فى الحق ، سيد التيجان ، إخناتون العظيم طوال حياته ، (ولأجل) امرأته

الملكية العظيمة التى يحبها ، سيدة الأرضين ، نفر نفـــرو آتـــون ، نفرتيتى ، التى تعيش فى صحة وشباب دائماً وأبداً.

٢.

٢- يقول (آى ، حامل المروحة ومعلم حصان الملك): مشرقك جميل فى أفق السماء ، أيا آتون ، يا مُقدّر الحياة. يا من تندفع عاليـــاً فـــى الأفق الشرقى ، لتملأ كل الأرض بنعمك. أنت جميل وعظيم ومتلألئ تسمو فوق كل الأرض. أشعتك تحيط (أى تتغلغل فى) كل مكان فى الأراضى التى خلقتها.

٣- أنت مثل رع. تُحضر(هم) حسب عددهم ، وتُخضـــعهم لإبنـــك المحبوب. أنت بعيد بذاتك ، لكن نورك يغمـــر الأرض. أنـــت فـــى وجوههم ، وهم (يُعجبون) بمسيرتك.

عندما تغيب فى الأفق الغربى ، يعم الأرض الظلام ، كأنه الموت. يرقد الناس فى الأكواخ ملفوفين بالقماش ، فلا ترى العـــين

مثيلتها. حتى أن الناس لا يشعرون إذا سُرقت ممتلكاتهم التى يحفظونها تحت رؤوسهم.

٣.

٤- يخرج كل أسد من عرينه ، و{تبدأ} الزواحف فى العض ، فالظلام مخبأ دافئ ؟ {مناسب}. يلف الأرض السكون ، فخالقها غائب فى أفقه.

تنير الأرض عند انطلاقك عالياً فى الأفق ، متألقاً فى آتون بالنهار ، فتشتت الظلام. ترسل أشعتك فتصبح الأرضين فى عيد ، يستيقظ (الناس) ويقفون على أقدامهم ، أنت الذى أقمتهم. يغسلون أطرافهم ويضعون (ثيابهم) ،

٤.

٥.

٥- ويتزينون ، (ويرفعون) أيـــاديهم مســـبحين وقـــت شـــروقك ، ويقومون بعملهم فى طول البلاد وعرضها.

تتكبُ البهائم والماشية من كل نوع على المراعى ، وتزدهر الشجيرات والخضروات. تطير الطيور ذات الريش فوق مستنقعاتها، يُسبِّح ريشها بحمدك {حرفياً: الكا الخاصة بك}. تنتصب الماشية واقفة على أرجلها ، والمخلوقات التى تطير والحشرات من كل نوع

٦.

٦- تثب إلى الحياة ، عندما تشرق عليها.

القوارب تنزل فى النهر وتبحر صاعدة فيـــه ، مثـــل كـــل طريق تفتحه (أو تظهره) عند شروقك. السمك فى النهر يسبح نحـــو

وجهك ، أشعتك فى أعماق الأخضر العظيم (أى البحرين المتوســط والأحمر).

أنت تُشكل الأجنة داخل النساء ، وتخلق البزور فى الرجال.

أنت تُحيى الإبن فى رحم أمه ، هادئاً لا يبكى ، أنت ترعاه

٧.

٧- فى الرحم ، تمنحه الأنفاس ليحيا ، ذلك الذى خلقته. (وعندما) ينزل من الرحم ... يوم ميلاده ، يفتح فمه بطريقة (عادية) ، فتمده بقوته.

الطائر الصغير فى البيضة يتكلم داخل القشرة ، تمنحه الأنفاس داخلها ليحيا. تجعله يكبر ليستطيع نقف قشرة البيضة. يخرج من البيضة ، يزقزق بكل عزمه ، عندما يخرج منها ويمشى على قدميه.

ما أكثر الأشياء التى خلقتها !

لقد اختفوا من الوجه ، أنت

٨

٨- الإله الواحد ، الذى لا يوجد له مثيل. أنت خلقت الأرض بقلبك (أو بإرادتك) أنت الموجود وحدك ، رجال ونساء ، وماشية ، وبهائم من كل نوع على سطح الأرض ، وتلك التى تمشى على أقدام (أو أرجل) ، وكل المخلوقات التى فى السماء والتى تطير بجناحيها ، وصحراء سوريا وكيش (النوبة) ، وأرض مصر.

أنت تضع كل إنسان فى مكانه ، وتمدهم بطعامهم اليومى ، كل إنسان له حصته ، وأنت تحصى كم يعيش. لغاتهم مختلفة ، مميزاتهم (أشكالهم) و

٩

٩- جلودهم بالمثل (فى اللون) ، وتميز سكان البلاد الأجنبية بسمات مميزة.

أنت خلقت حعبى (النيل) فى دوات (العالم السفلى) ، وجلبته عندما أردت أن يحيا أهل الفناء ، مثلما خلقتهم لنفسك ، أنت سـيدهم الذى يدعمهم إلى أقصى حد ، أيا سيد كل البلاد ، أنت تشرق عليهم، أيا آتون النهار ، أنت العظيم الجلال.

أنت أوجدت الحياة فى كل البلاد البعيدة. ووضعت نيلاً فى السماء ليهبط عليهم. {أى المطر}

١٠.

١٠- فاض على الجبال مثل البحر الأخضر العظيم ، روى حقــولهم فى قراهم. ما أكرم تدبيرك يا سيد الأبدية ! نيل فــى الســماء أنــت {خلقته} من أجل سكان البلاد الأجنبية (أو الصحارى) ، و من أجــل كل بهائم الصحراء التى تسعى على أقدامها (أو أرجلها). حعپى يأتى من الدوات إلى أرض مصر. أشعتك تغذى كل حقل ، أنت تشــرق عالياً وهم يعيشون ، ويُنبتون من أجلك.

أوجدت فصول السنة لتنمّى كل شئ خلقته:

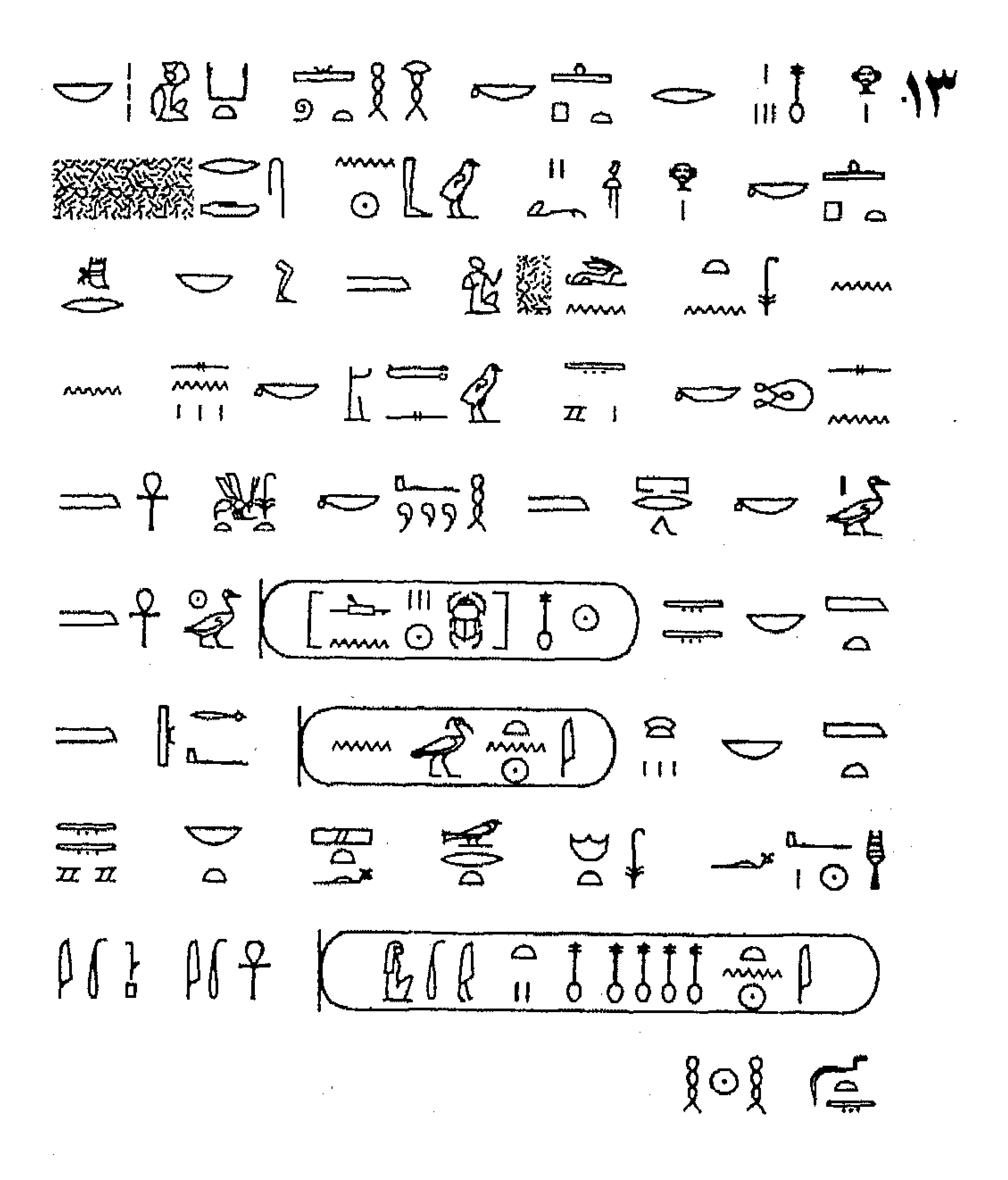
١١.

١١- فصل برت (أى ١٦ نـوفمبر - ١٦ مـارس) ليجـددوا فيـه نشاطهم ، وفصل هه (أى ١٦ مارس - ١٦ نوفمبر) ليتـذوقوك (أى ليحس البشر بقلب شو الذى هو فى آتون). أنت خلقت السماء بعيـدة حتى تشرق هناك وتطّلع على كل شئ خلقته. كيانك واحـد ، أنـت تشرق (أو تنطلق لأعلى) بين مخلوقاتك ، آتون الحى ، مشرقاً متألقاً، مبتعداً عائداً. أنت خلقت ملايين المرات من لـدنك مـدناً وبلـداناً ، وقرىً وحقولاً ، وطرقاً ونهراً. كل عين (أى كل البشر) تنظر إليـك متصدياً لذاك. أنت آتون النهار فى سَمته.

١٢

١٢- عند غيابك ، عينك ... أنت خلقت وجوههم فلا يمكن أن ترى ... أنت جعلته ... أنت فى قلبى. لا يوجد من يعرفك سـوى ابنـك

نفر خپرو رع وع ن رع. أنت جعلته حكيماً ليعى تدبيرك وقدرتك. ظهرت الأرض للوجود على يديك ، وكذلك خلقتهم (أى البشر). أنت تشرق فيحيون ، وتغرب فيقضون. أما بالنسبة لك ، فتستمر الحياة فى أعضائك ، فالحياة فيك. (كل) العيون (تحدق فى)



١٣- جمالك حتى تغرب ، (عندئذ) كل العمال يكفون عن العمل. أنت تغيب فى الغرب ، وتشرق لتزدهر ... من أجل الملك. كل رجل

(يقف على) قدميه ، منذ أوجدت الأرض ، أنت ترتفع عالياً من أجل ولدك الذى نشأ من جسدك ، ملك الجنوب والشمال ، الذى يعيش فى الحق ، سيد التيجان ، اخناتون العظيم طوال حياته (ولأجل) الزوجة الملكية ، عظيمة الجلال ، سيدة الأرضين ، نفر نفرو آتون ، نفرتيتى تحيا شابة دائماً وأبداً.

١- أنظر المرجع السابق N. de G. Davies, Vol. IV, pl. xxvii.

ترتيلتان لإله الشمس

(من بردية آنى ، الصحيفتان رقم ١٨ و ١٩)

تقدم الترتيلتان التاليتان المَثَل النموذجى الجيد على أغـانى الحمد والشكر ، التى قدمت لإله الشمس من المصريين المتدينين فى عصر الأسرة الثامنة عشرة.

ترتيلة لرع عندما يشرق فى الأفق وعندما يغرب فى أرض الحياة [١]

- العظمة لك يا رع ، يا من تشرق باسم " تِم حوراختى ".
- أنت المعبود ، نعمك أمام عينى ، وبهاؤك يغشى جسدى.
- تذهب إلى مغربك فى قارب " سـقتت " بـريح طيبـة ، وقلبـك مسرور. قلب قارب " معدت " فَرِح.
- تُفسح الخطو فوق السماوات فى سلام ، كل أعدائك مغمومون.
- النجوم التى لا تسكن أبداً (أى الكواكب) تصلى لك ، والنجوم التى لا تتوارى أبداً (أى النجوم الحول-قطبية) تمجدك عندما تغرب فـى أفق " مانو ".
- أنت جميل فى الصباح والمساء ، أيها السيد الحى ، الذى لا يتغير، سيدى.
- العظمة لك يا من تشرق مثل رع وتغرب مثل تِم فى جمال.
- أنت تشرق وتتألق على ظهر أمك [إلهة السماء] ، يا من تُوجـت ملكاً للآلهة.
- نوت (إلهة السماء) تُعظمك ، وماعت (إلهة القانون والحق)

تضمك فى الصباح والمساء.

- تُفسح الخطو مسروراً فوق السماوات وبحيرة " تستس " (جزء من السماء) عندئذ راضية. عدوك " سباو " مغموم جامح ، ذراعاه ويداه مبتورتان ، وخنجرك فَصَل فقرات عموده الفقرى.

- رع لديه ريح طيبة ، و قارب " سقتت " يتقدم ويصل إلى الميناء.

- آلهة الجنوب والشمال والغرب والشرق تسبح بحمدك ، أنت المادة المقدسة ، التى ظهرت منها كل أشكال الحياة.

- أنتِ تتكلم - الأرض تفيض بالصمت ، أنت الواحد الذى أقام فى السماء قبل أن تظهر الأرض والجبل للوجود.

- أيها الراعى ، أيها السيد ، أيها الواحد ، يا خالق ما يكون ، أنت خلقت لسان الآلهة التسعة. أنت خلقت كل ما يقفز من المياه ، وانطلقت عالياً منهم فوق أرض برك بحيرة حورس.

- دعنى أتنفس الهواء الذى يأتى من منخريك ، والريح الشمالى الذى هو من عند أمك نوت. مجِّد روحى ، أيا أوزيريس ، اجعل روحى مقدسة.

- يا سيد الآلهة ، أنت تُعبد عند الغروب فى سلام ، وتُبَجّل لأجل كل أعمالك العجيبة.

- تألق {أشرق} فوق جسدى كل يوم {نهار}.

١- هامش للمترجم : لمن يرغب في الإطلاع على النص الهيروغليفى من بردية آنى وترجمته ، أنظر: E.A.Wallis Budge, The Egyptian Book of The Dead, 1895 (Dover Edition, 1967), Plate XIX, pp. 123-125 & 322-323.

ترتيلة لرع عندما يرتفع فى الشرق [٢]

- التحية {لك} ، أنت آتون ، أنت سيد الأشعة ، الذى يشرق فى الأفق يوماً بعد يوم ! تألق بأشعة ضوئك على وجه آنى أوزيريس ، المتكلم بالحق ، الذى ينشد لك التراتيل عند الفجر ، ويعبدك فى العشية. دع روحه تظهر معك فى السماء. دعه يبحر فى قارب " معدت " ويصل للميناء فى قارب " سقتت " ، ودعه يشق طريقه بين النجوم التى لا تتوارى أبداً.

- العظمة لك ، أيا حوراختى ، الذى هو خپرى ، خالق نفسه !

- عندما تشرق وترسل أشعتك فوق أراضى الجنوب والشمال ، أنت جميل ، حقاً جميل ، وكل الآلهة تفرح عندما تراك ، ملك السماء.

- (الإلهة) " نبت أون نوت " فوق رأسك ، ثعابينها فوق رأسك ، وتأخذ مكانها أمامك. {الإله} " توت " يقف فى مقدمة قاربك ليدمر أعداءك.

- يقبل ساكنو دوات (العالم السفلى) ليقابلوك ، ينحنون أمامك تعظيماً ، عند مرآك الجميل.

- أحضر أمامك كل يوم لأكون معك ، ولأتطلع نحو آتونك (قُرصك) الجميل. دعنى ، لا تمنعنى ولا تصدنى.

- أنعِم علىّ ، عندما أنظر إلى جمالك يعود الشباب إلى أعضائى ، مثلما تكون أعضاء المفضلين لديك.

- عبدتك على الأرض. دعنى أدخل الأرض الأبدية فى البلد الأبدى. يا سيدى ، أتضرع إليك لتحكم لى بذلك.

- العظمة لك ، يا من تشرق مثل رع فى أفقك ، وتغيب فى ماعت.
- تمر عبر السماء ، كل وجه يرقب طريقك ، أنت نفسك لا تُـرى. وتُظهر نفسك فى الفجر والمساء كل يوم.
- يتقدم قارب " سقتت " الخاص بجلالتك بقوة ، تنزل أشعتك علـى كل وجه ، أنوارك وألوانك المختلفة لا تُعد ولا توصف ...
- أنت الواحد بنفسك ، أتيت إلى الوجود من ميـاه نونـو (أو نـو) البدائية.
- هل أتقدم كما تتقدم أنت بغير توقف ، وتمر فى لحظة فوق عُصَب لا توصف ؟ وهل أغيب كما تغيب أنت ؟
- أنت متوج بجلال نِعمك ، أنت تسوى أعضاءك كلمـا تقـدمت ، وتصنعها بدون أوجاع العمل {بغير مشقة} فى شكل رع ، وترتفـع إلى الأعالى.
- أنعِم علىّ ، أن أحضر إلى السماء الأبدية وإلى الجبل حيث يسكن المفضلين لديك. دعنى أضم نفسى إلى أولئك المقدسين الكاملين فـى العالم السفلى المقدس {الإلهى} ، ودعنى أظهر معهم لأتطلـع إلـى جمالك فى العشية. أرفع يدىَّ إليك متعبداً عندما تغرب أنت الواحـد الحى. أنت الخالق الأبدى ، والمعبود عند غروبك فى السماء.
- أقدم لك قلبى بلا تردد ، أنت أقوى الآلهة ...

٢- هامش للمترجم : نفس المرجع السابق :
Plates XX & XXI (part), pp. 129-135 & 324-326.

التوحيد المصرى

خلال الثمانين سنة الأخيـــرة ، قـــام العديـــد مـــن علمـــاء المصريات بدراسة آلهة مصر وديانة المصـــريين القـــدماء بعنايـــة واهتمام ، إلا أن الصعاب التى تحيط بهذه الموضوعات لم يتم التغلب عليها بعد. وتقع مسئولية وجود هذه الصعاب على المصريين أنفسهم لأنهم لم يضعوا كتباً تتناول ديانتهم وتفسر معتقداتهم. لكن عدداً كبيراً من التراتيل المقدمة لآلهتهم ، ومن الأساطير التى تدور حول آلهتهم وصلت إلينا ، ومنها – مع الشكر لمن نشروا النصوص المصـــرية خلال الثلاثين سنة الأخيرة – أصبح من الممكن الآن أن نصل إلـــى عدد من الإستنتاجات الهامة عن الديانة المصرية وطابعهـــا العـــام. ناقش علماء المصريات القدامى مسألة ما إذا كانت هذه الديانة ديانة توحيد ، أم تعدد آلهـــة ، أم وحـــدة الوجـــود وعبـــادة الطبيعـــة ، والإختلافات فى الآراء التى توصلوا إليها سوف توضح صـــعوبتها. إعتقد شامبوليون Champollion أنها كانت " ديانة توحيد خالصة ، أظهرت نفسها بمظهر تعدد الآلهة الرمزى "[١]. وظن تيله Tiele أنها كانت متعددة الآلهة فى البداية ، لكنها تطورت فى اتجاهين متضادين تضاعفت أعداد الآلهة فى أحدهما ، وفى الآخر دنت أكثر فأكثر من التوحيد [٢]. أما نافيل Naville فقد تعامل مع الأمر على أنه " ديانـــة الطبيعة ، التى مالت إلى وحدة الوجود "[٣]. وأقر ماسبيرو Maspero أن المصريين قد أطلقوا أوصاف " إله واحد " و " الإله الواحد " على العديد من الآلهة ، حتى عندما كان الإله مشتركاً مع إلهة وإبن ، إلا

أنه يضيف " ce dieu Un n'était jamais Dieu tout court "[٤] {لم يكن هذا الإله الواحد أبداً إلهاً ناقصاً تماماً} ، " الإله الواحد " هو الإله الواحد آمون ، أو الإله الواحد بتاح ، أو الإله الواحد أوزيريس بمعنى أنه كائن محدد له شخصية وإسم وخواص وكساء وأعضاء وأسرة ، رجل أكثر اكتمالاً بما لا حد له من كل الرجال. هو شبيه بملوك هذه الأرض ، وقدراته – مثل كل الملوك – محدودة بقدرات الملوك المجاورين له. إن فكرة وحدانيته فكرة جغرافية وسياسية مثلما هى دينية على الأقل. رع الإله الواحد لهليوبوليس ليس مثل آمون الإله الواحد لطيبة. نادى المصرى فى طيبة بوحدانية آمون مع استثناء رع ، ونادى المصرى فى هليوبوليس بوحدانية رع مع استثناء آمون. وكل إله واحد – يتم تصوره بهذه الطريقة – ما هو إلا الإله الواحد للمقاطعة أو البلدة ، وليس الإله الواحد للأمة تعترف به كل أنحاء الدولة.

فى المقابل ، كتب ده روجيه de Rougé فى سنة ١٨٦٠ " إن وحدانية كائن أعلى أوجد نفسه بنفسه ، وأبديته ، وقدرته ، وتوالده الأبدى كإله ، ونسبة خلق العالم وكل الكائنات الحية لهذا الإله العلى ، وخلود الروح الذى تكمله عقيدة العقاب والثواب. مثل هذا هو الأساس الشامخ والمستمر الذى – رغماً عن كل الإنحرافات وكل الزخارف الأسطورية – يجب أن يؤمّن لمعتقدات المصريين القدماء مكاناً مشرفاً بين ديانات الزمان القديم "[٥]. وقد عبر بروجش Brugsch فى كتابه عن ديانة وأساطير المصريين القدماء [٦] عن اقتناعه الراسخ أن سكان وادى النيل عبدوا – منذ أقدم العصور –

إلهاً أبدياً غامضاً لا إسم له. هذا الإقتناع الذى أسسه على العديد من فقرات النصوص المصرية الدينية والأخلاقية ، التى يُشار فيها إلـــى كائن قدير أوجد نفسه بنفسه ، يبدو أنه لا يختلف عن الإلـــه* عنـــد الأمم المعاصرة. من هذه الوثائق نعلم أن علماء الـــدين المصـــريين آمنوا أنه فى زمن ما – بعيد للغاية ، حتى بالنسبة لهم – لـــم يكـــن يوجد شئ عدا كتلة بدائية غير محددة من الماء يجللها الظلام ، لكنها احتوت على المصادر النهائية لكل شئ موجود الآن فى الكون. وفى زمن متأخر ، نُظر إلى هذه الكتلة المائية – المسماة " نونو " –علـــى أنها " أبو الآلهة ". شئ ما فى هذا الماء – شكَّل جزءاً أساسياً منه – أحس بالرغبة فى الخلق – متخيلاً فى نفسه أشكال الكائنات والأشياء التى نوى أن يخلقها – وصار فعّالاً ، وكان المخلوق الأول الناتج هو الإله " تِم " أو " خپرى " ، الذى كان تشخيصاً للقوة الخالقة فى الماء البدائى. وأوجد هذا الإله من جسده " شو " (أى حرارة) و" تفنـــوت " (رطوبة) ، وأنتجا هما " جب " (أرض) و" نوت " (سماء). صمّم تم أو خپرى أشكال كل شئ فى عقله وأعلن قلبه برغبته فى الخلـــق ، التى شُخصت فى " توت ". تلقى هذا الإله الدافع الخلاق ، واختـــرع فى ذهنه اسماً للشئ الذى وجب خلقه ، وعندما كان يلفظ هذا الإســـم يظهر الشئ للوجود. فى نصوص عهد الأسرات الأولـــى ، اشـــترك "پتاح " و" خنمو " مع إله المياه البدائية – نونو أو نو – وكان عليهما أن يسووا المخلوقات والأشياء التى ينطق توت بأسمائها. وفضلاً عن ذلك ، فقد أشركوا الإلهة " ماعت " مع توت ، وكان دورها فى الخلق شديد الشبه بما ينسب للحكمة فى سفر الأمثال {من العهد القديم}.

لا نعرف ما هى الأشكال التصويرية الأولى لـتم وپتـاح وخنمو ، لكن الأول والثانى يظهران فى شكل بشرى فى فترة زمنية مبكرة ، ويُمثل الثالث بشكل خاص لكبش أو " كودو ". كما يظهـر رع – الذى اغتصب خواص تِم – على شكل رجل. إلا أننا لا نعرف شكلاً لصاحب القوة الخالقة الأصلية التى أوجدت نفسها بنفسها فـى الكتلة المائية لنونو. لم يستطع العقل البشرى أن يتخيله ، ولم تستطع يد الإنسان أن تشكل صورة أو شبهاً له. فى عهد الأسـرة الثامنـة عشرة ، ألَّف كاتب مصرى ترتيلة إلـى " حـپ " (أو حعـپ ، أو حعپى) إله النيل ، تتبَّع فيها أصله حتى كتلة نونو المائية العظيمـة. قال عنه: " لا يمكن نحت شكله فى الحجر وعليه التاج الأبيض ، لا يمكن رؤيته ، لا يمكن تأدية العبادة له ، لا يمكن تقديم الهدايا له. لا يُتقرب إليه فى حرم مقدس. لا يعرف أحد مكانـه. لا يوجـد فـى محراب منقوش. لا يمكن أن يحتويه مأوى. لا يوجد من يعمل مرشداً لقلبه "[٧]. هكذا تم وصف إله النيل ، فقط لأنه كان الإنبعاث المباشر من القوة الخالقة العظيمة الغامضة المجهولة التى لا تُرى ، تلك التى وُجدت للأبد وكانت مصدراً لكل الأشياء المخلوقة. تم عمل تماثيـل لإله النيل فى عهد الأسرات المتأخرة من الإمبراطوريـة الحديثـة ، لكن الترتيلة التى سبق الإقتطاف منها تمت كتابتها قبل ذلـك بعـدة قرون.

الأدب الدينى لمصر القديمة وفير فى كل العهود ، وحتـى الآن لم نجد فى أى منها ، أية صلاة أو دعاء موجـه لهـذا الإلـه المجهول الذى لا يُرى. لكن فى مجموعـة الحكـم الأخلاقيـة – أو

التعاليم – التى ألفها حكماء قدامى ، نجد عدة إشارات لقوى إلهية لم يُطلق عليها اسم شخصى. الكلمة التى استخدمت للدلالة على هذه القوة هى " نتر " أو أو أو ، أو " نثر " . وقد حاول كثيرون أن يعيّنوا معنى هذه الكلمة ، وأن يجدوا أصل اشتقاقها اللغوى ، لكن المعنى الأصلى لها ما زال مجهولاً حتى الآن. إن سياق الكلام فى الفقرات التى تظهر فيها يشير إلى أنها تعنى شيئاً مثل " إله أبدى ". ونفس الكلمة استعملت مراراً لتصف شيئاً – حياً أو غير حى – يملك قوة أو طبيعة مميزة بشكل غير معتاد بعض الشئ. وهى فى الجمع " نترو " ، ، ، ، ، تمثل الكائنات أو الأشياء التى تُعبد بشكل أو بآخر. الإله العظيم المشار إليه فى الحكم الأخلاقية ، تم الكلام عنه أيضاً بإسم " پا نتر " ، " الإله " تماماً كما يتكلم العرب عن " الله ". الأمثلة التالية المأخوذة من نصائح كاجمنا (الأسرة الرابعة) ونصائح پتاح حتپ (الأسرة الخامسة) ستوضح استخدام كلمة نتر [٨]:

١- الأشياء التى يعملها الإله لا يمكن معرفتها.

٢- لا تفزعوا أيها الناس. الإله يعترض على ذلك.

٣- الخبز اليومى من تقدير الإله .

٤- عندما تحرث ، العمل (؟) فى الحقل ، يعطيك الإله .

٥- إذا كنت رجلاً كاملاً ، إجعل ابنك يُرضى الإله .

٦- الإله يحب الطاعة ، والمعصية مكروهة من الإله .

٧- حقاً ، الإبن الحسن (أو الجميل) هبة الإله .

تشير هذه المقتطفات إلى أن كُتَّاب النصـــائح آمنـــوا بإلـــه خطط غامضة. هو من يُقيت الناس ، يقسم لكلٍ نصيبه مــن متـــاع الدنيا ، ويتوقع من الناس أن يطيعوا أوامره ، وأن يربــوا أولادهــم بطريقة تسره. مع مضى الوقت ، تغيرت أفكار المصريين عن الإله وفى عهد الأسرة الثامنة عشرة قل شعور الجفاء الذى نظروا به إليه وتكونت فى عقولهم فكرة أشمل عن شخصيته. ويتضـــح هـــذا مـــن المقتطفات التالية المأخوذة من نصـــائح أو تعـــاليم خنســـوحتپ [٩] ، المعروفة عموماً بإسم " مواعظ آنى ":

١- الإله 𓅃𓅂 𓊹𓀭 يعظِّم اسمه.

٢- بيت الإله يمقت الثرثرة. صلّ بقلب محب ، بكلمـــات مســـتترة. سوف يفعل ما تحتاج إليه ، سوف يستمع إلى دعائك ويتقبل قربانك.

٣- إنه إلهك - 𓊹𓀭 - الذى يمنحك وجودك.

٤- الإله 𓅃𓅂 𓊹𓀭 قاضى الحق.

٥- عندما تقدم قرباناً لإلهك ، إحذر من قربان يمقته.

أصبح الإله - المجهول فى عهد الأسرات الأولـــى - الآن كائناً يهب الناس حياتهم ووسائل معاشهم ، ويمكن التقرب إليه فـــى معبد أو بيت ، تسره القرابين والصلوات التى تُرفع إليه فى صمت ، ويرغب فى تعظيم اسمه. ونقرأ فى مقتطف آخر:

٦- " لاحظ خططه (أو تقديره) بعينيك. فرِّغ نفسك لإنشاد التســابيح باسمه. إنه يهب الروح لمئات الألوف من الأشكال. هو يعظِّـــم مـــن يعظِّمه ".

ويستمر النص: " الآن ، إله هـذه الأرض هـو " شـو " [hieroglyphs] رئيس الآفاق. أشباهه على الأرض ، ولهـم تقـدم القرابين والبخور كل يوم ". شو بلغة الأساطير هو النور والحـرارة المنبعثان من الإله البدائى خالق نفسه ، مُحيى نفسه ، موجد نفسـه ، حورس أو تِم أو خپرى. يبدو لى أن الكائن المشار إليه فى الجـزء الأول من المقتطف رقم ٦ ، يختلف عن شو ، إلـه هـذه الأرض. وعلينا أن نتذكر أن إمنحتب الرابع – عابد قرص الشمس – عبـد " حورس الأفقين فى إسمه شو (أى حرارة) الـذى هـو فـى آتـون (القرص) ".

تعاليم امن م ايت – إبن كانخت – التى يحتمل أنها كُتبـت فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، تثبت بوضوح تام أن الكاتـب ميـز بجلاء بين الإله والآلهة رع ، و إله القمر ، وتوت ، وخنـوم رع ، وآتون ، وغيرهم. ويشير بوضوح إلى الإله فى المقتطفات التالية:

١- إترك الرجل الغضبان بين يدى الإله ... الإلـه يعـرف كيـف يجازيه (عمود ٥).

٢- لا تستخف بخادم الإله من أجل غيره (عمود ٦).

٣- إهتم بـ " نبرتشر " [hieroglyphs] (سيد الكون) (عمود ٨).

٤- مع أن لسان الإنسان يُسيِّر القارب ، فإن نبرتشر هـو الربـان (عمود ١٩).

٥- الحق حمَّال (أو ناقل) الإله (عمود ٢١).

٦- اقعد بين يدى الإله (عمود ٢٣).

٧- الرجل يُعد القش للبناء ، لكن الإله هو المعماري {الذي يبنيــه}. إنه هو الذي يُلقي ، إنه هو الذي يُنشئ كل يوم. إنه هو الذي يوصل الإنسان إلى امنتت (العالم الآخر) (حيث) يأمن بين يدى الإله (عمود ٢٤).

٨- حب الإله - يُسبَّح بحمده ويُعبد ! - أكبر من احتــرام الــرئيس (عمود ٢٦) [١٠].

نلاحظ أنه لا توجد في هذه المقتطفات أى محاولة لوصــف الإله - نتر - وأنه لم يُدع أبداً " واحد " أو " الواحد ". الحقيقــة أن المصريين شعروا أنهم لا يستطيعون وصفه ، وأنهم لا يعرفون عنه شيئاً ، عدا أنه موجود. هذا الإله العظيم المجهول الذى لا يُــرى ولا إسم له ، سلَّم لعدد من الكائنات الأقل درجة إدارة وتــدبير الســماء والأرض وكل شئ فيهما. هؤلاء الطيبون المهتمون بالبشر والسلالة البشرية سموهم آلهة ، وأولئك الخبثاء المعادين سموهم شياطين. كل جماعة من السكان أو قرية - مهما كانت صغيرة - كان لها إلهــاً ، تعتمد قدرته وأهميته على الثروة والوضع الإجتماعى لعبــاده. لكــن المصرى - بينما عبد إله - نتر - مدينته وموطنه ، كــان مســتعداً للسماح بوجود نتر آخر ، الذى يحتمل أنه الكائن الذى ندعوه الإلــه. مثال ذلك ما جاء فى الفصل رقم ١٢٥ من كتاب المــوتى ، يقــول الميت فى إقراره أمام الإثنين وأربعــين إلهــاً: " لــم ألعــن إلهــاً " [hieroglyphs] و" لــــــم أزدرِ إلــــــه مــــــدينتى " [hieroglyphs] [١١]. كان التمييز بــين الإله و" إله المدينة " واضحاً تماماً فى ذهن المصرى.

إدّعى البعض أن إمنحتب الرابع {اخناتون} هو أول موحِّـد في مصر ، إلا أن التسليم بصحة هذا القول يعتمد على ما تعنيه كلمة التوحيد ، أى عقيدة أنه لا يوجد إلا إله واحد. الفقرات التى اقتطفناها أعلاه من البرديات الأخلاقية تُظهر أن الكهنة المصـــريين والنـــاس المتعلمين كانوا موحدين ، حتى ولو لم يصرحوا بوحدانية الإله الذى يشيرون إليه. إن فكـــرة الوحدانيـــة كانـــت مفهومـــة تمامـــاً فـــى الإمبراطورية القديمة. لكن هذه الخاصية نُسبت فى نصوص الأهرام للآلهة وللملوك علاوة على الإله. مثال ذلك فى " تتى " (سطر ٢٣٧) ذُكر " السيد الواحد " ، وفى " مرن رع ١ " قيل عن الملك أنه " الإله العظـــيم وحـــده " (ســـطر ١٢٧) و" سيد الأرض حتى حدودها " (ســـطر ١٢٨) ، وقيل أنه أقوى من كل إله ، وفى " ببى ٢ " (سطر ٩٥٢) قيل عـــن الملك أنه " واحد فى الســـماء " . والآن يختلـــف توحيد إمنحتب الرابع عن توحيد كُتّاب البرديات الأخلاقية. ووحدانية آتون التى نادى بها شابهت وحدانية العديد مـــن الآلهـــة الشمســـية المصرية الأخرى وأيضاً آلهة لم تُنسب لها أصلاً خواص شمسية. تم وحورس الأفقين ورع ، قيل عن كل منهم أنه " واحد " و" الواحد " ، سواء ذكر بمفرده أو معاً فى ثالوث ، وأُطلق نفس اللقب على آمون بعد اندماجه مع رع. وبينما كان إمنحتب الرابع ينادى بوحدانية آتون فى مدينة آتون ، كان المتعبد لآمون ينادى بوحدانية آمون فى طيبة ، والمتعبد لرع أو تِم ينادى بوحدانية إلهه فى هليوبوليس ، وهلم جـــرًّا

فى كل البلد. ومن الطريف ملاحظة أن المنذورين لعبادة " نيث " فى صا الحجر أعلنوا أن إلهتهم " واحدة " [١٢]، وأنها بدأت بخلق نفسها ، ثم أخرجت رع من جسدها. وفى القسم الثانى من ترتيلة بديعة للثالوث الشمسى ، والتى حُفظت فى بردية آنى (صحيفة رقم ١٩) ، والمخاطب فيها رع-تم-حوراختى " الواحد " ، يُضاف أوزيريس لهذا " الواحد " ، هكذا: " الحمد لك ، يا أوزيريس ، {أيها} السيد الأبدى ، أون نفر ، حوراختى ، صاحب الأشكال المتعددة ، والصفات الجليلة ، بتاح سِكر تِم ، فى انو ، سيد المحراب الخفى وخالق حت كا بتاح (منف) ... أنت تدير وجهك نحو العالم الآخر ، وتجعل الأرض تلمع مثل تشعم (النحاس المذهب؟). يرتفع الموتى لينظروا إليك ، يتنفسون الهواء ويرون وجهك مثل {وجه} آتون (قرص الشمس) عندما يشرق فى أفقه. قلوبهم راضية منذ رأوك ، أنت الأبدية والبقاء."[١٣].

من المستحيل أن يكون إمنحتب الرابع قد استرسل فى تأويلات فلسفية مثل وحدانية الإله – التى آمن بها أحياناً {؟} – والتى لم تتطور إلا على يد الفلاسفة الإغريق بعد ذلك بألف سنة. ومع ذلك من المحتمل جداً أنه أراد أن يكون آتون – كإله للحق المطلق والعدالة – إلهاً قومياً لمصر وحاكماً إلهياً لكل بلاد السودان وغرب آسيا التى تقع تحت سيطرته. إذا كان هذا ما أراد ، فقد وُلد متأخراً جداً ليقوم بهذا العمل ، حتى إذا افترضنا أنه كان لائقاً من الناحيتين البدنية والذهنية ليتكفل بمثل هذه المهمة. فعندما اعتلى العرش ، كان آمون – أو آمون رع ، ملك الآلهة ، سيد العالم – ما أراد إمنحتب

أن يكون عليه آتون بالفعل. طرد آمون الهكسوس ووضع أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة على عرشه ، ومنح النصر لخلفاء أحمس الأول وملأ مصر بثروات السودان وغرب آسيا. وأصبح آمون السيد الأعلى للآلهة ، وملأت شهرته القسم الأعظم من العالم المعروف للمصريين. كان من المستحيل الإطاحة بكهنوت آمون الثرى الكبير ، متجاهلاً الأنظمة الإجتماعية التى كان آمون على رأسها. لم يكن توحيد إمنحتب جديداً من وجهة النظر الدينية ، إلا أنه كان كذلك من وجهة النظر السياسية. لقد تكون أساساً من اعتقاد أن آمون لم يكن مناسباً كإله قومى لمصر والسودان وسوريا ، وأن آتون أكثر عدلاً وأكثر صلاحاً وأكثر رحمة من إله طيبة حديث العهد بالنعمة ، وأن آتون وحده هو المناسب ليكون إلهاً قومياً لمصر والبلاد التى تقع تحت سيطرتها. عندما حاول إمنحتب أن يضع آراءه فى قالب عملى صاحَبت محاولته – كما يكون الحال كثيراً مع " المصلحين الدينيين " – مصادرة أملاك عظيمة القداسة ، وبلبلة اجتماعية وبؤس. كان من حسن حظ مصر أنها أنتجت ملكاً واحداً فقط يجمع فى آن واحد كونه متفرداً ومثالياً ومسالماً و" مُصلحاً دينياً ".

حاول إمنحتب الرابع أن يؤسس ديانة **إيجابية** ، وكمجدد دينى تكلم وتصرف كما لو كان ذلك بوحى إلهى وأن لديه رسالة إلهية للبشر ، وحاول بكل طريقة أن يتحول عن تقاليد الماضى. لم يدرك أبداً أنه إذا كان على ديانته أن تستقر وتزدهر فيجب أن تكون متصلة على طول الخط مع الأفكار والأعراف القديمة التى وجدها بين الناس. لم يبدأ الدين فى مصر معه. لقد فشل فى المهمة التى

كلف نفسه بها لأن ديانته لم ترق للعرف والسليقة الدينية والأحاسيس التى كانت موجودة بالفعل بين المصريين ، ولأنه لم يحتمل الصيغ التقليدية التى جسدوا فيها مشاعرهم الروحية.

١- *L'Égypte*, Paris, 1839, p. 245.

٢- *Geschiedenis van den Godsdienst in de Oudheid*, Amsterdam, 1893, p. 25.

٣- *La Religion*, p. 92.

٤- *Histoire Ancienne*, Paris, 1904, p. 33.

٥- *Études sur le Rituel Funéraire* (in *Rev. Arch.*, Paris, 1860, p. 12.)

٦- *Religion und Mythologie*, Leipzig, 1885, p. 90.

* هامش للمترجم : استخدمت " الإله " فى المواضع التى ذكر فيها المؤلف " God " بمعنى الله. ولا يخفى على القارئ أن المقصود عند المصريين القدماء يختلف عن المقصود باللغة العربية.

٧- أنظر *Egyptian Hieratic Papyri in the British Museum*, Second Series, London, 1923, pl. LXXIII. (Introduction, p. 31.)

٨- مأخوذة من بردية بريس Prisse المكتوبة فى عهد الأسرة الحادية عشرة أو الأسرة الثانية عشرة. أنظر Virey, *Études sur le Papyrus Prisse*, Paris, 1877 ، حيث توجد نسخة من النص الهيراطيقى وترجمة فرنسية له.

٩- أنظر Chabas, *L'Egyptologie, Série I.*, Chalon-sur-Saône, Paris, 1876-78; & Amélineau, *La Morale Egyptienne*, Paris, 1892.

١٠- أنظر *Egyptian Hieratic Papyri*, ed. Budge, Second Series, London, 1923.

١١- من بردية " نبسنى ". أوائل عهد الأسرة الثامنة عشرة.

١٢- أنظر Budge, *Gods of the Egyptians*, Vol. I, p. 458.

١٣- هامش للمترجم : لمن يرغب فى الإطلاع على النص الهيروغليفى من بردية آنى وترجمته ، أنظر: E.A.Wallis Budge, The Egyptian Book of The Dead, 1895 (Dover Edition, 1967), Plate XIX, pp. 126-127 & 323.

رقم الإيداع : ٢٠٠٣/١٨٢٥

ISBN: 977-281-221-5

مطابع الدار الهندسية /القاهرة

تليفون / فاكس (٢٠٢) ٥٤٠٢٥٩٨

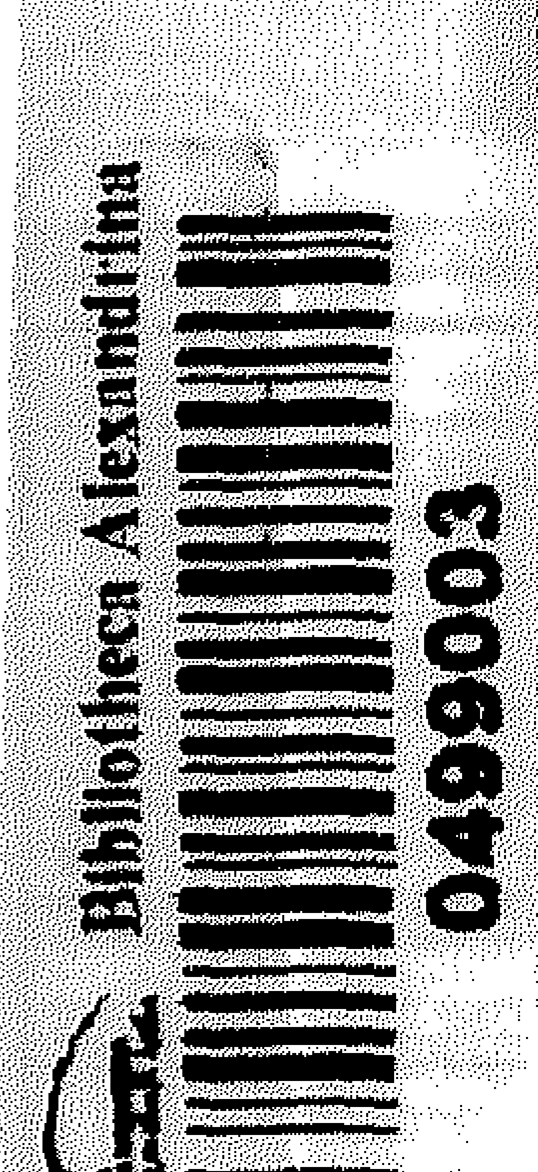
هذا الكتاب

(توت عنخ آمون) يعرض فيه المؤلف تطور العبادة من آمون إلى آتون مستعرضا ما سبقهما وما تلاهما وموضحا أن التوحيد قديم في مصر سابق على عهد الأسرات. الحقيقة أن الكتاب لا يتحدث عن الكشف نفسه، ولكن عما أثاره الكشف، خاصة الحديث عن موضوع التوحيد في مصر القديمة. هو كتاب يحتاج إلى قراءة متأنية، ومعاودة القراءة بعد فترة.

أما الترجمة، فقد التزمت بأسلوب المؤلف لدرجة الترجمة الحرفية في معظم الكتاب، والسبب في ذلك أن المؤلف اعتمد كثيرا على النصوص المصرية القديمة وترجمها ترجمة حرفية بهدف أمانة النقل، وحتى يستنتج القاريء منها ما يشاء.

والله من وراء القصد ..!

الناشر


Bibliotheca Alexandrina
0499003

S.B.N : 977-281 - 221 - 5

ACADEMIC BOOKSHOP
EGYPTIAN JOINT-STOCK CO. CAIRO

